غزو بني هلال وبني سليم للمغرب

دكتورة

فايزة محمد صالح أمين سجيني

كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

القاهرة

٢٠٠٧م

الفهـرس

شكر وتقدير

رب اوزعنى أن أشكر نعمتك التى انعمت على.

اللهم لك الحمد والمنة فمنك العون، وبك نستعين.

أشكرك يا إلهى فقد هديتنى، وما كنا لنتهتدى لولا أن هدانا الله.

ثم أتقدم بجزيل الشكر، ووافر الثناء لاستاذى الجليل سعادة الدكتور محمد حمدى المناوى. فقد استطاع بصبره الطويل وعلمه الغزير وحسن توجيهه أن يضعنى دائماً على الطريق الصحيح.

وأشكر كل من عاون أو ساهم أو قدم يدا حتى خرج هذا البحث على هذا النحو.

والله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

إهداء

إلى ابنتي
وزهرة حياتي
هنادي

تقديــم

لعب المغرب الإسـلامي، ولازال، دوراً في تاريخ البشرية بعامـة، والعالم الإسلامي بخاصة. وإذا كانت فتوحات المغـرب استمرت سبعين عاماً، من نصر وهزيمة وتقـدم وتقهـقر، إلا أن البربر مـا أن فتـحت بلادهم حتى حـملوا راية الجهاد، وعبروا البحر ناشرين دين الله في ربوع أوروبا، وهو ما لم يحدث في أي بلد آخر من البلاد المفتوحة.

وحفل تاريخ المغرب الإسلامي بالكثير من الأحداث الخطيرة التي كان لها طابعها الخاص، نظراً لوضع المغرب الخاص بـالنسبة للعالم الإسلامي. وهذا ما جعله يموج بمخـتلف التيارات المذهبيـة والسياسـية، وجعله ملجأ لكثـيرين من الفارين بمذاهبهم وآرائهم أمام سلطان الخـلافة في المشرق. ووجدوا في المغرب الأرض الخصبة لهذه الآراء والتـيارات. ويكفي أن نذكر أن المغرب هو أول جزء من العالم الإسلامـي ظهر فيه تيار الانفـصـال السياسي، وتجـاورت فيه الدول المختلفة مذهبياً وسياسياً.

من أهم الأحداث التي كان المغرب الإسلامي مسـرحاً لها الغزوة الهلالية، أو التغريبة الهلالية كما قد يقال أحياناً. وقد كان ذلك في حوالي منتصف القرن الخامس الهـجري، عندمـا بدأت دولة بني زير الصنهـاجية تحـاول الاستـقلال والخروج على الخـلافة الفـاطميـة في مصـر، بل وتحاول القضـاء على المذهب الإسماعيلي لتحل محله المذهب السني وتعترف بالخلافة العباسية.

ولم يجد الخلفاء الفاطميون، بعد أن عجزوا عن إرسال جيوش الخلافة أن يطلقوا العنان لقبائل بني سليم وبني هلال التي كانت تثير الاضطراب في مصر والشـام، وأن يوجهـوها إلى المغرب لتـأديب المعز بن باديس الذي جـهر بـعداء الفاطميـين وشجع على قيام المذابح لأتبـاعهم في المغرب بل وأعترف بـالخليفة العباسي القائم بأمر الله.

انطلق بنو سليم وبنو هلال إلى المـغرب، وأشفـوا صدور الفاطـميين من عدوهم، وتملكوا أفـريقية والمغرب الأوسط. ولقـد كان لهذه الغزوة نتـائج هامة وخطيرة، بعـضهـا كان سريع الأثر، وبعـضهـا لم تظهر نتائـجه إلا على المدى الطويل. وحفلت المصادر بالكثير عن هذه الأحـداث، ولكنها للأسف كان يحيطها الكثير من الاضطراب، فالأحداث كانت سريعة ومتلاحقة.

وقد أخترت الغزوة الهلالية لتكون موضوع البحث الذى أتقدم به للحصول على درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى تحت اشراف سعادة الدكتور محمد حمدى المناوى، وبعنوان:

«غزوة بنى هلال وبنى سليم للمغرب».

وقد جهدت أن أجد إجابة لكثير من التساؤلات والتناقضات التى وقع فيها كثير من المؤرخين، وحاولت أن أوضح النتائج لهذه الغزوة، القريبة منها والبعيدة.

وكان على أن استعين بالعديد من المصادر الأصلية وأرجع إلى بعض المراجع الحديثة لأتعرف على آرائها. وأحمد الله أننى وفقت للحصول على معظم المصادر، والقليل منها التى لم أستطع الحصول عليه لظروف ليست فى مقدورى، استعنت بمعلوماته كما أوردتها المراجع الحديثة، متوخية أن أوضح ذلك فلا أنسب لنفسى شيئاً لم أقم به.

وأجد صعوبة هنا فى ذكر المصادر التى رجعت إلينا فهى كثيرة، وأكتفيت بإثباتها فى ثبت المصادر والمراجع فى آخر البحث وإن كان من المهم أن أشير إلى بعض هذه المصادر والتى اعتمدت عليها كثيراً فى بحثى فمنها مثلاً:

- الكامل فى التاريخ لأبن الأثير.

- رحلة التجانى، ولها أهمية خاصة، إذ أنها مدونة بقلم أحد كبار رجال الدولة الحفصية. وقد قام برحلته هذه بين سنتى ٧٠٦، ٧٠٨هـ، وكانت رحلة عمل وتفقد. وقد أعطى التجانى صورة لما كانت عليه هذه البلاد فى ذلك الوقت ومواطن العرب بها، مع إثبات كثير من الحقائق التاريخية التى كانت هذه المنطقة مسرحاً لها وبذلك جاءت رحلته جامعة شاملة.

من المصادر أيضاً البيان المغرب لأبن عذارى وهو مؤرخ مغربى دقيق على علم بتاريخ المغرب.

- والحلة السيراء لأبن الأبار.

- والمعجب فى تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكش.

- والعبر لأبن خلدون.

- واتعاظ الحنفا للمقريزى.

وغيرها كثير يمكن الرجوع إليها فى ثبت المراجع.

على أننى أعترف أن هناك مصادر هامة لم يقدر لى الإطلاع عليها منها مثلا: نزهة المشتاق للأدريسي. ورغم الجهد الكبير الذى بذلته، لم أوفق فى الحصول عليه، وهو ما آسف عليه فعلاً وأرجو أن أجده فى وقت آخر.

أما خطة البحث التى اتبعتها، فقد قسمت الموضوع إلى مدخل وأربعة فصول وخاتمة.

أما المدخل فقد حاولت أن أبين فيه مواطن العرب فى المغرب والأندلس قبل الغزوة الهلالية. وأعترف باديء ذى بدء أننى غير راضية تماماً عما أوردته، لا عن تقصير منى، ولكن عن قصور فى المصادر. ومع ذلك أمكننى إلى حد كبير أن أبين مواطن العرب فى المغرب والأندلس خاصة.

الفصل الأول : بنو هلال وبنو سليم قبل غزو المغرب.

وقد خصصته للتعرف على مواطن بنى هلال وبنى سليم فى شبه الجزيرة العربية والبلاد المفتوحة، مع محاولة التعرف عليهم وعلى خصائصهم وأيامهم ومواقفهم قبل الإسلام وبعده. ثم أوضحت انضمامهم لقرامطة البحرين وقيامهم بالهجوم على الشام ومصر فى عهد الفاطميين، ثم استمالة العزيز بالله الفاطمى لهم وتوطنهم بمصر.

الفصل الثانى: بعنوان : غزو بنى هلال وبنى سليم للمغرب.

وكان لابد أن أتطرق إلى علاقة دولة بنى زيرى الصنهاجية بالفاطميين ومحاولتها الاستقلال، حتى جاء المعز بن باديس وعمل على الانتقام من الشيعة الأسماعيلية، وإظهار المذهب السنى، والدعوة للعباسيين، وقطع الخطبة للفاطميين.

وبينت محاولات الفاطميين فى استمرار علاقة المغرب بمصر. ولما فشلوا فى ذلك عملوا على الانتقام من المعز بأرسال بنى هلال وبنى سليم للمغرب. وتعرضت لأحداث الصراع بين العرب والمعز واضطراره للهروب للمهدية، واستقرار العرب بالمغرب.

الفصل الثالث : عن علاقات بنى هلال وبنى سليم بالقوى المعاصرة فى بلاد المغرب. وقد تعرضت فيه عن علاقة العرب بقبيلة صنهاجة ممثلة فى دولتى بنى زيرى وبنى حماد وقبيلة زناته. وفى النقطة الثانية علاقة العرب بالموحدين واشتراكهم فى ثورة بنى غانية. ثم تكلمت عن علاقة العرب بالدولة الحفصية وبنى عبد الواد وبنى مرين.

أمـا الفصل الرابع : وهو من أهم فـصـول البحث وعنوانه «آثار الغـزوة الهلالية على بلاد المغرب». وهذه الآثار ظهر بعضـها على المدى القريب والبعض الآخر على المدى البعيد.

والنقطة الأولى فى هذا الفـصل الأثر السلبى لهـذه الغزوة، وأنهـا دفعت بنى زيرى للعودة إلى الاعتراف بالخلافة الفاطمية، كما أنها دفعتهم إلى الاتجاه نحو البحـر بعد أضمحلال ممتلكاتهم فى البـر مما أدى إلى الاهتمام بالأسطول والدخول فى صـراع مع المسيحيين، وكـانت النتيجـة أن عمل المسيحـيون على احتلال سواحل أفريقية والمهدية.

وكـذلك أدى وجود العـرب إلى قيـام الصراعـات السيـاسيـة بين الدول الموجودة ومحـاولات العرب ضرب هذا بذاك، ومحاولات هذه الدول الاسـتعانة بالعرب ضد بعـضـها البعض أو ضـد غيرها من الدول مما جعل المغـرب مسرح اضطراب سياسي إلى وقت طويل.

أما الأثر الاقتـصادي والاجتمـاعى، فله أهميته الكبـيرة إذ أن هذه الغزوة كان لهـا أثرها السريع فى الناحيـة الاقتصـادية كما كـان لها أثرها البعـيد من الناحيـة الاجتماعـية والعرقـية، إذ تكون شعب مسـلم جديد تمتزج فيـه الدماء العربية بالدماء البربرية.

وثالثـاً الأثر اللغوى والأدبى، وهو أثر له خطورته من حـيث نشر الـلغة العربية وظهور أشعار وآداب كان لها ولازال بصماتها فى تاريخ الأدب فى هذه البلاد. ولا ننسى قيام الملاحم ممثلة فى سيرة بنى هلال التى لها مكان بارز فى الأدب الشعبى فى تونس وليبيا ومصر والسودان.

أما نتائج البحث فـأرجو أن أكون قد وفقت فى عرض كـثير من الأحداث وإلقاء الـضوء على بعض الجـوانب الغامـضة. وأرجـو أن أكون قد وفـقت فى الأتيان بـجديد فى كل فـصل من فصول الـبحث وخاصـة فى الفصلين الـثالث والرابع. وأرجو أن أكون عند حسن الظن وأعـتذر عما يكون هناك من نقص أو خطأ. فالخطأ والصواب هما جناحا التجـربة. وحسبى أن أكون قد بذلت جهدى وحاولت ما أمكننى.

والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل وصلى الله عـلى سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين،،

مَدخَل

مَواطن القبائل العربية
فى المغرب والأندلس قبل الغَزوة الهلالية

تميزت فتوح المغرب عن غيره من الفتوحات الإسلامية، فإذا كانت الامبراطورية الساسانية لم تستغرق سوى سنوات قلائل لتصبح جزءا من الدولة الإسلامية، وإذا كانت الشام ومصر قد فتحتا فى سنتين أو ثلاث، فإن فتح العرب للمغرب استمر طوال سبعين عاماً بين مد وجزر انتصارات وهزائم، حتى لقد بدا فى وقت من الأوقات استحالة اتمام الفتح.

ولقد بدأ فتح العرب للمغرب على يد عمرو بن العاص سنة ٢١هـ وانتهى سنة ٩٠ هـ على يد موسى بن نصير، ومن ثم حمل البربر انفسهم راية الجهاد عابرين البحر إلى الاندلس. وهكذا بعد سبعين عاماً أو يزيد امتدت حدود الدولة الإسلامية غرباً إلى المحيط وشمالاً إلى قلب بلاد الغال(١).

وإذا نحن حاولنا تتبع مناطق استقرار العرب فى المغرب والأندلس، قد نجد فى ذلك صعوبات جمة نظراً لإغفال المصادر العربية هذه الناحية، اللهم إلا بعض الإشارات القليلة فى ثنايا هذه المؤلفات. على أنه يكاد أن يكون من المؤكد استقرار العرب في برقة منذ حملة عمرو بن العاص، فالمصادر(٢) تشير إلى بقاء عقبة بن نافع فى هذه المنطقة مع قواته منذ شارك فى حملة عمرو إلى أن ولاه معاوية بن أبي سفيان ولاية أفريقية سنة ٥٠هـ وبناءه القيروان(٣).

ويعتبر بناء القيروان نقطة تحول فى فتوحات المغرب، إذ بدأت الفترة التى يطلق عليها المؤرخون مرحلة الفتح المنظم أو مرحلة الاستقرار. ولقد كان هدف عقبة من بناء القيروان أن تكون مركز انطلاق جيوش الفتح بدلاً من مصر، وأن تكون منطلق الأشعاع الإسلامى فى المغرب، كما تؤكد الوجود العربى فى هذه البلاد. وعلى ذلك فإن القيروان أصبحت مدينة عربية إسلامية خالصة.

وبعد القيروان نشأت عواصم عربية أخرى مثل تونس التى بناها حسان بن النعمان سنة ٨٢هـ، وتاهرت التى بناها عبد الرحمن بن رستم سنة ١٤٤هـ لتكون عاصمة الدولة الرستمية الاباضية، وفاس التى بناها

---

(١) فرنسا الحالية.

(٢) الطبرى تاريخ الطبرى جزء ٤ ص ١٤٤- ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب ص٢٦٢- ابن الاثير، الكامل فى التاريخ جـ٣ ص ٢٣٤- ياقوت، معجم البلدان مادة القيروان.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق- ابن عذارى، البيان المغرب جـ١ ص ١٩.

إدريس بن إدريس أو إدريس الأصغر ثانى أئمة دولة الأدارسة سنة ١٩٣هـ(١).

وأصبحت هذه العواصم وغيرها من مدن المغرب تموج بعرب الفتح والعرب الوافدين من المشرق الإسلامى، وخاصة الساخطين والفارين من بطش الأمويين والعباسيين، فى حين ظلت القيروان مركزاً لجند الخلافة(٢).

وهكذا أخذت أعداد العرب تتزايد فى المغرب بمرور الوقت، ولقد عرف العرب الأوائل أو عرب الفتح ونسميهم بالعرب البلديين، فى حين عرف الوافدون بعد ذلك بالشاميين(٣). وكان الغالبية من العرب البلديين يمنيين، فى حين أن أكثر الشاميين كانوا قيسيين. ولعل هذا هو الدافع لاشتعال نار العصبية القبلية التى أغرقت عرب المغرب كما أغرقت العرب فى كل الجهات فى دوامة من الصراعات أدت إلى تفتت وحدة الصف العربى، فى وقت كان العرب فيه فى حاجة إلى الوحدة أمام الصراع العنصرى الذى أشعله البربر، والذى أضرم كما يقول ابن عذارى المغرب ناراً(٤).

ولعل الاضطرابات التى عاناها المغرب دفعت الكثيرين من العرب إلى العودة للمشرق، فيذكر ابن خلدون(٥) أن العرب لم يكن المغرب لهم بوطن قبل الغزوة الهلالية. كما يذكر أنه لما قامت الدولة الفاطمية وأنتزعت أفريقية من يد الأغالبة، رجع العرب إلى مركز ملكهم بالمشرق، ولم يبق لهم فى نواحى المغرب دولة، ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم(٦).

---

(١) دكتور السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص ٢٤٨، ٤٨٧، ٥٤٢.

(٢) أنظر عبد الرحمن باغى، حياة القيروان، ص ٢٨ - ٢٩؛ الميلى، تاريخ الجزائر جـ٢ ص ١٤٧- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، المجلد الأول ص ١٠٧.

(٣) ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة ص ١٠٨.

(٤) ابن خلدون جـ٧ ص ١٠- وانظر الميلى المرجع السابق ص ١٤٧.

(٥) العبر، جـ٦ ص ٤ وص ١٢.

(٦) ابن خلدون جـ٧ ص ١٠- وانظر الميلى المرجع السابق ص ١٤٧.

ولا يمكن أن نأخذ قول ابن خلدون على علاته، فلعله يقصد أن العرب لم يعد لهم بالمغرب دولة منذ قيام الفاطميين الذين قامت دولتهم على أكتاف قبيلتي كتامة وصنهاجة البربريتين. فالمعروف أن دول المغرب المستقلة التي قضى عليها الفاطميون، مثل الدولة الرستمية الخارجية الأباضية، ودولة الأدارسة العلوية، ودولة الأغالبة، كانت دولاً مشرقية، في حين أن الدول التي قامت في المغرب بعد رحيل الفاطميين إلى مصر كانت كلها بربرية. وليس يعني ذلك أن العرب رحلوا من المغرب، فقد بقي في المغرب الكثيرون الذين اختلطوا مع البربر وخاصة في عهد الأغالبة(١). يؤيد ذلك ما ذكره ابن خلدون نفسه من أن بقية عرب الفتح خذلوا المعز بن باديس وانحازوا إلى العرب الهلالية، بل أنه يذكر أنه كان ببرقة بطون من بني هلال استقرت هناك قبل قدوم العرب الهلالية في عهد المستنصر(٢).

ويذكر صاحب الاستبصار(٣) وهو يتكلم عن كورة قسطيلية من بلاد الجريد أنه يسكن بها مع الروم الذين أسلموا والبربر العرب الذين أقاموا فيها منذ الفتح. أما التجاني فيذكر في رحلته(٤)، أنه بعد خروجهم من طرابلس في ٢٦ ذي الحجة سنة ٧٠٧هـ مروا على قرية تاجورة التي عمرها حميد بن جارية من بني سليم سنة ٥٥٠هـ، وأنه نقل إليها سكان أرض هناك تعرف بأرض عبد رب(٥)، وأن هؤلاء من العرب الذين ينتسبون إلى قبيلة تميم الذين سكنوا هذه الأرض منذ الفتح الإسلامي. كما كان بنو محارب بن فهر- من قريش- بجهة طرابلس(٦).

ويذكر الدكتور حسين مؤنس(٧)، أن العرب الأفارقة «البلديين» كانوا

---

(١) حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر ص ١٣٥- الميلي، المرجع السابق ص٣٩- محمد الهادي العامري، ص ١٤١، د. السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ص٤١٥-٤١٦.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق جـ٦ ص ١٥ وص ١٧.

(٣) كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ص ١٥٥.

(٤) التجاني، رحلة التجاني، ص ٣٠٧-٣٠٨.

(٥) تاجورة، وأرض عبد رب، مكانان قرب طرابلس إلى الشرق منها راجع الخريطة الملحقة برحلة التجاني.

(٦) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص ١٨٠.

(٧) دكتور مؤنس، فجر الأندلس، ص ١٧٠.

يقيمون فى جماعات، كل جماعة فى ناحية ويرأسهم شخص منهم يخضع لوالى القيروان وأنه كان منهم جماعات قوية فى طرابلس وسيرت وقابس والقيروان.

ويذكر الميلى(١)، أنه لما فتح العرب المغرب، اختلطوا بالبربر، وتصاهروا وجاوروهم فى سكنى المدن والضواحى. وقد احتفظ العرب بشئون الحكم لخبرتهم، وان أقروا بعض زعماء البربر على رئاستهم. وأتبع العرب مع البربر سياسة الأخاء والمساواة وتركوا لهم أراضيهم، ولم يثقلوا كاهلهم بالضرائب، حتى أن مالية المغرب كانت غير كافية، وكانت مصر تمدها بمائة ألف دينار كل عام، وكان المغرب كله ولاية واحدة، والأندلس تابعة لها وكانت قاعدة المغرب هى القيروان، ينزل بها الولاة من قبل الخلفاء، ويولون العمال فى النواحى، فينزل هؤلاء مدناً تعتبر قواعد لتلك النواحى. فإذا انتقلنا للأندلس، نجد أن الغموض وقلة المعلومات لا يزال يحوطنا، وإن كانت معلوماتنا عن مواطن العرب فى الأندلس أكثر دقة، وذلك بفضل ما قدمه لنا ابن حزم فى كتابه «جمهرة أنساب العرب»، وابن الخطيب فى «الإحاطة فى أخبار غرناطة» وابن الأبار فى «الحلة السيراء».

كان جيش الفتح الذى قاده طارق بن زياد سنة ٩٢هـ يتألف من سبعة آلاف من البربر، ولم يضم من العرب سوى ثلاثمائة، فى حين كان جيش موسى بن نصير الذى عبر به إلى الأندلس سنة ٩٣هـ يتكون من ثمانية عشر ألفا جلهم من العرب(٢). واستقر المقام بالعرب فى الأندلس. وكما فعل عرب المغرب، تسمى العرب الأوائل بالبلديين ثم تتابعت هجرات العرب إلى الأندلس، يقول المقرى «أنه لما استقر قدم أهل الإسلام بالأندلس، وتتام فتحها، صرف أهل الشام وغيرهم من العرب هممهم إلى الحلول بها، فنزل من جراثيم العرب وساداتهم جماعة أورثوها أعقابهم إلى أن كان من أمرهم ماكان(٣) وأخذ العرب البلديون ينظرون إلى موجات العرب التى دخلت الأندلس بعد ذلك، وأطلق عليهم اسم الشاميين وكانوا من القيسية، بكثير من الحذر. بل أن العداء استفحل بين الفريقين وأشعلوا نار الحرب الأهلية فى الأندلس(٤).

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٩، ص ٤٢.

(٢) سالم، المرجع السابق ص ٢٧٣ وص ٢٧٧– مؤنس، المرجع السابق ص ١٢٦.

(٣) المقرى، نفح الطيب جـ١ ص ٢٩٠.

(٤) ابن عذارى، المصدر السابق ص ٦٥.

حتى ولى أمرها أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبى سنة ١٢٥، فأتبع سياسة تفريق القبائل العربية فى ربوع الأندلس(١). ويبدو أن الذى أشار بذلك على أبى الخطار أحد الأسبان الذين تحالفوا مع العرب عند الفتح، ويطلق عليه ابن الخطيب اسم أرطباس قومس الأندلس(٢)، وبين له أن المصلحة تقضى ابعاد القبائل الشاميين عن دار الامارة بقرطبة، وانزالهم بكور تشبه الكور(٣) التى تركوها فى المشرق وأن يترك لهم اختيار هذه الكور.

وقد أنزل أبو الخطار جند دمشق فى كورة البيرة(٤)،

وأنزل جند الاردن كورة جيان(٥)،

وأنزل جند مصر فى أكشوبنه وباجه(٦) مع البلديين الأول،

---

(١) انظر ابن الخطيب، الاحاطة ص ١٠٧-١٠٨- ابن الآبار، الحلة السيراء جـ١ ص ٦١.

(٢) ابن الخطيب، المصدر السابق ص ١٠٩. وجاء فى حاشية ٢ بنفس الصفحة أن أرطباس هذا هو الأسقف أوباس الذى تحالف مع العرب منذ الفتح، وقد عينه العرب حاكما لطليطلة ورئيسا للنصارى الذين أنضووا تحت لواء الفاتحين. وأن العرب قد أنشأوا منصب القمص ليكون صاحبه زعيماً للنصارى ومتولياً شئونهم الدينية.

(٣) جمع كوره والكوره: منطقة إدارية أشبه بالامارات فى الوقت الحاضر ويقول ابن الآبار المصدر السابق، أن أبا الخطار عمل على تفريق جميع العرب الشاميين الغالبين على البلد عن دار الامارة قرطبة إذ كانت لا تحملهم وانزلهم مع العرب البلديين على شبه منازلهم فى كور شامهم وتوسع لهم فى البلاد.

(٤) ابن الخطيب، المصدر السابق ص ١١٠- ابن الآبار، المصدر السابق ص ٦٢.

(٥) ابن الخطيب، المصدر السابق- أما ابن الآبار المصدر السابق ص ٦١ فيذكر أنه أنزلهم فى كوره ريه.

جيان: مدينة لها كورة واسعة بالاندلس بينها وبين قرطبة ١٧ فرسخاً، ياقوت مادة جيان.

(٦) ابن الخطيب، المصدر السابق- وابن الآبار المصدر السابق ص٦٥.

اكشونبه: أو أخشونبه اسم بلدة رومانية قديمة، جنوبى البرتغال، الحالية.

باجة: فى البرتغال الحالية وتسمى اليوم بيجا على بعد ١٤٠ك.م جنوب شرق عاصمة البرتغال لشبونه.

وأنزل باقيهم في كورة تدمير(١)، وأنزل في كورتي لبله(٢) وأشبيليه جند حمص مع البلديين الأول، وأنزل في كورة شذونه(٣) والجزيرة جند فلسطين وأنزل في كورة جيان جند قنسرين.

فلما رأى العرب بلدانا تشبه بلدانهم بالشام استقروا بها وعمروها وبقي العرب البلديون من الجند الأول على ما بأيديهم من أموالهم لم يعرض لهم في شيء منها(٤).

وإذا كان أبو الخطار قد حاول حل مشكلة التعصب القبلي بتفريق القبائل في مختلف مناطق الأندلس، فقد قام المنصور بن أبي عامر(٥) بمحاولة تمزيق الوحدة القبلية عن طريق تشكيل فريق الجيش من قبائل متعددة، يقول المقرى: «كان عرب الأندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والأفخاذ، إلى أن قطع ذلك المنصور بن عامر الداهية الذي ملك سلطنة الأندلس، وقصد بذلك تشتيتهم وقطع التحامهم وتعصبهم في الأعتزاء، وقدم القواد على الأجناد، فيكون في جند القائد الواحد فرق من كل قبيلة، فانحسمت مادة الفتن والأعتزاء بالأندلس(٦).

أما عن أهم القبائل العربية في الأندلس فكانت كما يلي:

من القبائل القيسية:

---

(١) ابن الخطيب، المصدر السابق، ابن الأبار، المصدر السابق ص ٦١.
تدمير: هو الاسم القديم لكورة مرسية التي اختطها الأمير عبد الرحمن الأوسط سنة ٢١٦هـ.

(٢) ابن الأبار، المصدر السابق.
لبله: كورة كبيرة بالأندلس غرب قرطبة، بينها وبين قرطبة ٤٤ فرسخا. ياقوت، معجم البلدان.

(٣) ابن الأبار، المصدر السابق.
شذونه: مدينة بالأندلس من أعمال اشبيلية- ياقوت، معجم البلدان مادة شذونه.
الجزيرة: مدينة مشهورة بالأندلس، وقبالتها من البر بلاد البربرسبتة، وأعمالها متصلة بأعمال شذونه. ياقوت معجم البلدان مادة الجزيرة الخضراء.

(٤) ابن الأبار، المصدر السابق ص٦٣- ويقول الدكتور مؤنس: محقق الحلة السيراء حاشية(١) ص ٦٢ أن هذه الكور تمثل معظم جنوب شبه الجزيرة.

(٥) هو المنصور أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري الذي أستبد بالحكم في عهد المؤيد- المغرب في حلى المغرب جـ١ ص ١٩٩.

(٦) المقرى، نفح الطيب جـ١ ص ٢٩٣.

بنو غطفان بأشبيلية بقرية قرشانه من الشرف(١).

وبنو مرة من ذبيان بالبيرة(٢).

وبنو عك من عدنان، ومنهم كان أمير الأندلس عبد الرحمن الغافقى وعقبة بمرنيانه الغافقين بقرب أشبيلية على النهر الكبير(٣).

بنو زهره بأشبيلية(٤).

قبائل كنانه بطليطله وأعمالها.

هزيل بن مدركة بن مضر بجهة أربوله من كورة تدمير.

تميم بن أد بن مضر منهم خلق كثير بالأندلس.

أما قيس عيلان من العدنانية ففى الأندلس كثير منهم من ينتسب إلى سليم بن منصور، ومنهم من ينتسب إلى هوازن بن منصور، وكان منهم بأشبيلية خلق كثير.

أما بنو بكر بن هوازن فلهم منزل على ثلاثة أميال من بلنسية، وكان بأشبيلية منهم عدد كبير(٥).

أما بنو سعد بن بكر بن هوازن، وبنو كلاب بن ربيعة بن صعصعة، وبنو نمير بن عامر بن صعصعة فكانت منازلهم بغرناطة. وبنو ربيعة بن نزار وكان لهم أقليم مشهور بأسمهم بوادى آش(٦)

أما القبائل اليمانية أو القطحانية، فكما يقول المقرى(٧) أنهم الأكثرية بالأندلس ولهم الزعامة. ويلاحظ أن قبائل بأسرها تكاد تكون قد تركت الجزيرة العربية لتستقر خارجها، ومنها الأندلس، فقبائل الأسد التى ينتسب

---

(١) بلدة من سواد أشبيلية- ابن حزم، المصدر السابق ص ٢٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٢٩، ويقصد بالنهر الكبير نهر الوادى الكبير.

(٤) المقرى، المصدر السابق ص ٢٩٠.

(٥) المقرى، المصدر السابق ص ٢٩١- بلنسيه- كورة ومدينة مشهور بالأندلس شرق قرطبة- ياقوت معجم البلدان.

(٦) وادى آش: ويطلق عليه أيضا واد ياش، كانت فى التقسيم الإدارى الأندلسى تابعة لكورة البيرة (وهى غرناطة)- انظر ابن الابار المصدر السابق جـ٢ ص ٣٥٤ حاشية/١.

(٧) المصدر السابق، ص ٢٩٣.

إليها الأوس والخزرج كان منهم جمع غفير فى الأندلس، حتى ذكر المقرى عن ابن سعيد «أنك تعدم هذا النسب بالمدينة وتجد منه بالأندلس فى أكثر بلدانها ما يشذ عن العدد كثره. وكان الأنصار بناحية طليطلة وهم أكثر القبائل بالأندلس فى مشرقها ومغربها(١) «ويوجد من الخزرج بنو مالك وكانوا بقرية شوش الأنصار من أشبيلية.

أما بنو كعب من ولد سعيد بن سعد بن عباده فكانوا بقرية يقال لها: قربلان من عمل سرقسطة(٢).

وكانت دار تجيب من كنده، سرقسطة ودروقة وقلعة أيوب(٣). ودار بلى من قضاعة، الموضع المعروف بأسمهم بشمال قرطبة(٤). ودار بنى عزره بن سعد هزيم، دلاية وجيان وسرقسطة(٥).

ومن القبائل اليمنية أيضاً التى كانت بالأندلس، الهمزانيين وكان منزلهم على ستة أميال من غرناطة، والبيرة(٦).

وطئ قبلى مرسيه، ويذكر ابن حزم أن منزلهم بسطه وتاجله(٧). وكهلان بين الجزيرة الخضراء وأشبيلية، ولهم قلعة خولان نسبة إلى خولان بن عمرو بن الحارث بن مرة(٨).

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٩٤، ص ٣٦٥.

وشوش الأنصار: قرية مشهورة على نهر يمر على مدينة استجة ويصب فى نهر قرطبة.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٣٠.

دروقة: بلدة بالأندلس من أعمال سرقسطة- انظر الأبار المصدر السابق جـ٢ ص ١١٨ حاشية/٢.

قلعة أيوب: قرب دروقة، انظر ابن الأبار، المصدر السابق جـ٢ هامش ١ ص ٧٩.

(٤) المصدر السابق ص ٤٤٣.

(٥) المصدر السابق ص ٤٥٠.

(٦) المقرى، المصدر السابق ص ٢٩٥- ابن حزم المصدر السابق ص ٣٩٧.

(٧) المقرى، المصدر السابق- وابن حزم المصدر السابق.

وبسطة: من كور جيان بالقرب من وادى آش- وتجلة: حصن من عمل بسطة على وادى المنصورة.

(٨) المقرى، المصدر السابق- ابن حزم المصدر السابق ص ٣٩٢

أما المعافر بن مرة فمنهم المنصور بن أبى عامر.

أما بنو لخم بن عدى بن مرة فمنهم بنو عباد أصحاب اشبيلية وكانت منازلهم فى شذونه والجزيرة وتدمير وأشبيلية(١).

أما الحضرميون فكانوا بمرسيه وغرناطة وأشبيلية وبطليوس وقرطبة(٢).

(١) المقرى، المصدر السابق- ابن حزم صفحات ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٤.

(٢) المقرى، المصدر السابق، ص ٢٩٨.

الفصل الأول

بنو هلال وبنو سليم قبل غزو المغرب

- مواطن بني هلال وبني سليم.
- انضمامهم لحركة القرامطة.
- توطين بني هلال وبني سليم في مصر.

مواطن بنى هلال وبنى سليم:

يقول ابن حزم(١)، أن جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة رجال هم عدنان وقحطان وقضاعة. وأن عدنان من ولد اسماعيل، وقد ولد عدنان معد، ومن أولاد معد نزار، ومن أولاد نزار مضر، ومن أولاد مضر قيس عيلان. وقد أنحدر العديد من قبائل العرب من قيس عيلان. حتى لقد أطلق على عرب الشمال الذين هم من عدنان إلى اسم القيسية.

وبنو سليم وبنو هلال من قيس عيلان، ويجتمعان فى منصور ابن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر. فسليم أبوه منصور وأمه تكمه بنت مرّ بن أدّ بن طابخه بن الياس بن مضر، التى ولدت أيضاً غطفان(٢).

أما هلال فهو ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر(٣). وأم عامر هى عمره بنت الظرب(٤).

وقد تعددت بطون بنى سليم وعشائرهم وكلهم من أبناء بهثه ابن سليم(٥). وقد ذكر ابن حزم فى الجمهرد معظم هذه القبائل والبطون.

وإن ذكر الطبرى وابن خلدون وابن دريد والمقريزى والقلقشندى وبعض المراجع الحديثة بطونا لم يذكرها ابن حزم وإن شاركوه فى ذكر البطون التى أوردها. والبطون التى ذكرها ابن حزم وغيره(٦).

---

(١) المصدر السابق، ص ٧ وما بعدها.

(٢) ابن قتيبة الدينورى، المعارف، ص ٣٦
ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٠٦.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٧٣.

(٤) القلقشندى، نهاية الارب فى معرفة انساب العرب، ص ٣١٦.

(٥) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٦) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦١، وص ٤٦٨، وانظر المقريزى، البيان والاعراب، ص٦٨.
القلقشندى، المصدر السابق، ص ١٨١- ابن قتيبة الدينورى المعارف، ص ٣٨- ابن دريد، الاشتقاق ص ٣٠٧ وص ٣٠٨ ابن عبد البر، أنباه الرواه ص ٨٥ وص ٨٦.

معاوية بن بهثه وثعلبه بن بهثه وعوف بن بهثه، والحارث بن بهثه، وبنو ذكوان ابن رفاعة بن الحارث، وأمرؤ القيس بن بهثه ومن أهم بطونه بنو وعل وبنو بهز وبنو عصيه(١).

ومن البطون والعشائر التى ذكرها غير أبن حزم، بنو شيبان وبنو الشريد بن رياح، وبنو سماك، وبنو مطرود، وبنو القنفذ، وبنو سليمان بن ذباب، وبنو الأزرق بن عوف بن خفاف، والبسس بطن من وديعة، وحريز بن تميم بن عمر، وبنو عبس بن رفاعة أبن الحارث بن بهثه، وبنو عميره بن خفاف بن أمرؤ القيس، وبنو قتبه وبنو بجله(٢).

ويذكر أبن حزم(٣) أن غاضره وعاتيه من ولد النمر بن وبره بن تغلب بن قضاعه دخلوا فى بنى سليم بن منصور.

وكانت منازل بنى سليم بين مكة والمدينة مع أمتدادها إلى خيبر ووادى القرى وتيماء، يقول الهمدانى(٤) «من وادى القرى إلى خيبر إلى شرق المدينة إلى حد الجبليين إلى ما ينتهى إلى الحره ديار سليم وأما نجد ما بين مكة والمدينة من ذات عرق فإلى الجبلين فالمعدن معدن سليم فراجعا إلى وادى القرى إلى الحجر موضع ثمود والناقة». ويقول القلقشندى(٥) أن منازلهم كانت فى عالية نجد بالقرب من خيبر ومنازلهم حره سليم وحره النار ووادى القرى وتيماء.

---

(١) يذكر ابن حزم فى الجمهرة، ص ١٧٠، «وقيل أن عصية التى من سليم هى عصية بن معيص بن عامر بن لؤى.

(٢) أنظر الطبرى، جـ٣ ص ٦٥.
ابن الأثير، جـ١ ص ٦٠٩.
ابن دريد، الاشتقاق، ص ٣٠٧.
ابن قتيبه، المعارف، ص ٣٨.
القلقشندى، المصدر السابق، صفحات ٤٧، ٦٠، ١٧١، ١٨٢، ٢٦٣، ٢٩٦، ٣٢٧، ٣٧٨، ٤٢٣- كحاله، معجم القبائل العربية، ص ٥٤٣ جواد على، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٤ ص ٢٦٠، عاتق البلادى، معجم قبائل الحجاز، جـ١ ص ١٧، ٣٦، ١٠١.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٥٠.

(٤) صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٤.

(٥) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

وأشتهـرت ديار سليم بالخصب، لكثرة المياه والثـروة الطبيعيـة بالجبال وخاصة الذهب، كـما أشتهرت جـبالها بكثرة مـا بها من عسل(١). وكـانت أهم مناجم الذهب فى جـزيرة العـرب هو المنجم الموجود فـى ديار بنى سليم، ويقع فى جبل فاران(٢).

ويبدو أن بطـونا من بنى سليم تركوا ديارهم قـبل الإسلام وأقـاموا فى أماكن أخرى مثل الحيره، حيث أعتنقوا النصرانية. ومنهم من ذهب إلى فلسطين فى عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م)(٣).

كان بنو سلـيم ينعمون بالرخـاء وسعـة العيش، بما تغله عليـهم الزراعة والتـعدين، إلـى جانب التـجـارة حيث كـانوا يشـتـركون فى رحلـتى الشتـاء والصيف(٤). وكانت بلادهم تهيمن على طرق التـجارة مع الشام والعراق. لذلك كثـر عددهم حتى أصبـحوا من القبـائل التى أعتبـرت من أثافى العرب(٥)، كما أشتهروا بالفروسية، حـتى قيل «الفرسان من بنى سليم». وكان يقال «إذا كنت من قيس ففاخر بغطفـان وكاثر بهوازن وحارب بسليم(٦). ويقول القلقشندى» وهم أكثر قبائل قيس وفيهم الأبطال الأنجاد والخيل الجياد(٧).

وهـكذا كـانت سليـم من أشهـــر قبـائل العرب فى الجـاهلية مـرموقـة مـرهوبـة الجـانب، لها صـلاتهـا القويـة مع قريش فى مكـة، وقد تعـدت هذه الصلات العلاقات المادية إلـى المصاهـرة(٨). كما كان لـهـم علاقـة طيبـة مـع

---

(١) جواد على، المرجع السابق، جـ٧ ص ١١٩.

(٢) كحاله، جغرافية شبه جزيرة العرب، ص ٢٦.

- جواد على، المصدر السابق، ص ٥١٤. ويقول أن جبل فـاران نسب إلى فران بن بلى دخلوا فى سليم ويأخذ على طريق الكوفة إلى مكة. ويذكر أن شـركة التعدين السعودية عثرت على أدوات فى هذه المناجم كان يستـعملها الأولون قـبل الإسلام فى استـخراج الذهب. وجاء فى دائرة المعارف، مادة سليم، أن الذهب الذى كـان يستـخرج من مناجم سليم ظل موردا هاماً من موارد الدولة الإسلامية حتى عهد الدولة الأموية.

(٣) عبد القدوس الأنصارى، بنو سليم، ص ١٣.

(٤) المقريزى، أتعاظ الحنفا، جـ٢، ص ٢١٥.

(٥) جواد على، المصدر السابق، جـ٤ ص ٣٣٤- والاثفية: العدد الكثير والجماعة من الناس.

(٦) جواد على، المصدر السابق، جـ٤ ص ٥٧٠ وص ٥٧١.

(٧) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٨) أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٢. ص ٣٣ - ٣٤.

يهود يثرب، ولعل هذا كان من أسباب اشتراك بنى سليم فى غزوة الأحزاب(١).

وكطبيعة العرب فى الجاهلية، كان لسليم أيامهم حيث تدور الحروب بينهم وبين القبائل الأخرى وكان بعض هذه الأيام لسليم وأخرى عليهم. ويروى أن النعمان بن المنذر ملك الحيره نقم على بنى سليم لأمر ما، فأرسل إليهم جيشاً لقتالهم، ولكنهم تمكنوا من هزيمته(٢). ومن أيام بنى سليم المشهورة يوم الفجار الثانى بين قريش وقيس ومنهم بنى سليم(٣). ويومى حوزة الأول والثانى هزمت فيها سليم ذبيان(٤)، ويوم الكديد(٥) لبنى سليم على كنانه، ويوم برزه(٦) هزمت فيها كنانة سليما، ويوم سمطه(٧)، وهو موضع قريب من عكاظ وفيه هزمت قيس ومنهم سليم كنانة وقريش، ويوم ذات الأثل(٨) فيه هزمت تميم سليما، ويوم ذات الرمرم(٩) بين بنى مازن وسليم، ويوم تثليث(١٠) بينهم وبين مراد.

وقد قاومت سليم الإسلام مدة، ويبدو أن ذلك كان ارضاء لقريش(١١).

---

(١) السمهودى، وفاء الوفاء، ص ٣٠٠ - ٣٠١.

(٢) جواد على، المرجع السابق، جـ٤. ص ٥١٩.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ١ ص ٥٩٤- ابن عبد ربه، العقد الفريد جـ٣ ص٧٧-٧٨- القلقشندى، المصدر السابق، ص ٤٥٧ ولعل أيام الفجار هى أشهر أيام العرب جميعاً. وقد سميت كذلك لأنها وقعت فى الأشهر الحرم فعد خروجهم على السلم فيها فجوراً. وكان، بينه وبين مبعث رسول الله ستة وعشرون عاماً وأنه صلى الله عليه وسلم. حضر الفجار وهو حدث لم يتجاوز الرابعة عشر من عمره.

(٤) ابن عبد ربه، المصدر السابق، جـ٣ ص ٥٢- جاد المولى وآخرون، أيام العرب فى الجاهلية ص ٢٨٣-٢٨٩، وحوزه واد بالحجاز.

(٥) ابن عبد ربه، المصدر السابق، جـ٣ ص ٥٥- جاد المولى المرجع السابق ص ٣١٢- والكديد موضع على بعد اثنين واربعين ميلاً من مكة.

(٦) جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣١٩. ولم يذكر أين يقع هذا الموضع.

(٧) جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٣١.

(٨) ابن عبد ربه، المصدر السابق، جـ٣ ص ٥٣- جاد المولى، المرجع السابق، ص ٣٩٩، وذات الأثل موضع فى بلاد تميم الله بن ثعلبه.

(٩) جواد على، المرجع السابق، جـ٤ ص ٥١٩.

(١٠) المرجع السابق.

(١١) عبد القدوس الأنصارى، المرجع السابق، ص ١٢٧.

ولكن هذا لم يمنع بعض رجالات سليم من الدخـول فى الإسلام فى وقت مبكر، فإن عـمرو بن عبسـه من بنى مالك ابن ثعلبة بن بهـثه بن سليم أسلم فى وقت مبكر فى وقت كان المسلمون فيه أربعة، فكان يقول: كنت يومئذ ربع الإسلام(١) كما أن النعمان بن عمرو بن النعـمان من بنى بهز بن أمرؤ القيس. أبن بهثه بن سليم كان صاحب راية المسلمين يوم أحد(٢).

ولقد غزاهم النبى ﷺ اكثـر من مرة(٣) إلا أن الإسلام سـرعان مـا عرف طريقـه إلـى قلوبهـم فأخـذوا يدخلـون فـى الإسـلام جماعات، وذلك بعـد صلـح الحديبيـة وبعـد انتصـار الرسـول فـى خيـبر سنـة ٧هـ(٤). وكـان أوائـل من أسلم قيس بن نسيبه الذى كان منجما وعلى علم بلغة الروم والفرس ويقول الشـعر، وقد جاء إلى الرسـول بعد غزوة الخندق وسأله عن مسـائل لا يعلمها إلا من يوحى إليه، فأسلم ورجع إلى قومه فقال «يا بنى سليم قد سمعت ترجمة الروم وفارس، وأشعار العرب والكهان، ومقـاول حمير، وما كلام محمد يشبه شيئاً من كلامهم، فأطيعونى فى محمد فإنكم أخواله، فإن ظفر تنتفعوا به وتسعدوا، وأن تكن الأخـرى فإن العرب لا تقدم عليكم، فقـد دخلت عليه وقلبى عليه أقسى من الحجر، فما برحت حـتى لان لكلامه». وقد أسلم بأسلامه العدد الكبير من سليم وكان الرسول ﷺ يسميه حبر بنى سليم(٥).

كمـا أن سيـدا من سادات سليم أسـمه قدر بـن عمار قـدم على النبى ﷺ بالمدينة فأسلم وعـاهده أن يأتيه بألف من قـومه ولكنه لما عاد إلى قـومه أحس بالموت فطلب من عباس بن مرداس وجبار بن الحكم والأخنس بن يزيد بالتوجه للنبى ﷺ، وأمر كل واحد على ثلاثمائة، ثم لحق بهـم المقنع بن مالك بن أمية على مئة رجل فصار عددهم ألفا(٦).

---

(١) ابن دريد، الاشتقاق، ص ٣١٠.
أبن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦٤.
(٢) القلقشندى، المصدر السابق، ص ١٨٣.
(٣) أرجع إلى هذه الغزوات فى الطبرى جـ٢، جـ٣- وابن الاثيـر جـ٢- وأنظر السمهودى، المصدر السابق جـ١. ص ٢٨٠ وما بعدها- جواد على، المرجع السابق، جـ٤ ص ٢٦٠ و جـ٧. ص ٣٣١- محمد أبو الفضل، أيام العرب فى الإسلام ص ٥٣-٥٥.
(٤) أنظر الأنصارى، المرجع السابق، ص ١٩.
(٥) جواد على، المرجع السابق، جـ٤. ص ٢٥٧ وجـ٨ ص ٣٧٤.
(٦) جواد على، المرجع السابق، جـ٤. ص ٢٥٨.

واشترك بنو سليم بعد ذلك فى فتح مكة، وكان عددهم فى جيش الرسول ﷺ سبعمائة(١)، وكان الورد بن خالد بن حذيفة من بنى مالك بن ثعلبه بن بهثه بن سليم على ميمنة الرسول ﷺ يوم الفتح(٢). كما اشتركوا فى غزوة حنين سنة ٨هـ (٣).

فلما توفى الرسول ﷺ، وكانت حركة الردة، انقسمت على نفسها فبعضها ثبت على الإسلام، وأرتد البعض. وقامت الحرب بين الفريقين، حتى فاء من خرج على دين الله وعاد إلى الجماعة(٤).

ثم كان لهم إسهام فى حركة الفتوحات الإسلامية التى حملتهم إلى خارج الجزيرة العربية حيث أستقر كثير منهم فى الكوفة والبصرة وسائر أنحاء العراق، كما أقاموا فى خراسان والشام بحمص ودمشق(٥) وبديار بكر وبلاد الجزيرة فى الرها وحران(٦) والمغرب والأندلس(٧).

ولكن بنى سليم لم يدخلوا مصر إلا فى سنة ١٠٩هـ، عندما ولى عبد الله بن الحبحاب خراج مصر فى خلافة هشام بن عبد الملك. فقد رأى ابن الحبحاب أنه لا يوجد بمصر من القيسية إلا العدد القليل فكتب إلى الخليفة يستأذنه فى استقدام بعض القيسيه وخاصة أن بمصر كورا مثل بلبيس قليلة السكان ولا يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يتأثر الخراج، فأذن له الخليفة فى استقدام من يشاء. فبعث أبن الحبحاب إلى البادية فقدم عليه مئة أهل بيت من مضر ومئة أهل بيت من سليم، فأنزلهم بلبيس وأمرهم بالزرع وبذل لهم من مال العشور فأشتغلوا بالزراعة وبنقل البضائع إلى القلزم فأثروا، ولحق

---

(١) الطبرى، المصدر السابق، جـ٣. ص ٦٤- ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢٤٢.

(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٣) الطبرى، المصدر السابق، ص ٧٠ وما بعدها- ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٢. ص٢٦١.

(٤) الطبرى، المصدر السابق، جـ٣ ص ٢٦٥- ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٢ ص٣٥٠.

(٥) أنظر الطبرى، المصدر السابق، جـ٤. ص ٤٥ وجـ٦ ص ٦٢٠، وجـ٧ ص ٥١، ٥٢- ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٤ ص ٣١١ وص ٣٢٣ وص ٥٠٦ وجـ٦ ص ١٢٩- الجهشيارى، كتاب الوزراء والكتاب، ص ٩٩- ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(٦) الهمدانى، صفة جزيرة العرب، ص ٢٧٥.

(٧) المقرى، المصدر السابق، جـ١. ص ٢٩١.

بهم من البادية آخرون فزاد عددهم حتى أصبح عند وفاة الخليفة هشام ألف وخمسمائة أهل بيت، ثم زاد عددهم فى خلافة مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إلى ثلاثة آلاف أهل بيت. وفى عهد محمد بن سعيد والى خراج مصر فى سنة ١٤٣ هـ فى عهد الخليفة المنصور العباسى أصبح عددهم خمسة آلاف(١). ويبدو أن قوما من بنى سليم رحلوا إلى أسوان حيث أقاموا، إذ يذكر اليعقوبى(٢) أنه كان فى معادن التبر قوم من بنى سليم وغيرهم.

وهكذا انتشر بنو سليم بأعداد كبيرة فى مختلف أرجاء الدولة الإسلامية حتى لقد وهم المقريزى(٣) والقلقشندى(٤)، فذكر أنه لم يبق لهم عدد ولا بقية ببلادهم. وكان لبنى سليم فى البلاد التى استوطنوها مكانة مرموقة، فيذكر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى الأمصار ليرسلوا له من كل مصر بأفضله رجلا، فكانوا كلهم من بنى سليم(٥).

شارك بنو سليم فى كثير من الأحداث التى قامت فى الدولة الإسلامية. فكانوا ممن ظاهروا الخليفة عثمان بن عفان(٦) رضى الله عنه كما شاركوا سنة ٣٦هـ فى موقعة الجمل بقيادة مجاشع بن مسعود السلمى(٧) وفى موقعة مرج راهط فى المحرم سنة ٦٥هـ ضد مروان بن الحكم(٨) كما انضم السلميون إلى عبد الله بن الزبير ضد بنى أمية(٩)، وكذلك اشتركوا فى ثورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب سنة ١٢١هـ.(١٠) وفى عهد الدولة العباسية انضم بنو سليم إلى محمد بن عبد الله (النفس الذكية)(١١). ولعل هذا ما جعل

---

(١) الكندى، كتاب الولاه وكتاب القضاء، ص ٧٦-٧٧- المقريزى، البيان والأعراب، ص٦٥-٦٨.

(٢) د. عابدين، انظر البيان والإعراب للمقريزى، ص ١٠٧.

(٣) البيان والأعراب، ص ٦٨.

(٤) نهاية الأرب، ص ٢٩٥.

(٥) انظر كحالة، معجم قبائل العرب، ص ٥٤٥.

(٦) الأنصارى، المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٧) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٣. ص ٢٤١.

(٨) المصدر السابق، جـ٤. ص ١٥١.

(٩) الأنصارى، المرجع السابق، ص٢٠.

(١٠) الطبرى، المصدر السابق، جـ٧ ص ١٧٢.

(١١) المصدر السابق، جـ٧. ص ٥٨١.

الخليفة المنصـور فى نصيحته الأخـيرة لابنه المهدى، يطلب منه عدم الاسـتعانة بأحد من سليم(١).

ويبدو أن العلاقات أخـذت تسوء بين بنى سليم والخلافة العبـاسية حتى أنتهى الأمـر بخروجهم عليهـا، وعمدوا إلى الأفـساد فى الأرض وقطع الطريق على الحاج. يقول أبن خلدون «فلمـا أنثالت الدولة العباسية وأسـتبد الموالى من العجم عليهم، أعتز بنو سليم هؤلاء بالقفر وأجلبوا على الحاج بالحرمين ونالتهم منهم معرات. ولما أنقسم ملك الإسلام بين العباسـية والشيعة، وأختطوا القاهرة نفقت لهم أسواق الفتنة والتعزز وساموا الدولتين بالهضيمة وقطع السابلة»(٢).

كما يذكر ابن خلدون أيضاً أن بنى سليم كانت فى عهد العباسيين شوكة بغى وفتنة حتى لقد أوصى بعض خلفـائهم أبنه أن لا يتزوج منهم وأنهم كانوا يغيـرون على المدينة فعمدت الخـلافة العباسـية إلى إرسال الجيـوش من بغداد للايقاع بهم(٣).

وبلغ الأمر ببنى سليم أنهم كـانوا يطرقون أسواق الحجاز، فيـأخذون ما يريدون بالسـعـر الذى يريدونه هم وزاد ضـررهم علـى الحـجـاج وعلى من جاورهم من القبائل، حـتى لقد وجه إليهم الخليفة الواثق القـائد بغا الكبير سنة ٢٣١هـ حيث أوقع بهم وببنى هلال(٤).

ولما ظهـر القـرامطة فـى البـحـرين أنضم إليـهم بنو سلـيم وبنو هلال، وسنتعرض لذلك بعد التعريف ببنى هلال.

أما بنو هلال فكانت مواطنهم بنجد فيما بين الطائف وجبل غزوان(٥).

ومن بلادهم رنيه وتربه وأبيده والقريجـا والقبلاء والفتق ووادى جلذان، كما كانت سوق عكاظ من منازلهم(٦). وكان لهم بيت عبـادة يدعى ذو الخلصة

(١) الطبرى، جـ٨ ص ١٠٣-١٠٤- ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٦. ص ١٩- ابن خلدون، جـ٧. ص ٢٧٣.

(٢) أبن خلدون، جـ٧. ص ٢٧٣.

(٣) ابن خلدون، جـ٦. ص ١٣ وص ٧٢.

(٤) الطبرى، المصدر السابق، جـ٩ ص ١٣٠-١٣٢- ابـن الأثير، المصدر السابق، جـ٧. ص ١٢-١٣.

(٥) ابن خلدون، جـ٦. ص ١١ وص ١٣- المقريزى، اتعاظ الحنفا جـ٢. ص ٢١٥.

(٦) الهمدانى، المصدر السابق، ص ٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ٢٦٠، ٤٣٧.=

بالعبلاء على أربع مراحل من مكة(١). ومن حرارهم حره بني هلال بالبرك جنوب شرق الطائف. ومن مياهم مياه البقهاء(٢).

وكانت أهم بطون بني هلال بنو شعثه بن هلال وبنو عبد الله ابن شعثه وبنو ناشره بن هلال وبنو عمرو بن ناشره وبنو ظالم ابن ناشره وبنو نهيك بن هلال وبنو عبد مناف بن هلال وبنو حرب ابن هلال وبنو مسروح بن حرب وبنو سالم بن حرب وبنو عبيد الله ابن حرب وبنو رياح وبنو زغبه وبنو ربيعه وبنو عدى وبنو قره والأثبج وبنو روبيه بن عبد الله وبنو الهزم(٣).

ولبنى هلال أيضاً أيامها في الجاهلية كيوم الفجار الثاني(٤)، وكان على بني عامر ملاعب الأسنة أبو براء، ويوم الوتده بالدهناء حيث أغارت بنو هلال على أنعام بني نهشل فحاصرتهم بنو نهشل بالونده فما أفلت من بنى هلال إلا رجل واحد(٥)، ويوم رحرحران كان أولهم بين بني دارم وعامر بن صعصعة والثاني بين تميم وبنى عامر، ويوم مزلق كان لسعد على عار بن صعصعة(٦). كما كانت لهم أيامهم مع الأزد وبنى سليم(٧).

=رنيه: واد يقع على مسافة ٩٠ ميلا جنوب شرق الطائف على الطريق من نجد إلى اليمين وفيه قرى.

تربه: مدينة تحيط بها الأراضي الزراعية ومزارع النخل. ويذكر ياقوت أنه واد على مسافة يومين من مكة يسكنه بنو هلال وطول الوادى ثلاثة أميال.

القريجا: والقبلاء، والفتق: كانت قرى عامرة وقد خربت.

جلذان: واد منقلب إلى نجد شرق الطائف.

(١) الأزرقى، أخبار مكة، جـ١. ص ٣٧٥. ويقول الأزرقى: قال المبرد موضعه، اليوم -أى موضع ذى الخلصة- مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات بأرض خشعم.

(٢) كحالة، معجم البلدان، جـ٣. ص ١٢٢١.

البلادى، المرجع السابق، جـ٣. ص ٥٢٢.

(٣) أنظر ابن حزم، المصدر السابق ص ٢٧٣-٢٧٥- ابن دريد، المصدر السابق، ص ٢٩٤، القلقشندى، المصدر السابق، صفحات، ١٧٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٤١، ٣٤٣، ٣٩٧.

ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٤، ١٧.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٤٥٩- كحالة، المرجع السابق، جـ٣. ص ١٢٢١.

(٥) القلقشندى، الصمدر السابق، ص ٤٥٩- كحالة، المرجع السابق، جـ٣. ص ١٢٢١.

(٦) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٤٥٨، وص ٤٦٠.

(٧) البلادى، المرجع السابق، جـ٣. ص ٥٢٢.

وكان لبنى هلال صلة طيبة بقريش قبل الإسلام وبعده. وقد صاهرتهم قريش فكان منهم صفية بنت حزن من بنى عبد الله ابن هلال، وهى أم أبى سفيان بن حرب بن أمية وعمة أم المؤمنين ميمونة(١)، ولبابه الكبرى من بنى عبد الله بن هلال وهى أم خالد ابن الوليد(٢)، ولبابه الصغرى وهى لبابه بنت الحارث بن حزن أم عبد الله بن العباس رضى الله عنهما(٣).

وقد تزوج النبى ﷺ من بنى هلال أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث بن حزن(٤) وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد الله بن عبد مناف ابن هلال بن عامر، وقد تزوجها رسول الله ﷺ سنة ٤ هـ(٥).

ويبدو أن موقف بني هلال من الإسلام كان متعارضا. فالبعض دخلوا فى الإسلام قبل فتح مكة، والبعض ظل على موقفه من العداء للإسلام

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ابن حزم، المصدر السابق.
الفاسى، العقد الثمين، جـ٨. ص ٣١٥،٣١٤.
ويترجم لها الفاسي بقوله هي لبابه بنت الحارث بن حزن بن يجير بن الهزم بن رويبه بن عبد الله بن عامر بن صعصعة. وهى أخت أم المؤمنين ميمونة زوج النبى ﷺ. وقد تزوجها العباس بن عبد المطلب وهى أم أكثر بنيه. يقال انها اول امرأة أسلمت بعد خديجة رضى الله عنها. وكان النبى ﷺ يزورها ويقيل عندها، وروت عنه أحاديث كثيرة. وكانت من المنجيات ولدت للعباس ست رجال لم تلد أمرأة مثلهم.

(٤) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٧٤.
ابن قتيبة، المصدر السابق، ص ٣٩.
الفاسى، جـ٨. ص ٣٢٠،٣١٩.
يقول الفاسى كان اسم ميمونة. وقد تزوجها بعد رجوعه من خيبر سنة ٧ هـ وبنى بها بسرف وهو موضع على ستة أميال من مكة. قال ابن شهاب وهى التى وهبت نفسها للنبى ﷺ، وفيها نزلت الآية «وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبى «سورة الأحزاب» آية خمسين.

(٥) ابن قتيبة، المصدر السابق، ص ٣٩.
ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٧٤.
ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٢. ص ١٧٠.

واشتركوا ضد المسلمين فى غزوة حنين سنة ٨هـ(١). كما أنهم قتلوا رسولا أرسله النبى ﷺ يدعوهم للإسلام، هو قره بن حصين بن فضاله من بنى عبس(٢).

ولما كانت الرده وقفت بنو هلال موقف المترقب، أو كما يقول ابن الاثير(٣) «تقدم إلى الرده رجلا وتؤخر رجلا، وتنظر ما تصنع أسد وغطفان». ولكنهم سرعان ما أتوا خالد بن الوليد فأعطوه أيديهم على الإسلام.

وأشترك بنو هلال مثل غيرهم من قبائل العرب فى حركة الفتوح العربية. وأستقر الكثيرون منهم -مثل غيرهم- فى الاقاليم المفتوحة ولاسيما الشام(٤). كما أن بعضهم تولى مراكز هامة مثل سعيد الحرشى الهلالى الذى ولاه ابن هبيره والى العراق على خراسان سنة ١٠٣ هـ(٥).

ولقد جاء الهلاليون إلى مصر قبل الهجرة التى شجعهم عليها العزيز بالله الفاطمى، فجاءت بنى قره حيث أقاموا بالبحيرة والصعيد(٦). كما كان بالحوف منهم جمع كبير أشترك فى الثورة ضد الخليفة المامون سنة ٢١٤هـ بقيادة عبد الله بن حليس الهلالى(٧).

وكما قام بنو سليم فى عهد الدولة العباسية بالتعرض للحجاج، قام بنو هلال أيضاً بقطع الطريق عليهم، حتى قام بغا الكبير بحملته التى ذكرناها سنة ٢٣٠هـ وقبض على رؤوس الفتنة وسجنهم بالمدينة. وكما أنضم بنو سليم إلى فتنة القرامطة أنضم إليهم بنو هلال.

---

(١) الطبرى، المصدر السابق، جـ٣. ص ٧٠.
ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٢. ص ٣٦١.
(٢) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٢٥١.
(٣) ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٢. ص ٣٤٩-٣٥٠.
(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦. ص ١١. ويذكر ابن خلدون «اقام بنو هلال بالشام إلى أن ظعنوا إلى المغرب وبقى منهم بقية بجبل بنى هلال المشهور بهم قبلى قلعة صرخد واكثرهم اليوم يتعاطون الفلح.
(٥) الطبرى، المصدر السابق، جـ٦. ص ٦٢٠.
(٦) انظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤. ص٥٨، وجـ٦. ص ٥.
المقريزى، البيان والاعراب، ص ٢٢- ويخالف الدكتور عابدين ناشر البيان والاعراب كلا من ابن خلدون والمقريزى فيذكر فى صفحة١١٦ أن بنى قره هؤلاء جذاميون يمنيون.
(٧) الكندى، المصدر السابق، ص ١٨٥، ١٨٨.

انضمام بني هلال وبني سليم إلى فتنة القرامطة:

والقرامطة(١) فرقة من الشيعة الاسماعيلية ظهرت في عهد الخليفة المعتضد بالله (٢٧٩هـ - ٢٨٩هـ)، عندما أرسل عبد الله بن ميمون القداح(٢) أحد دعاته وهو حسين الأهوازي إلى سواد الكوفة، حيث لقي هناك حمدان بن الأشعث المعروف بقرمط، فدخل في الدعوة وساعد على نشرها في سواد العراق. ثم أنتشرت دعوتهم في شمال غرب بلاد العراق وبادية السماوة وبعض بلاد الشام على يد ذكرويه بن مهرويه. أما في البحرين فقد قامت دولة القرامطة على يد أبي سعيد الجنابي(٣) الذي نشر دعوة الاسماعيلية في القطيف ثم أمتد نفوذه على كافة أرجاء البحرين. وفي ذلك الوقت كانت الدولة الفاطمية قد قامت في المغرب وأصبحت بذلك المهيمنة على جميع طوائف الاسماعيلية. ويبدو أن عبيد الله المهدي حاول التدخل في شئون قرامطة البحرين، مما جعل أبا سعيد الجنابي ثم ابنه سعيد يعملان على التقرب إلى العباسيين. فعمد عبد الله المهدي إلى العمل على عزل سعيد وتولية أخيه أبي طاهر. وبعد موت أبي طاهر سنة ٣٢٢هـ أنقسم القرامطة إلى فريقين. فريق يدين بالولاء للفاطميين، ولكنه أبعد عن الحكم. وفريق يرى الاستقلال بسياستهم بعيداً عن الفاطميين، وهو الفريق الحاكم، وعلى رأسه أحمد ابن أبي سعيد ثم أبنه الحسن الأعصم الذي تولى سنة ٣٥٩هـ.

ولقد بلغ الأمر أن ناصب الحسن الأعصم الفاطميين العداء وخاصة بعد غزو الفاطميين مصر والشام. إذ كان بنو طفج يؤدون للقرامطة جزية سنوية. فلما ملك الفاطميون الشام قطعوا تلك الجزية رغم مطالبة القرامطة(٤).

---

(١) أفرد المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا، جـ١ ص ١٥١ - ١٦٥، فصلا عن القرامطة.

(٢) ميمون القداح: هو الذي وضع أسس الدعوة الاسماعيلية.

(٣) هو الحسين بن بهرام ويكنى أبي سعيد الجنابي نسبة إلى جنابة، بليده على الساحل الشمالي الشرقي للخليج العربي.
انظر المقريزي، المصدر السابق، جـ١. ص ١٥٩.

(٤) انظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤. ص ٥٠، ٩٠ حسن إبراهيم حسن، المعز لدين الله، ص ٩٨ وما بعدها، وتاريخ الإسلام السياسي جـ٣. ص ٢١١ وما بعدها.
ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١١٤ وما بعدها.
عارف ثامر، القرامطة، ص ١٥٢ وما بعدها.

وكان بنو سليم وبنو هلال قد أنضموا للقرامطة وصاروا جندا لهم بالبحرين وعمان. وقدموا معهم إلى الشام. وكان انضمامهم للقرامطة فى عهد أبى طاهر(١). وأخذ بنو سليم وبنو هلال يفسدون فى الأرض ويقطعون الطريق على ألحج(٢).

ولم يكن أنضمام بنى سليم وبنى هلال للقرامطة راجعاً إلى أعتناقهم مبادئهم، بل لنيل المكاسب من وراء مشايعتهم(٣).

وظل القرامطة فى صراع مع الفاطميين طوال عهد المعز لدين الله فلما ولى العزيز بالله الخلافة سنة ٣٦٥هـ استطاع أن يلحق الهزيمة بالقرامطة الذين أنسحبوا للبحرين. وسرعان ما أضمحلت دولة القرامطة بعد موت الأعصم سنة ٣٦٧هـ، وأنتهى بيت الجنابى. وقام نظام للحكم عرف بنظام السادة، يقوم على أختيار ستة من زعماء القبائل معظمهم من بنى سليم ليديروا أمور الدولة. ولكن سرعان ما قضى على هذا النظام بقيام الأصغر بن حسن التغلبى بأنهاء نفوذ السادة وأعلان الدعوة للعباسيين(٤).

توطين بنى هلال وبنى سليم فى مصر:

بعد أن قضى العزيز بالله الفاطمى على فتنة القرامطة بالشام، رأى أن ينقل مشايعتهم من عرب بنى سليم وبنى هلال إلى مصر حيث أقاموا بالحوف

---

(١) أبن خلدون. المصدر السابق، جـ٤. ص ٨٩ وجـ٦ ص ١٣، ٧٢.
المقريزى، الاتعاظ، جـ٢. ص ٢١٥.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٨. ص ٥٧٤. يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٥٥ «فى هذه السنة خرجت بنو سليم على الحاج السائرين من مصر والشام وكانوا عالما كثيرا ومعهم الأموال مالا حد عليه، فأخذوا ومات من الناس فى البرية ما لا يحصى ولم يسلم إلا القليل» وقد رد القرامطة هذه الأموال إلى كافور الأخشيدى- أنظر الكندى، المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٣) أنظر المقريزى، البيان والأعراب، ص ١٢٥.
ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٣. ص ١١٥-١٢١.
ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١١٩.
الأنصارى، المرجع السابق، صفحات ٧، ١٥، ١٤٣، ١٤٤، ١٨٦.

(٤) أنظر أبن خلدون، المصدر السابق، جـ٤. ص ٩١ وجـ٦، ص ٧٢.
ماجد، المرجع السابق، ص ٢١٥ - ٢١٦.
الأنصارى، المرجع السابق، ص ٧، ١٤٣.

الشرقى وبلاد الصعيد(١). ويذكر الدكتور عابدين فى تذييله على كتاب البيان والأعراب للمقريزى(٢) أن الذى دفع العزيز إلى ذلك، هو أن الفاطميين على الرغم مما قيل فى نسبهم يعتزون بالانتساب إلى قريش، ويجرون على سياسة تشبه سياسة الأمويين فى الاعتماد على العناصر العربية والاستعانة بهم فى حروبهم، وفى تدعيم قوتهم وفى استغلال العصبية أحياناً. فشجع الفاطميون هجرة بنى هلال وحلفائهم إلى مصر، فاكتظت بهم أنحاء مصر الشرقية.

ويبدو أن نقل بنى سليم وبنى هلال كان على مرحلتين، **المرحلة الأولى:** عقب هزيمة القرامطة فى الشام وعودتهم إلى البحرين. **والمرحلة الثانية:** بعد انقراض ملك القرامطة من البحرين وتغلب بنى تغلب على البلاد وطردهم بنى سليم، إذ يذكر ابن خلدون «وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام فأنتزعها العزيز منهم، وغلبهم عليها، وردهم على أعقابهم إلى قرارهم بالبحرين، ونقل أشياعهم من العرب من بنى هلال وسليم فأنزلهم بالصعيد وفى العدوة الشرقية من بحر النيل، فأقاموا هناك وكان لهم أضرار بالبلاد(٣). ثم يستطرد ابن خلدون أيضاً فيقول: «لما انقرض أمر القرامطة غلب بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة، لما أن القرامطة كانوا على دعوتهم ثم غلب بنو الأصفر بنى تغلب على البحرين بدعوة العباسية أيام بنى بويه وطردوا عنها بنى سليم فلحقوا بصعيد مصر(٤).

أخذ بنو هلال وبنو سليم يتدفقون على مصر، وتتزايد أعدادهم حتى ازدحمت بهم منطقة الحوف الشرقى، والصحراء الشرقية وبلاد الصعيد. ثم انضمت إليهم جماعات أخرى من القيسية والسبئية مثل فزاره والمعقل اليمنية وبطون أخرى مثل أشجع من بطون غطفان وسلول بن مره بن صعصعة وعمره بن أسد بن ربيعه بن نزار وبنى ثور بن معاوية

---

(١) المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ٢. ص ٢١٥.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤. ص ٩١ وجـ٦ ص ١٣ ، ٧٢.
ابن القلانسى، ذيل تاريخ دمشق، ص ٣٠ وما بعدها -ويقع بركلمان فى خطأ كبير إذ يذكر أن بنى سليم وبنى هلال انضموا للقرامطة بعد نقلهم إلى مصر- انظر تاريخ الشعوب، ص ٣١٩.
(٢) ص ١١٦.
(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٣- وانظر المقريزى الاتعاظ، جـ٢. ص ٢١٥.
(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٧٢ وانظر جـ٤ ص ٩١.

بن عبادة بن ربيعه البكاء بن عامر بن صعصعة وعدوان بن عمرو بن قيس عيلان وطرود من بطون فهم بن قيس. وأنضوت هذه الجموع المختلفة تحت لواء بنى هلال الذين أصبح لهم الزعامة، وغلب أسمهم على هذه الجماعات كلها(١). وبعد أن ضاقت بهم الأرض، نزحت جماعات منهم إلى أسوان والسودان(٢). واتجه بعضهم غرباً إلى برقة، وفى ذلك يقول ابن خلدون «أن آخر مواطن العرب كانت برقة حيث كان فيها بنو قره بن هلال بن عامر(٣).

ومن بطون بنى هلال وبنى سليم التى كانت موجودة بمصر بنو قره بن عمرو بن ربيعة بن عبد مناف بن هلال بن عامر وكانوا فى الأسكندرية والبحيرة وبرقة وأخميم من صعيد مصر(٤). وبنو عمرو بساقية قلته، وبنو عقبه جميلة بأصفون واسنا، ومن بطونهم بنو رفاعه وبنو حجير وبنو عزيز(٥) وجشم والأثبج وزغبه ورياح وربيعة وعدى فى الصعيد(٦). ويذكر ابن خلدون أن الأثبج كانوا أوفر الهلاليين عدداً وأكثرهم بطوناً وكان التقدم لهم والرياسة فيهم(٧).

أما بطون بنى سليم، فمنهم بنو عوف بن بهثه والأثروزينيه ودباب وعرق وزغب(٨)، وبنو عوف بن بهث بن أمرؤ القيس بن بهثه وبنو عرف

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦. ص ١٦ ، ١٧.
المقريزى، البيان والأعراب، ص ١٢٦.

(٢) المقريزى، المصدر السابق، ص ٢٧، ١٧١.

(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦، ص ٤، ٥، ١٧.

(٤) المقريزى، البيان والأعراب، ص ٢٢، ٢٨- أتعاظ الحنفا، جـ٢ ص ٦٠ وص ١٣٧، وص٢١٨.

(٥) المقريزى، البيان والاعراب، ص ٢٨.
القلقشندى، المصدر السابق، ص ٢٦٤. ويقول القلقشندى أن بنى رفاعة من بطون بنى عمر ومنازلهم ساقية قلتة من الأعمال الأخميمية (محافظة سوهاج الحالية) أما اصفون وأسنا مدينتان بمحافظة قنا الحالية.

(٦) المقريزى، أتعاظ الحنفا، جـ٢. ص ١١٦.
ابن خلدون، جـ٦ ص ١٤ وص ١٦ وص ٢٢.

(٧) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦. ص ١٦ - ٢٢.

(٨) المقريزى، أتعاظ الحنفا، جـ٢. ص٢١٦-٢١٧،
وأنظر ابن خلدون، المصدر السابق جـ٦ ص ١٤.

بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة، ويقيمون فى بلاد الصعيد وفى البحيرة وفى برقة(١).

ولقد دأبت هذه القبائل على العبث بالزمن والإفساد فى الأرض، أو كما يقول ابن خلدون «قد عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم»(٢) وكان بنو قره أشدهم إلحاحاً فى الخروج على الدولة، حتى أكثر الخليفة الحاكم بأمر الله من الإيقاع بهم، وأكثر من قتلهم وتحريقهم بالنار فخلعوا طاعته وأنضموا إلى ثورة أبى ركوه(٣). ومع أن الحاكم عفا عنهم بعد القضاء على هذه الثورة(٤)، إلا أنهم لم يركنوا للطاعة، بل قاموا بأكثر من ثورة بل وتجرؤا على الاستيلاء على الهدايا المرسلة من الدولة الصنهاجية بأفريقية إلى الخلفاء الفاطميين(٥). بل انهم تمادوا فى الخروج على الدولة حتى أقاموا شخصاً دعوة أمير المؤمنين سنة ٤١٥(٦). ولعل اعنف ثوراتهم كانت سنة ٤٤٣هـ. يقول المقريزى(٧) فى احداث سنة ٤٤٣هـ «كانت وقعة البحيرة وذلك انها فى أقطاع بنى قره وقد ملكوها وعمروا ضياعها، وكثرت فيها أموالهم وأشتدت شوكتهم وخشن جانبهم، وكثر المقدمون فيهم حتى انتشر ذكرهم، وذل عدوهم، وثقل أمرهم على الولاة بالإسكندرية. حتى أن الدولة كان تفرض لهم واجبات تحمل إليهم مع العسكر بالأسكندرية فلما تأخرت الدولة فى إرسال ما تقرر لهم، أعلنوا التمرد، وأهتمت الدولة فى قتالهم حتى أضطروهم للرحيل إلى برقة(٨).

---

(١) المقريزى، البيان والاعراب، ص ٤٨.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦، ص١٤.

(٣) المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ٢. ص ٦٠- ابن خلدون، المصدر السابق جـ٤ ص ٥٨.

وأبو ركوه ثائر يدعى الوليد ابن هشام، ويدعى انه من نسل أمويى الأندلس. وسمى أبو ركوه لأنه كان يحمل ركوه للتوضئ منها. وقد قام بثورة عنيفة كادت أن تقضى على الدولة الفاطمية سنة ٣٩٦ وظلت ثورته حتى الثانى من جماد الآخرة سنة ٣٩٧ حيث قضى عليها الحاكم بأمر الله بعد مجهود كبير.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٧.

(٥) المقريزى، أتعاظ الحنفاء، جـ٢ ص ١١٠.

(٦) المقريزى، المصدر السابق، ص ١١٥٧.

(٧) المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٨) المقريزى، المصدر السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

ولم يكن بنو قره وحدهم الذين ضـايقوا الدولة، إذ يذكر المقريزى(١) فى حوادث سنة ٤١٥هـ «وقـدم الخبر باجـتماع العرب الهـلاليين والكلابيين وبنى قره وجهينه على الخارجى بالصعيد(٢).

وهكذا كـان بنو هلال وبنو سليم عبء على الدولة. وهذا مـا دفعـهم إلى إرسالهم للمغرب لتأديب المعز بن باديس، كما سنفصله فى الفصل الثانى.

---

(١) المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٢) كان هذا الخارج فى الصعيد شريفا من بنى الحسن بن على وقد قام بثورته فى الصعيد فى المحرم سنة ٤١٥هـ، وتمكن والى الصعيد حيدره بن نقـيايان من التغلب عليه فى صفر من العام نفسه. وقد أقر هذا الثائر أنه قتل الحاكم بـأمر الله بالاشتراك مع ثلاثة رجال تفرقـوا فى البلاد، فمنهم من مضى إلى برقة، ومنهم من مـضى إلى العراق، وقد اظهر هذا الثائر قطعة من جلد رأس الحاكم وقطعة من الفوطة التى كانت عليه. ولما سأله حيدره ولما قتلته؟ قال: غيرت لله وللإسلام فـقال وكيف قتلته؟ فأخـرج سكيناً فضرب بها فؤاد نفسه فمات، فقطع حيدره رأسه وأنفذه إلى الحضره المقريزى، المصدر السابق، ص ١٤٠.

الفصل الثانى

غزو بنى هلال وبنى سليم للمغرب

- علاقة الدولة الزيرية بالفاطميين وخروج المعز بن باديس عليهم.
- الغزوة الهلالية.
- مواطن العرب فى المغرب.

علاقة الدولة الزيرية بالفاطميين وخروج المعز بن باديس عليهم:

كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٧هـ. إيذاناً بتغير الخريطة السياسية لهذا الجزء من العالم الإسلامي، إذ عادت الوحدة للمغرب مرة أخرى بعد انهيار الدول المستقلة به أمام ضربات الفاطميين. كما كان لأنتقال مركز الخلافة الفاطمية من المهدية إلى القاهرة سنة ٣٦٢هـ. أثره الكبير في تطور الأحداث السياسية بالمغرب.

فمن الملاحظ أن كل الدول التي قامت في المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية، كانت مشرقية. أي أن حكامها كانوا من المشرق الإسلامي، أما الدول التي قامت بعد ذلك فكانت مغربية حكماً وارضاً.

وأول دولة قامت بعد أنتقال المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة كانت الدولة الصنهاجية التي خرج رابع حكامها المعز بن باديس على طاعة الفاطميين. وتسبب بعمله هذا في دخول بني هلال وبني سليم إلى المغرب.

ولكي نتفهم ظروف خروج المعز بن باديس عن طاعة الفاطميين، يجدر بنا أن نلقي نظرة على قيام الدولة الصنهاجية وتطور علاقتها بالخلافة الفاطمية في القاهرة.

عندما قرر المعز لدين الله الفاطمي الأنتقال من المغرب إلى القاهرة، أستخلف على المغرب يوسف بن زيري الصنهاجي(١)، وقامت منذئذ دولة تدين بالولاء للخلافة الفاطمية. وكما هو المعهود دائماً تكون العلاقة بين الدولة التابعة والدولة المتبوعة محكومة بمدى قوة الدولة المتبوعة ومدى أطماع الدولة التابعة وقدرة القائمين على الأمر فيها على تحقيق هذه الأطماع.

ولقد كان المعز لدين الله يعلم ذلك جيداً، فقد ذكر المقريزي(٢)، أن يوسف بن زيري أبدى خضوعه التام للمعز، وأنه أنما خادم له. فلما أنصرف يوسف قال عم المعز وهو الأمير أحمد بن المهدي، مسائلاً المعز إن كان يثق بقول يوسف. كان جواب المعز أنه إذا تطاولت المدة سينفرد يوسف بالأمر.

---

(١) المقريزي، المصدر السابق، جـ١ ص ٩٩.
ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٤ ص ٧٢.
(٢) المقريزي، المصدر السابق، جـ١ ص ٩٩ - ١٠٠.

لم يقصر يوسف فى خدمته للفاطميين، وأخضع لهم المغرب وقضى على كل تمرد(١). وبقى طيلة حياة المعز يترسم توجيهاته ويتبع أوامره. ولكن ما أن علم بموت المعز حتى قال «بعدت مصر من المغرب، وقد صار المغرب والله فى أيدينا إلى دهر طويل»(٢). وإن ظل على ولائه للعزيز بالله، الذى أضاف إليه ولاية طرابلس وسرت واجد ابيه، وهكذا عظم سلطانه واستبد بالملك. وكان كما يقول ابن الأثير يظهر الطاعة مجاملة لا طائل تحتها(٣). وكان ذلك خطأ كبيراً من العزيز بالله، إذ خالف سياسة أبيه المعز الذى كان يحرص على فصل برقة وطرابلس عن ولاية أفريقية(٤).

فلما مات يوسف بن زيرى سنة ٣٧٣هـ وخلفه ابنه المنصور، بدأ يظهر ما بنفسه، حتى أعلن أمام مهنئيه، أنه ليس ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب، يعنى أن الخليفة الفاطمى ليس فى وسعه عزله عن ولايته(٥).

ويبدو أن العزيز أحس بما يضمره المنصور، فحاول إثارة قبيلة كتامة ضده، فأرسل إليهم سنة ٣٧٦هـ أبا الفهم حسن بن نصر الداعية الخراسانى، ليجمعهم على حرب المنصور، وانتزاع السلطة من يده. ونجح أبو الفهم فى مهمته واستطاع أن يجمع حوله قبيلة كتامة ويكون منهم جيشاً قوياً، واستعد المنصور لحربه سنة ٣٧٧هـ، رغم أن العزيز أرسل له رسولين ينهيانه عن حرب أبى الفهم. إلى أنه لم يابه بذلك، واستطاع أن يقضى على حركة أبى الفهم وقتله. وأمر الرسولين بالعودة للعزيز ليبلغاه ما رأياه. فآثر العزيز إتباع سياسة الملاينة، وأرسل للمنصور بهدية وخطاب يطيب قلبه(٦). ثم أرسل فى

(١) يقول المقريزى، المصدر السابق، جـ١ ص ٢٢٣: وفى مستهل ذى الحجة سنة ٢٦٤ هـ طيف بالقاهرة برؤوس على رماح، يقال أن عدتها اثنا عشر الف راس وردت من المغرب، فيها رأس خلف بن جبر الذى ثار بالمغرب واجتمع عليه البربر، فظفر به يوسف بن زيرى.

(٢) المقريزى، المصدر السابق، جـ١ ص ٢٣٤.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ١ ص ٢٣٨-٢٤٧.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٥١.

(٤) ماجد، المستنصر بالله، ص ١٢٧.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٣٤.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٢-٥٤.=

سنة ٣٨٢هـ سجلاً بولاية العهد بالمغرب لأبى مناد باديس بن منصور بعد أبيه(١).

ولما تولى باديس بن منصور سنة ٣٨٦هـ، أقره الخليفة الحاكم وأرسل له الخلع والعهد بالولاية، ولقبه نصير دولة الحاكم(٢).

ولكن هذه العلاقة كانت قائمة على المداراة، أكثر منها على الثقة. فقد حاول الحاكم فصل طرابلس عن ولاية أفريقية سنة ٣٩٠هـ، وولى عليها يانس الصقلبى، ولكن باديس لم يخضع لذلك، بل حارب يانس وقتله واحتفظ بطرابلس(٣). فمال الحاكم إلى مهادنته وأرسل إليه سنة ٣٩١هـ هدية ثمينة(٤). ولكن الحاكم كان يشجع فى الوقت نفسه قبيلة زناته على إثارة الاضطرابات ضد باديس فى منطقة برقة وطرابلس ويبدو أن هذه السياسة دعت باديس إلى تشجيع ثورة أبى ركوة، ولو بالوقوف حيالها موقفاً سلبياً، فلم يقدم أية مساعدة لنصرة الحاكم. وعندما وصل باديس إلى القاهرة فى طريقه للحج أثناء ثورة أبى ركوة فى سنة ٣٩٦هـ، سأله الحاكم عن أبى ركوة، فعظم باديس حاله وكثرة جموعه. فلما عاد باديس من الحج، كان الحاكم قد انتهى من ثورة أبى ركوة

=المقريزى، المصدر السابق، جـ١ ص ٢٦٣.

(١) المقريزى، المصدر السابق، جـ١ ص ٢٧٦.

(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ١٢٧.

ابن أبى دينار، المؤنس، ص ٨٠.

المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ١٦.

ويقول المقريزى فى حوادث سنة ٣٧٨هـ كتب الحاكم بأمر الله مع الشريف الداعى على بن عبد الله، سجلين لا يمناد باديس بن يوسف بن زيرى، أحدهما بولاية المغرب وتلقيه نصير دولة الحاكم. والثانى بوفاة العزيز وخلافة الحاكم، وأخذه العهد على بني مناد. فأنزل وأكرم وأخذ العهد على جميع قبائل صنهاجه وعمومهم بالبيعة للحاكم فى جماد الآخرة. ثم عاد فقدم القاهرة بعد أن وصله نصير الدولة بمال جليل وثياب وخيول.

(٣) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٣٧- ويبدو أن ذلك كان من تدبير برجوان وزير الحاكم الذى حاول إبعاد يانس خوفاً من منافسته- انظر نفس المصدر ص ٣٤.

(٤) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٤٣.

سنة ٣٩٧هـ، فلم يسمح له الحاكم بالعودة إلى بلاده حتى شهد احتفالات النصر، ولعل الحاكم كان يقصد بذلك إرهاب باديس بطريق غير مباشر(١). ومع ذلك فقد حاول الحاكم استرضاءه فأرسل له سنة ٤٠٣هـ بهدية وسجل بإضافة برقة وأعمالها إليه، فخرج باديس للقاء رسول الخليفة ومعه القضاة والأعيان فى احتفال كبير(٢). كذلك أرسل الحاكم سنة ٤٠٥هـ إلى أفريقية بخلع وسيوف وتشريف لمنصور بن باديس ولقبه عزيز الدولة وجعله ولى عهد أبيه(٣).

ولم يقصر باديس من جانبه، فبادل الحاكم الهدايا، كما أرسلت أخته أم ملال بهدية إلى ست الملك أخت الحاكم(٤). إلا أن باديس مع ذلك أرسل جيشاً إلى برقة ليطرد منها حاكمها من قبل الفاطميين خود الصقلبى(٥).

وهكذا ظل أمراء الدولة الصنهاجية مرتبطين بالخلافة الفاطمية، وإن نزعوا إلى تعميق استقلالهم وتأكيد سيادتهم. وأستمر ذلك حتى تولى المعز بن باديس سنة ٤٠٦هـ(٦). فكانت ولايته الفصل الأخير من علاقة الدولة الصنهاجية بمصر. فلم يكتف بقطع العلاقات السياسية مع الفاطميين، بل عمل

---

(١) ماجد، المرجع السابق، ص ١٢٨-١٢٩. نقلاً عن إدريس عماد الدين مخطوطة عيون الأخبار الموجودة بمكتبة الهمدانى الخاصة.

(٢) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٩٩.
ابن عذارى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢٥٩.
ابن أبى دينار، المؤنس ص ٨١.

(٣) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ١١١.

(٤) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٥) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ١٠٤.

(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٢٥٧-٢٥٨. يقول وفى آخر ذى الحجة سنة ٤٠٦هـ سير الحاكم الخلع من مصر إلى المعز ولقبه شرف الدولة.
وانظر ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٢
ابن الخطيب، تاريخ المغرب، ص ٧٣.
وقد انفرد ابن خلدون إذ جعل ولاية المعز سنة ٤٠٨هـ كما أخطأ إذ ذكر أن الخليفة الظاهر هو الذى أرسل التقليد والخلع علماً أن الظاهر تولى الخلافة سنة ٤١١هـ. أنظر ابن خلدون المصدر السابق، جـ٦ ص ١٣.

على الانفصــال المذهبى والتحـول عن المذهب الإسماعـيلى، والاعتراف بخـلافة العباسيين السنية، وفرض مذهب مالك(١).

ولا شك أن الذى دفع المعز إلى ذلك، ان الذى تولى تنشئتـه وتعليمه كان سنيا، فغرس فى نفـسه حب المذهب السنى. يقول ابن عذارى(٢) أن المعز «ربى فى حجر وزيره أبـى الحسن بن أبى الرجال، ورعا زاهدا. فـحرض ابن الرجال المعز بن باديس ودله على مذهب مالك وعلى السنة والجمـاعة». كما كان موقف أهل المغرب من التشيع وكراهيتهم للمذهب الإسماعيلى، مشجعاً للمعز على ترك هذا المذهب. إذ أنه رغم محـاولات الفاطميين، لم ينجح التـشيع كثيـراً فى كسب الأنصار له. وقـد عمـد عبيـد الله المهدى إلى القـوة فى حمل البربـر على اتخاذ المذهب الإسـماعـيلى، فلمـا فـشلت القوة حـاول ذلك عن طريق إنشـاء المدارس المذهبية فى مخـتلف أنحاء المغرب(٣). كما حـاول أمراء الدولة الصنهاجـية بعد رحيل الفاطميين إلى مصر فرض المذهب بالترغيب والترهيب، لكنهم لم ينجحوا كثيراً. يقول ابن عذارى(٤) «لما رحل بنو عبيد إلى مـصر لم تزل ملوك صنهاجة يخطبون لهم بأفريقية، ويذكـرون أسماءهم على المنابر، وتمادي الأمر على ذلك حتى قطع أهل القيـروان صلاة الجمعة فـراراً من دعوتهم. إلى أن تناهى الحال حتى لم يحضر الجمعة من أهل القيروان أحد، فتعطلت الجمعة دهراً. وأقام ذلك مـدة إلى أن رأى المعـز بن باديس قطع دعـوتهم فكان ذلك بالـقيـروان سـرور عظيم».

ولقد بدأت بوادر التحول عن المذهب الإسمـاعيلى بمجرد تولى المعز. ففى سنة ٤٠٧هـ كانت مذبحة أو وقعة الشيعة بالقيروان وقد أختلف المؤرخون فى السبب المبـاشر لها، وأن اجـمعوا على أنهـا كانت نتيجـة كراهية أهل القـيروان خاصـة لمذهب الشيـعة وسنذكر فـيما يلى روايات ابن الأثـير، وابن أبى دينار، وابن خلدون، وابن عذارى.

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٢٥٧. يقول ابن الأثير «والمعز أول من حمل الناس بأفريقية على مذهب مالك، وكان الأغلب عليهم مذهب أبى حنيفة- وأنظر ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٣) دكتور مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ٥٥.

(٤) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٧٧.

يقول ابن الأثير(١) وهو يتحدث عن أخبار سنة ٤٠٧هـ «وفى هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد أفريقية وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى فى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له، فأجتاز بجماعة فسأل عنهم، فقيل، هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر وعمر. فقال: رضى الله عن أبى بكر وعمر. فأنصرف العامة من فورها إلى درب المغلى من القيروان وهو مكان تجتمع به الشيعة، فقتلوا منهم، وكان ذلك شهوة العسكر وإتباعهم طمعاً فى النهب. وأنبسطت أيدى العامة فى الشيعة. وأغراهم عامل القيروان وحرضهم. وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد، فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده، فقتل من الشيعة خلق كثير وأحرقوا بالنار، ونهبت ديارهم، وقتلوا فى جميع أفريقية.

ورواية ابن أبى دينار لا تخرج كثيراً عن رواية ابن الأثير إذ يقول(٢): «وفى المحرم سنة ٤٠٧هـ رحل (المعز) من المهدية إلى صبرة فحل بها. ولما استقر بصبره خرجت طائفة من القيروان وقتلوا جماعة من الشيعة لأنهم كانوا يتجاهرون بمذهبهم الخبيث، فقتلت نساءهم وأولادهم. وكانت فتنة بالقيروان من أجل النهب والقتل ولجأ طائفة منهم بالجامع فى المهدية فقتلوا فيه وكان لا يرى بالقيروان أحد منهم في الطريق إلا وضرب ضرباً عنيفاً وربما قتل وأحرق. وأجتمع منهم قدر ألف وخمسمائة رجل تحت قصر المنصورية، وأستغاثوا بالمعز فأمر بالكف عنهم».

أما ابن خلدون فيذكر(٣) «كانت أذن المعز بن باديس صاغية إلى مذاهب أهل السنة، وربما كان شواهدها تظهر عليه وكبا به فرسه فى أول ولايته لبعض مذاهبه، فنادى مستغيثاً بالشيخين أبى بكر وعمر، وسمعه العامة فثاروا بالرافضة وقتلوهم وأعلنوا بالمعتقد الحق ونادوا بشعار الأيمان، وقطعوا من الأذان حيى على خير العمل».

ولا تختلف رواية ابن عذارى عن رواية ابن خلدون، إلا فى بعض التفاصيل يقول ابن عذارى(٤) «خرج المعز فى بعض الأعياد إلى المصلى فى

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٢٩٥.
(٢) ابن أبى دينار، المؤنس، ص ٨٢.
(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٣.
(٤) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

زينته وحشوده وهو غلام، فكبا به فرسه، فقال عند ذلك أبو بكر وعمر، فسمعته الشيعة التى كانت فى عسكره فبادروا إليه ليقتلوه، فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان، ووضع السيف فى الشيعة، فقتل منهم ما ينيف على الثلاثة آلاف، فسمي ذلك الموضع بركة الدم إلى الآن. وحكى فى قتل الروافض حكايات كثيرة مما رآه المعز فى منامه وتأويل ذلك وغيره، ألغينا هنا عن ذكره».

ومع خطورة هذا العمل، وخطورة دلائله، إلا أن الخلفاء الفاطميين رأوا معالجة الأمر بالهدوء، وتقبلوا اعتذار المعز بأن ذلك من عمل العامة(١). بل وبادر الخليفة الحاكم بإرسال هدية إلى المعز سنة ٤٠٨هـ(٢)، ثم يتبعها بهدية أخرى وصلت إلى المنصورية(٣) فى صفر سنة ٤١١هـ، وبها سيف مكلل بنفيس الجوهر وخلعه من لباس الحاكم. كما أرسل إليه سجلا فيه من التشريف ما لم يصل لأحد قبله. ولم يكتف الحاكم بذلك، بل أرسل فى نفس السنة سجلاً آخر للمعز ومعه خمسة عشر علما منسوجة بالذهب(٤).

ولما تولى الخليفة الظاهر بن الحاكم أرسل سنة ٤١٤ هـ رسولاً يحمل للمعز من السجلات ما لم يصل مثلها قبل، وزاده لقب شرف الدولة وعضدها، كما بشره بمولد ابن له، وبعث مع السجلات ثلاثة أفراس بسروج ثقيلة وخلعة ومنجوقين قد نسجا بالذهب على قصب من الفضة، وعشرين بندا مذهبة. فلقيها المعز بن باديس أجمل لقاء وقرئت السجلات بين يديه، ثم قرئت بجامع القيروان، وأمر بنسخها وإرسال نسخها إلى مختلف الجهات(٥).

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٣.

(٢) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣) المنصورية مدينة أنشأها المنصور ابن القائم ثالث الخلفاء الفاطميين قرب القيروان وظلت عاصمة الفاطميين منذئذ، كما أصبحت عاصمة بنى باديس حتى خربت على يد بنى هلال- أنظر المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ١١٥.

(٤) المقريزى، المصدر السابق.

ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٦٩-٢٧٠ ويذكر ابن عذارى أن السجل الأخير كان جواباً على رسالة أرسلها المعز للحكام يذكر فيها من أخبار الأندلس وانقراض الدولة الأموية فيها وقيام القاسم ابن حمود.

(٥) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ١٣٢.=

ولم يقصر المعز بدوره فى إرسال الهدايا إلى القاهرة، فبعث سنة ٤٢٠هـ هدية ثمينة فيها عشرون جارية لم ير كحسنهن وثلاثة أفراس فيها كميت بسرج ذهب زنته قنطار ذهب، وأشقر بسرج لؤلؤ وأدهم بسرج فضة زنتها قنطار كما أرسل معها عبيد وثياب وزعفران.

وقد جلس الخليفة الظاهر خصيصاً فى الأيوان لعرض الهدية وقراءة كتاب المعز عليه، وذلك لإظهار رضاه. ثم بعث إلى المعز بثياب مصنوعة فى تنيس ودمياط، وطرائف من الهند واليمن وأشياء عظيمة»(١). وفى سنة ٤٢٤هـ أرسل المعز هدية جليلة القدر وصلت القاهرة يوم الأحد ثامن عشر ذى القعدة(٢).

ورغم هذه المجاملات لم يتوقف اضطهاد الشيعة. فيذكر ابن الأثير(٣) فى أحداث سنة ٤٢٣هـ أن عدداً كبيراً من الشيعة بافريقية ساروا إلى بلد من أعمال نفطة(٤) وسكنوه فجرد إليهم المعز عسكراً حاربوا الشيعة وقتلوهم أجمعين.

ثم حدث تطور أخطر سنة ٤٣٣هـ أو سنة ٤٣٥هـ(٥). إذ جاهر المعز بالدعوة للعباسيين وخطب للخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٦هـ) وأرسل له الخليفة الخلع والتقليد ببلاد أفريقية وجميع ما يفتح، ولقبه «الملك الأوحد ثقة الإسلام وشرف الإمام وعمدة الأنام، ناصر دين الله،

=ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٧١-٢٧٢.

وقد ذكر ابن عذارى أن تلقيب المعز بشرف الدولة وعضدها كان فى سجل آخر وصل فى نفس السنة.

والمنجوق: نوع من الإعلام والبنود.

(١) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ١٧٧ - ١٧٨.

والكميت من الخيل بين الاسود والاحمر ويفرق بينه وبين الاشقر بالعرف والذنب، فإن كانا أحمرين فهو أشقر وان كانا أسودين فهو الكميت. أما الادهم فهو الفرس الاسود.

(٢) المقريزى، المصدر السابق، ص ١٨١.

(٣) ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٤٢٧.

(٤) نفطة: من بلاد الجريد غربى توزر وقابس.

(٥) ذكر ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٧٥ التاريخ الاول، أما التاريخ الثانى فقد أورده ابن الاثير، المصدر السابق جـ٩ ص ٥٢١ وابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٣. والمقريزى، المصدر السابق جـ٢ ص ١٩٠.

قاهر أعداء الله، ومؤيد سنة رسول الله ﷺ، أبي تميم المعز بن باديس، وأرسل إليه سيفاً وفرساً وأعلاماً عن طريق القسطنطينية فوصل ذلك يوم الجمعة، فدخل إلى الجامع، والخطيب ابن الفاكاه على المنبر يخطب الخطبة الثانية فدخلت الأعلام فقال: «هذا لواء الحمد يجمعكم، وهذا معز الدين يسمعكم»(١).

ومن الغريب أن تصمت المصادر بعد ذلك، حتى تخرج علينا بعد سنة ٤٤٠هـ لتعلن مرة أخرى أن المعز قطع الخطبة للفاطميين. فماذا حدث في هذه الفترة وماذا كان موقف الخلفاء الفاطميين، وهل استمر المعز في قطع الخطبة للفاطميين؟ ولماذا كرر قطعها بعد ذلك! هذه أسئلة لا نستطيع أن نجيب عنها إلا ترجيحاً، ما دمنا لا نستطيع أن نرفض ما ذكرته المصادر من قطع الخطبة سنة ٤٣٣هـ أو سنة ٤٣٥هـ.

الذي نرجحه، أن المعز ربما عاد إلى الخطبة للفاطميين وقد يرجع الفضل في ذلك إلى الوزير الجرجرائي(٢) وزير الظاهر والمستنصر، الذي سيطر على أمور الدولة، والذي كان ملوك الأطراف تهابه. ومما ذكره التجاني في رحلته، وابن أبي دينار وأن خلدون، أن المعز «أخذ يكاتب الجرجرائي مستميلاً له، ومعرضاً بالتحارب معه على بني عبيد الله، وإنما يفعل ذلك رمزاً وتعريضاً له لعله يرى منه قبولاً، فيجد في السعي معه على القوم. وكتب إلى الجرجرائي مرة بخطة قطعة تمثل بها منها:

وفيك صاحبت قوماً لا خلاق لهم
لولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا

يشير بذلك إلى الفاطميين، ويزعم أنه إنما أبقى عليهم بعض الأبقاء من أجل حبه فيه.

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٢٢.

(٢) هو الوزير الأجل الأوحد صفي أمير المؤمنين وخالصته، أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، عراقي الأصل، ولقبه الجرجرائي نسبة إلى قرية جرجرايا بسواد العراق. حضر إلى مصر، والتحق بخدمة الفاطميين. وقد أمر الحاكم بقطع يديه في ربيع الآخر سنة ٤٠٤هـ ومع ذلك ظل يخدم الدولة بأخلاص، وأخذ يترقى في الخدمة حتى ولي الوزارة. في عهد الظاهر سنة ٤١٨هـ، وسيطر على أمور الدولة سيطرة تامة، وظل في الوزارة في عهد المستنصر حتى توفي سنة ٤٣٦هـ.
أنظر المناوي، الوزارة والوزراء، ص ٢٥٣.

ولقد عـرف الجرجرائى أن المعز أنما يفـعل ذلك فى محاولة للوقيـعة بينه وبين الخليفـة، فقـال لجلسائه: «الا تعجـبون إلا من هذا الأمـير، صبى مـغربى بربرى يريد أن يخدع شيخا بغداديا عربيا»(١).

ولكن بـعـد أن مـات الجـرجـرائى سـنـة ٤٣٦هـ(٢)، جـاء بـعـده اربـعـة وزراء لـم يكـن لـهم كبـيـر شـأن، حتـى ولـى الـوزارة سنـة ٤٤٢هـ أبـو محـمـد الحسن بن على اليازورى(٣). فاسـتطاع المعز فى هذه الفـترة بين موت الجرجرائى ووزارة اليازورى، أن ينتهز الفرصة ليقطع صلاته بالفاطميين واحدة بعد الأخرى. ولعل هذا ما جعل المؤرخين يختلفون فى التاريخ الذى قطع فيه المعز صلته بالفاطميين، فالكثرة ذكرت أنه كان ٤٤٠هـ(٤)، فى حين ذكر ابن الخطيب(٥) ان ذلك كله كـان سنة ٤٤١هـ، امـا المقـريزى وأبـن تغـرى بردى فيحددا أن تاريخا ثالثا هو سنة ٤٤٣هـ(٦).

(١) التجانى، الرحلة، ص ١٩- ابن ابى دينار، المصدر السابق ص ٨٤- ابن خلدون، المصدر السابق جـ٦ ص ١٣.

(٢) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ١٩٠.

(٣) هوالناصـر للدين غيـاث المسلمين، الوزير الاجل، الاوحـد المكين سـيـد الوزراء، تاج الاصفـياء، قـاضى القضـاة، وداعى الدعاه، علم المجد، خليل اميـر المؤمنين، أبو محـمد الحسن بن على بن عـبد الرحمن اليازورى، فلسطينى الاصل، من قـرية يازور جاء إلى مصر واستطاع ان يلج إلى خدمة أم الخليفة المستنصر، وكان لها النفوذ القوى، فاصبح مديراً لاعـمالها، ثم اضـيف إليه قضـاء القضاة ثم تولى الوزارة فى السـابع من المحرم سنة ٤٤٢هـ. وبلغ من نفوذه أن كـتب أسمه على الطـراز وعلى السكة. وظل اليازورى يملك ناصيـة الامور حتـى قبض عليه فـجاة فى أول المحرم سنة ٤٥٠هـ وقـتل بتنيس وهى مدينة كانت على الساحل اشمالى لمصر شرقى دمياط. ولقد دخلت مصر بعد عزله من منصبه فى فترة من أحلك فترات تاريخها، وتعـرضت لاسوا مجاعة وعمها الفوضى والاضطراب، انظر المناوى، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٤) ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٦.
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٧٧- ابن ابى دينار، المصـدر السابق، ص ٨٣- المراكـشى، المصـدر السابق ص ٤٣٢، ابن خلدون، المصـدر السابق، جـ٤ ص ٦٢.

(٥) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص٧٣.

(٦) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٤.
ابن تغرى بردى، المصدر السابق، جـ٥ ص ٥٠.

ولكن ابن عذارى يخرجنا من هذه الحيرة، فيبين لنا مراحل قطع الصلات السياسية والمذهبية بين المغرب ومصر، فيقول(١): «أنه فى سنة ٤٤٠هـ قطعت الخطبة لصاحب مصر، وأحرقت بنوده، كما أمر بلعنهم فى عيد الأضحى من نفس العام، ونعتهم فى الخطب بالفسقة الكبار المارقين الفجار، أعداء الدين وأنصار الشيطان. وفى سنة ٤٤١هـ فى شهر شعبان ألغى السكة التى عليها أسماء الفاطميين، وأمر بنقش سكة جديدة على أحد وجهيها «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين»، وعلى الوجه الآخر «لا إله إلا الله محمد رسول الله».، كما أزال أسماء الفاطميين من الرايات والبنود. ثم انتهى إلى المرحلة الأخيرة، وهى نبذ شعار الفاطميين فأمر بلبس السواد شعار العباسيين وذلك سنة ٤٤٣هـ، يقول ابن عذارى(٢): وفى سنة ٤٤٣هـ كان لباس السواد بالقيروان والدعاء لبنى العباس.

وإذا كان الجرجرائى قد جعل المعز يتردد فى فصم علاقته بالفاطميين، فإن اليازورى دفع المعز إلى ذلك دفعاً. وذلك لسوء العلاقات بين الرجلين، على نقيض ما كان بينه وبين الجرجرائى وقد أورد المقريزى كيف ساءت العلاقة بين المعز واليازورى فى أسلوب أنفرد به عن بقية المصادر. ونورد نص ما ذكره المقريزى لأهميته. يقول(٣) أن اليازورى «كاتب ملوك الأطراف، فأجابوه بوفور حقه، إلا معز الدولة بن باديس الصنهاجى صاحب أفريقية، فإنه قصر فى المكاتبة عما كان يكاتب به من تقدم من الوزراء، فإنه كان يكاتب كلاً منهم «بعبده فجعل مكاتبته بنيعته، فأستدعى الوزير أبا القاسم ابن الأخوه، وكيل ابن باديس بمصر، وعتب صاحبه عنده، وقال: أظن معزا ينقصنى عمن تقدمنى، إذا لم أكن من أهل صنعة الكتابة، وأن لم أكن أوفى منهم فما أنا دونهم، ومن رفعه السلطان أرتفع وإن كان خاملاً، ومن وضعه أتضع وإن كان جليلاً نبيلاً، فأكتب إليه بما يرجعه إلى الصواب. فكتب إليه بذلك، وقد أذكى الوزير عليه عيونا يطالعونه بأنفاسه. فلما وقف على كتاب أبن الأخوة قال: ما الذى يريد منى هذا الفلاح، لا كنت عبده ولا كان، هذا الا يكون أبدا، وما كتبت إليه فكثير فطالعه عيونه بقوله، فأحضر أبن الأخوه وقال له: قد جرى صاحبك على عادته فى

(١) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٧٧-٢٨٠.

(٢) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٣) أنظر المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٢-٢١٣.

الجهل، فاكتب إليه بما يردعه فيه، وإلا عرفته بنفسي إذ لم يعرفني. فكتب إليه بذلك، فأجاب بما هو أقبح من الأول. فدس إليه الوزير من تلطف في أخذ سكين دواته، فلما وصلت إليه أحضر ابن الأخوه وقال له: كنت أظن بصاحبك أن الذى حمله على ما كان منه ثروة الشبيبة وقلة خبرة بما تقضي به الأقدار، وأنه إذا نبه تنبه، فإذا الجهل مستول عليه، وظنه أن بعد المسافة بيننا وبينه يمنع من الأنتصاف منه والوصول إليه بما يكره، وقد تلطفنا فى أخذ سكين دواته، وها هى ذى فانفذها إليه، وأعلمه أن كما تلطفنا فى أخذها، أنا نتلطف فى ذبحه بها. ودفعها إليه. فكتب ابن الأخوه بذلك، فازداد شراً وبطراً. فدس عليه من أخذ نعله، وكان يمشى فى الأحذية السدية. فلما وصلت إليه، أحضر ابن الأخوه وقال له: أكتب إلى هذا البربرى الأحمق وقل له: إن عقلت وأحسنت أدبك، وإلا جعلنا تأديبك بهذه. فجرى على عادته فى القول القبيح.

ولقد حاول الخليفة المستنصر أن يتدخل بنفسه لعله يستطيع أن يعيد المعز إلى الطاعة، فكتب له فى كلام طويل: «هلا أقتفيت آثار أبائك فى الطاعة والولاء». فرد عليه المعز يقول له فى تحد ظاهر. إن أبائى وأجدادى كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك، ولهم عليهم من الخدم أعظم من التقديم، ولو أخروهم لتقدموا باسيافهم(١).

وهكذا أصبح طريق اللا عودة أمراً محتماً، واتجه المعز نهائياً إلى بغداد، فارسل إلى الخليفة العباسي ليقيم الدعوة العباسية، واستدعاء الخلعة. وقد بادر الخليفةالقائم بأمر الله، بأرسال الخلع والعهد واللواء الأسود مع ابى غالب الشيرازى، الذى أضطر إلى المرور على القسطنطينية ليعبر منها إلى أفريقية. ولما كان بين الأمبراطور قسطنطين امبراطور بيزنطة والمستنصر معاهدة، فقد أرسل أبا غالب إلى القاهرة حيث طيف به على جمل وكتاب العهد فى عنقه والهدية بين يديه، ثم أحرقت الخلع والتقليد والهدية فى حفرة بين القصرين(٢). وأعيد الرسول بعد ذلك إلى القسطنطينية حيث أفرج عنه بعد تدخل طغرلبك السلجوقى(٣).

---

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان، جـ٥ ص ٢٣٤. فى ترجمته للمعز بن باديس.

(٢) بين القصرين هو ميدان بين القصر الشرقى الكبير والقصر الغربى الصغير- أنظر المقريزى، الخطط، جـ١ ص ٣٨٤.

(٣) أنظر المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ٢ ص ٢٢٣,٢١٤ وطغرلبك هو ركن الدين طغرلبك=

وقد حذا أهل صقلية وبرقة حذو المعز، فخلعوا طاعة الفاطميين. فقد طرد أهل صقلية ولاتهم، وملكوا عليهم المعز بن باديس(١). أما برقة فقد أرسل أميرها جبارة ابن مختار العربي سنة ٤٤٣هـ إلى المعز يخبره بالدخول في طاعته، وأنهم أحرقوا المنابر التي كان يدعى عليها للعبيديين وأحرقوا رايتهم ويتبرءون منهم ولعنهم على منابرهم وأنهم دعوا للقائم بأمر الله العباسي(٢).

ولم يعد أمام المسئولين في القاهرة إلا أن يواجهوا المعز بسياسة القوة بعد أن فشلت سياسة المهادنة. ولما لم يكن في قدرة مصر أن تسرل جيشاً إلى المغرب لتأديب المعز، وذلك لبعد الشقة، ولظروف مصر الداخلية، فقد فكر اليازوري في أمر لا كلفة فيه، فقد رأى بطون بني هلال وبني سليم وقد عم بالبلاد ضررهم، وأحرق الدولة شررهم، وعانت مصر منهم الكثير، فأشار بارسال هذه القبائل إلى أفريقية للقضاء على المعز، وتوليتهم أمر بلاده فإن ظفروا بالمعز كانوا أولياء للدعوة وعما لا لتلك البلاد، وارتفع في نفس الوقت عدوانهم عن ساحة الخلافة، أما إذا ظفر بهم المعز فلها ما بعدها(٣).

وقد أخذ الخليفة المستنصر بنصيحة اليازوري. وهكذا تقررت الغزوة الهلالية للمغرب، وإن لم يقدروا نتائجها على بلاد المغرب الإسلامي. وكتب اليازوري إل يالمعز «أما بعد فقد انفذنا إليكم خيولاً فحولاً، وأسلنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمراً كان مفعولاً»(٤).

=أبو طالب محمد ابن ويكائيل بن سلجوق، أول سلاطين السلاجقة الذين أصبح لهم النفوذ في بغداد بعد بني بويه.

(١) المقريزي، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢٢١.

(٢) ابن عذاري، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٤.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦، ص ١٤.
ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٦.
المقريزي، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٦.
التجاني، المصدر السابق، جـ٢ ص ١٩.
ويذكر التجاني ص ٢٠ أن اليازوري كان قد كتب إلى المعز قبل ذلك كتاب وعيد وتهديد، قال فيه: «وإن لم ترجع عن رأيك، أتتك الجيوش موصلة سنابك خيلها، بنقعها ووميضها حكم نهارها وليلها».

الغزوة الهلالية :

اختلفت المصادر فى تاريخ تحرك القبائل العربية إلى المغرب، فلدينا تواريخ متفاوتة لغزو العرب للمغرب، فى سنة ٤٤٠هـ(١) وسنة ٤٤١هـ(٢) وسنة ٤٤٢هـ(٣) وسنة ٤٤٣هـ(٤). ولما كان الوزير اليازورى- وهو الذى أشار بخروج العرب إلى المغرب- قد تولى الوزارة فى المحرم سنة ٤٤٢هـ(٥)، فعلى ذلك يمكن ترجيح أواخر سنة ٤٤٢هـ أو أوائل سنة ٤٤٣هـ لهذه الغزوة.

وكما أختلفت فى تاريخ الغزوة، أختلفت أيضاً فى أسماء القبائل الغازية. وبأستقراء المصادر المختلفة، يمكن أن نذكر القبائل والبطون التى اشتركت فى الغزو، مع ملاحظة أن بعض هذه القبائل قد اجمعت المصادر على ذكرها، فى حين أنفرد هذا المصدر أو ذاك فى ذكر قبائل لم تذكرها المصادر الأخرى. أما بطون هلال وسليم فهى، زغبة ورياح والأثبج وربيعه وعدى والأتروزينيه وطرود ولهب ورواحة وناصره وذباب وعوف وزغب وهبيب وقره والخلط وسفيان(٦) وقد أشتركت قبائل أخرى غير بنى هلال وبنى سليم ذكرها ابن خلدون(٧) فيقول: «وكان فيهم من غير هلال كثير من فزاره وأشجع من بطون غطفان، وجشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وسلول بن مره

---

(١) المراكشى، المصدر السابق، ص ٤٣٢.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٤.
المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٦.
ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ٧٥.

(٣) ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٦.
المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٢.

(٤) ابن ميسر، أخبار مصر، جـ٢ ص ٥-٦.
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٥) أنظر المناوى، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٦) التجانى، المصدر السابق، ص ١٨.
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٩٧.
ابن ابى دينار، المصدر السابق، ص ٨٤.
ص ١٤-١٧ وص ١٩ وص ٧٢.
المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٥-٢١٧.

(٧) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٦ - ١٧.

بن صعصعة بن معاوية، والمعقل من بطون اليمنية، وعمره بن أسد بن ربيعه بن نزار، وبنى ثور بن معاوية بن عباده بن ربيعه البكاء بن عامر بن صعصعة، وعدوان بن عمر بن قيس بن عيلان، وطرود بطن من فهم ابن قيس. إلا أنهم كلهم مندرجون فى هلال وفى الأثبج منهم خصوصاً، لأن الرياسة عند دخولهم الأثبج وهلال، فأدخلوا فيهم وصاروا مندرجين فى جملتهم».

وقول ابن خلدون هذا قد يعطينا جواباً على تساؤل راود كثير من المؤرخين المحدثين، هو: لماذا غلبت اسم الهلالية، واسم بنى هلال على هذه القبائل التى اتجهت غرباً، رغم مشاركة بنى سليم لهم، وهم لم يكونوا أقل من بنى هلال شأنا، إن لم يفوقوهم عدداً وصيتاً، ورغم مشاركة قبائل أخرى مضرية غير قيسية، بل ويمانية قحطانية؟. أقول لعل ما ذكره ابن خلدون من أن كثيراً من هذه القبائل أندرجت فى بنى هلال وأن الرياسة كانت فيهم، وخاصة فى الأثبج. ويزيد الدكتور عبد الحميد يونس(١)، أن هناك عامل مساعد هو استئثار بنى هلال بالشهرة المتأخرة، وهو عامل لا يمكن أغفاله، كما أن اسم هلال وسهولة تردده على الألسنة له أثر فى ذلك.

عندما حازت فكرة اليازورى القبول، وتقرر أن تتكفل القبائل العربية بحملة تأديب المعز، كان على المسئولين فى القاهرة أن يزيلوا ما بين هذه القبائل من خلاف، وأن يتحمل الخليفة ما بينها من ديات. ثم أجزل العطاء لأمرائهم، وصرف لكل فرد من عامتهم ديناراً وبعيراً، وأبيح لهم عبور النيل إلى الغرب ولم يكن ذلك مباحاً من قبل(٢). وأباح لهم بلاد المعز وعقد الخليفة لزعمائهم على ما يفتحوه من أمصار، فقلد موسى بن يحيى المرداسى القيروان وباجه، وعقد لزغبه على طرابلس وقابس، وعقد لحسن بن سرحان على قسنطينة(٣). وبدأت الأعداد الكبيرة تجتاز النيل إلى برقة، وافتتحوا أمصارها ووجدوها بلاداً

---

(١) الهلالية فى التاريخ والادب الشعبى، ص ٦٢.
(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٦.
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٨٨.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٤.
المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٦.
(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٩.

كثيرة المرعى، خالية من السكان، لأن المعز بن باديس كان قد أباد أهلها من قبيلة زناته البربرية فاستوطنها العرب وأقاموا بها مدة(١).

ولكن هذه الهجرة التى شجعها الفاطميون، تبعتها هجرة أخرى شجعها الأخبار التى وصلت ممن سبقوهم إلى برقة يرغبوهم فى هذه البلاد وخيراتها، فتسارعوا ليشاركوا أخوانهم الغنيمة. وهنا رأى الفاطميون الفرصة سانحة لاسترداد ما دفعوه للعابرين من قبل ففرضوا على كل من يريد العبور دينارين، فأخذوا منهم أضعاف ما دفعوه(٢).

يقول ابن الأثير وابن خلدون، أن المعز لما بلغه مقدم العرب أحتقر شأنهم، واشترى العبيد واستكثر منهم حتى أجتمع له منهم ثلاثون ألفا(٣)، ولكن المعز عندما سار إليهم ببرقة فى أربعين ألفا ليوقع بهم، هزموه وتبعوه إلى أفريقية(٤). واستولى بنو زغبه على طرابلس سنة ٤٤٦هـ(٥).

ويدل هذا على أن تقدم العرب كان بطيئا، إذ أستغرق وصولهم إلي طرابلس ثلاثة أو أربعة أعوام. ويرى الدكتور عبد الحميد يونس(٦)، أن انتقالهم كهجرة جماعية كان بطيئاً متثاقلاً، وأن ذلك يستقيم مع الحياة القبلية التى تستلزم النقلة الجماعية، التى يشترك فيها إلى جانب القادرين على حمل السلاح، الشيوخ والنساء والأطفال والدواب والمتاع. ولاشك أنهم تجاهلوا مصالح الدولة الفاطمية التى أوفدتهم لغرض معين، هو الإيقاع بالمعز بن باديس، وبدأوا يسيرون حسب مصالحهم الشخصية فنرى أمراءهم وعلى

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٧.
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٨٨.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٢ وجـ٦ ص ١٤.
المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٧.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٤.
المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٧.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٧.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٢.

(٤) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٥.

(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٧.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٢.

(٦) المرجع السابق، ص ٦٩.

راسهم مؤنس بن يحيى من بنى مرداس الرياحين يتصلون بالمعز بن باديس الذى أكرمهم وأجزل لهم العطاء(١). ويقول ابن عذارى(٢): «فلطف عنده (أى المعز) محل مؤنس هذا، وكان سيدا فى قومه، شجاعاً عاقلاً، فشاوره المعز فى أتخاذ بنى عمه رياح جندا له، فأشار عليه بأن لا يفعل، وعرفه بقلة اجتماع القوم على الكلمة، وعدم انقيادهم إلى الطاعة». ولكن المعز لم يقبل منه، وألح عليه فى ذلك لأنه كان كارهاً لقبيلته صنهاجة، محباً للاستبدال بهم حاقداً عليهم. ويستطرد ابن عذارى(٣)، أن مؤنس جاء بقومه الذين أشاعوا الفساد والعبث، فاتهم المعز مؤنسا بأنه إنما حرضهم على ذلك، ليظهر له صدق نصيحته، وقبض على أهله. فأغضب ذلك مؤنسا وعظم بلاؤه وأشتدت نكايته لأنه كان قد علم عورات القيروان.

وقبل أن نستطرد فى سرد الأحداث، نقف قليلاً عند ما ذكره ابن عذارى، من أن العرب، رغم ارسال المعز بعض الفقهاء لهم ومعهم مكاتبات وشروطاً، وأنهم أخذوا عليهم العهود والمواثيق للرجوع إلى الطاعة، بعد أن أطلق لهم أعطياتهم، إلا أنهم نكثوا وعدهم، وأشاعوا الفساد فى كل مكان(٤). هذا القول يجعلنا نرجح مع الدكتور ماجد(٥)، أن المعز حاول الوقيعة بين العرب، وخاصة اقربهم إليه، وهم زغبه ورياح، وأنه نجح فى ذلك. بدليل مسارعة اليازورى إلى معالجة الأمر، بإرسال أحد كبار الأمراء مندوبا لتوفيق بين هذين الحيين، وأنه نجح فى ذلك، فكانت الطامة على المعز يؤيد ذلك أمران:

الأول : ما ذكره المقريزى(٦) «وكان بطرابلس الغرب وما والاها زغبه ورياح، وهم قبيلتان من العرب وبينهم حروب وعداوة، فأحضر الوزير-اليازورى مكين الدولة أبا الحسن بن على بن ملهم بن دينار العقيلى(٧)، أحد أمراء الدولة وكان رجلاً عاقلاً، وسيره إلى زغبه

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٢-٦٣.

(٢) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٥) ماجد، الإمام المستنصر، ص ١٣٩.

(٦) المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٥.

(٧) من كبار رجال الدولة. وقد أصبح ابن ملهم قائداً للجيش الفاطمى فى الشام فى=

ورياح بخلع سنية وأنعام كثيرة، وأمره أن يصلح ذات بينهما، ويتحمل ما بينهما من ديات، ويفديه بالزيادة في اقطاعاتها. فلما تم له ذلك أمرهم بالمسير إلى المعز بن باديس، وأباحهم دياره، وتشدد في هذا الأمر، حتى توجه المذكورون إلى ديار ابن باديس وملكوها».

الثاني : فهو سجل صادر عن الخليفة المستنصر في رمضان سنة ٤٥٥هـ إلى علي بن محمد الصليحي سلطان اليمن(١)، ذكر فيه فتنة المعز وإرسال قبائل الرباحية والزغبية لقتاله، وأنه سير الأمير أمين الدولة ومكينها حسن بن علي ليؤلف بين قلوبهم، وأنه نجح في ذلك إذ «لم يذر غلا في الصدور إلا نزعه، ولا شملاً من صلاح الجمهور إلا جمعه... وأنه سار فيهم بجيش يغص بهم البر... حتى أحدقوا بحصن الخائن الذي لا يكاد من بأس يحصنه، ولا من أخذه الأليم يؤمنه... وأنه خلف ابن باديس اللعين محصوراً في منفاه من الأرض، محصولاً على شفا جرف الأخذ والقبض، قد فغر الردى له فمه، ولن يبعد بعون الله أن يلتقمه...» ويؤكد السجل المذكور أن ابن ملهم ظل مع القبائل الغازية ينظم أمورها، ويزيل خلافاتها، ويعين الولاة على ما يفتح من بلاد، ثم عاد إلى القاهرة ومعه الغنائم والمستأمنين من كبار رجال المغرب.

وهكذا بدأ المعز يواجه أحداثاً جساماً، وهزائم ساحقة، أو كما يقول ابن خلدون «ونزل بأفريقية بلاء لم ينزل بها مثله» وذلك منذ سنة ٤٤٦هـ(٢). هذا وأن جعل ابن عذاري(٣) تاريخ ذلك سنة ٤٤٢هـ، وهو ما لا يمكن قبوله، إذ أن ابن عذاري نفسه(٤) يجعل تاريخ دخول العرب برقة سنة ٤٤٣هـ، ويذكر أنهم ظلوا هناك مدة.

=سنة٤٤٩هـ أو قبلها وخرج لمحاربة الروم أكثر من مرة، ثم صار والياً على طبرية وعكا في صفر سنة ٤٥٤هـ.

انظر المناوي، المرجع السابق، ص ٢٠١.

(١) السجلات المستنصرية، نشر ماجد- سجل٥- ونص السجل ملحق بآخر البحث.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٣.

ابن الاثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٧.

المقريزي، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٥.

(٣) ابن عذاري، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٨٨.

يقول ابـن الأثير(١) «تسـابقت رياح والاثبج وبنو عـدى إلى أفـريقـيـة، وقطعـوا السبـيل، وعـاثوا فى الأرض، وأرادوا الوصول إلـى القيـروان، فقـال مؤنس بـن يحيى المرداسى، ليس المبـادرة عندى برأى. وأخذ بسـاطاً بسطه ثم سـألهم من يدخل إلـى وسط البسـاط من غـيـر أن يمشى عليـه. وقـال هكذا القيـروان، وأن عليهم الاسـتيـلاء على ضواحيـها، حـتى لا يبقى إلا القـيروان فيسـهل عليهم أمرهم.

أخذ العرب يشنون الغارات ويقطعون الطريق أو يفسدون الزروع والثمار وحاصروا المدن. فضاق الناس بالأمـر وساءت الأحوال، وخشى الأهالى التنقل من مكان إلى مكان. وكـان على المعـز أن يواجه هذا الخـطر، فـخـرج إلى ظاهر القيروان عند جبل حيدران(٢)، ومعه ثلاثون ألف فارس، ومـثلها رجاله. وأعانه ابن عمه صاحب قلعة حماد القائد بن حـماد بكتيبة من ألف فارس، كما أنضمت إليه زناته وبقايا عرب الفتح. فلـما رأى العرب، وكان عددهم لا يزيد على ثلاثة آلاف، هذا العدد الكبـير، هالهم الأمر. فقـال لهم مؤنس بن يحيى: مـا هذا بيوم فرار فسـألوه وأين نطعن وقد لبسوا الكزاغـندات والمغافر(٣). قال فى أعـينهم. فـسمى ذلك اليـوم يوم العين(٤). ولما التـقى الفريقـان، أنحاز عرب الفـتح إلى الهلاليين، وأنخـذلت زناته، أما الصنهاجـيون قبيلـة المعز، فيبـدو أنهم وقد رأوا أزورار المعز عنهم وتـفضيله لعـبيده، ارادوه أن يعـاين بنفسـه موقف العبـيد، فأتفـقوا على الهزيمة، وترك المعـز مع العبيد حـتى يرى فعلهم ويقتل أكـثرهم، فعند ذلك يدخلون المعركة ضد العرب ويقدر المعز شجاعتهم. وكانت النتيجة أن قتـل العدد الكبـير من العـبيـد الذين ثبـتـوا مـع المعز فلـما أرادت صنهـاجة الرجوع على العـرب، لم يمكنهم ذلك. وأنهزم المعـز إلى القيـروان، وغنم العرب معـسكره وما فـيه من مـال وفير وخـيول. وفى ذلك يقـول أحد الشـعراء فى قصيدة منها :

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٧.

(٢) التجـانى، الرحلة، ص٢٠. وقد أطلق عليه ابن الأثيـر، جـ٩ ص ٥٦٧، اسم جبل جندران وقال انه جبل بينه وبين القيروان ثلاثة أيام.

(٣) الكزاغندات مفردها كزغند وهى سترات مبطنة أى دروع- والمغـافر مفردها مغفر: وهى الخوذة أنظر ماجد، المرجع السابق، ص ١٣٩.

(٤) ابن الأثير، المصـدر السابـق، جـ٩ ص ٥٦٧ ومـا بعـدهـا- وأنظـر عن هـذه المعـركـة ابن خلدون المصدر السابق، جـ٤، ص ٦٢ وجـ٦ ص ١٥ وابن عـذارى، المصدر السـابق، ص٢٨٩.=

وان ابـن باديـس لافضـل مـالك

ولكـن لعمـرى مـا لديـه رجـال

ثـلاثـون الفـا منهـم غلبتـهـم

ثـلاثـة آلاف أن ذا المحـــال(١)

يقول ابـن عذارى(٢) «وفى ثانى عـيـد الأضـحى من هـذه السنة كـانت الداهية العظمى والمـصيبة الكبـرى، وذلك أن السلطان عيـد يوم الأثنين، ومشى صباح هذا اليوم إلى ناحية قـرية تعرف ببنى هلال، فلما كان نصف النهار أتته الأخبار أن القـوم قد قربوا منه بأجمعهم، فـأمر بالنزول فى أوعار وأودية، فلم يسـتتم النزول حـتى حمل العـرب عليهم حـملة رجل واحد، فـانهزم العـسكر، وصبر المعز صبراً عظيماً، إلى أن وصلت إليه رماح العرب. ومات من العبيد بين يديه خلق عظيم فدوه بأنفـسهم. وأما بنو مناد وجـميع صنهاجة وغـيرهـم من القبائل فـانهم فروا، وأنتهـبت العـرب مضاربهـم» وأسـتـولى العرب على غنائم لا تحصى وأسروا خلقاً كثيراً من الصنهاجين(٣).

وتقدمت العـرب حتى نزلت بمصلى القـيروان، فتـصدى المعـز لهم للمرة الثالثة، فقـتل من رجاله العدد الكبير، واضطر أن يبيـح لهم دخول القيروان(٤)

=المقريزى، المـصدر السابـق، جـ٢ ص ٢١٥- الـتجانـى، المصدر السـابـق، ص ١٩، ابن دينار، المصدر السابق ص ٨٤.

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٧ ولم يذكـر اسم الشـاعر- ابن عذارى، المصدر السـابق، ص ٢٩٠- ويذكر أن الشـاعر هو على ابن رزق كـما ذكـر الشطر الأخيـر من البيت الثانى «ثلاث آلاف أن ذا النكال.

ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٥. ويقول أن الشاعر هو على بن رزق الرياحى ويقال أنها لابن شداد- كما أورد الشطر الثانى من البيت الثانى هكذا» ثلاثة آلاف وذلك ضلال.

(٢) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

وقـد جعل ابـن عذارى تاريخ الوقـعـة سنة ٤٤٣هـ، وهو خطأ لاشك، والصـحـيح هو ٤٤٦هـ كما يذكر ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٨.

ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٢.

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٩٠. ويذكر أن العسكر المهزوم كان ثمانين ألف فارس ومثلهم من الرجالة. ويشاركه فى ذلك المقريزى، المرجع السـابق، جـ٢ ص ٢١٥- فى حين أن ابن الأثير، المصدر السـابق جـ٩ ص ٥٦٨ أن عددهم كان سبعة وعشرين ألف فارس.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٥٦٩.=

وفرض العرب حمايتهم على القرى المجاورة وجعلوا كما يقول ابن عذارى(١) كل من سبق إلى قرية يسمي نفسه لهم، ويؤمنهم، ويعطيهم قلنسوته أو رقعة يكتبها لهم علامة ليعلم غيره أنه سبقه. وأستولى العرب على القيروان وتونس(٢).

واضطر المعز إلى أن يتقرب من العرب، وذلك بمصاهرتهم فزوج ثلاثا من بناته لثلاثة من امراء العرب، هم فارس بن الغيث وأخوه عائذ والفضل بن أبى على، وهم من بنى مرداس الرياحيين(٣).

ولكن العرب أقاموا يحاصرون البلاد، وينهبون إلى سنة ٤٤٩هـ، وأضطر المعز إلى الانتقال إلى المهدية فى شهر رمضان من هذه السنة، متخفياً فى زى امرأة على ما يذكر المقريزى(٤). ولكن التجانى(٥) يذكر قولاً آخر قد يكون أقرب للصحة إذ يقول: «فلما كانت سنة ٤٤٩هـ توجه المعز إلى المهدية فى خفاره رجلين من العرب قد كان صاهرهما ببنتيه يعرف أحدهما الفضل بن أبى على وهو مرداسي، ويعرف الآخر بفارس ابن أبى الغيث، فتوجها إليه فاستخرجاه من صبرد سرا، وأحس باقى الأعراب بخروجه فلحقوه فى أثناء الطريق، فواقفهم فارس بن أبى الغيث فى جماعة من قومه، وجعل يؤنبهم على الأستخفاف بخفارته، فقالوا له إنك قد أعظمت التحامل علينا فى خفارة مثل المعز، وتركنا له عظيم، والفائدة فى أخذه كبير فلا تمنعنا منه. فلم يزل يوقفهم ويراجعهم، إلى أن خلص المعز وصاحبه الفضل بن أبى على ودخل المهدية، ويقال أنه قد كان أخرج بعض القطع البحرية وسيرها فى البحر محاذية له خوفاً مما عساه أن يعرض له فى طريقه، فلما لحقه الأعراب، كما قدمنا ناداه أرباب القطع بالبدار إليهم ليعتصم بالبحر من أولئك الأعراب، فلج فى السير وأبى من الدخول إليهم أنفة منه وجلدا إلى أن خلص وحصل بالمهدية».

= ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٤ ص ٦٣.

(١) ابن عذارى، المصدر السابق،

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٣ ص ١٥.

(٣) التجانى، المصدر السابق، ص ٣٢٩.

ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٦.

(٤) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٥.

(٥) التجانى، المصدر السابق، ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

واستولت العرب على دوره وغلمانه، وانتهبوا ما كان في قصوره، وأرسل كثير مما نهب من قصور بني باديس من الأسلحة والعدد والآلات والخيام وغيرها إلى القاهرة، فكان لدخولهم يوم مشهود(١).

وانتهى الأمر باستيلاء العرب على أفريقية، واقتسامهم أياها. وملكوا الارياضي، تاركين أمراء بني باديس في حاضرتهم على أن يدفعوا لهم الأتاوات. وهكذا نجح اليازوري في الانتقام من عدوه أشد انتقام.

وأضطر المعز إلى استرضاء الخليفة المستنصر، وخاصة بعد قتل عدوه اليازوري سنة ٤٥٠هـ، فارسل للخليفة سنة ٤٥٢هـ هدية قومت بأربعين ألف دينار، منها ورقة مرصعة بالجوهر كانت للمهدي(٢). ولكن المعز ما لبث أن مات(٣).

وسنكتفي هنا بما ذكرناه عن تحرك العرب، على أن نذكر في الفصل التالي علاقتهم بخلفاء المعز، وبالفرع الثاني من الأسرة الصنهاجية، وهي دولة بني حماد.

---

(١) المقريزي، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٥.
وانظر ابن عذاري، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٢) المقريزي، المرجع السابق، جـ٢ ص ٢٦٠.

(٣) اختلفت المصادر في تاريخ وفاة المعز فابن الأثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص ١٦ وابن أبي دينار، المصدر السابق ص ٨٥. والمقريزي، المصدر السابق جـ٢ ص ٢٦١، يذكرون أنه توفي سنة ٤٥٣هـ.
في حين يذكر ابن الابار، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١ والتجاني، المصدر السابق، ص٣٣٠ أن ذلك كان سنة ٤٥٤هـ أما ابن عذاري، المصدر السابق، ص ٢٩٥ يقول أنه توفي سنة ٤٥٥هـ.

مواطن العرب فى المغرب:

يقول ابن خلدون أن العـرب تقارعوا على البلاد، فحصل لسليم الشرق، ولهلال الغرب. ثـم يقول فى موضع آخر «واقتسمت العرب بلاد أفريقية سنة ٤٤٦هـ، وكان لزغبه طرابلس وما يليهـا، ولمرداس بن رياح باجة وما يليها، ثم اقتسموا البلاد ثانية»(١).

وما يقـوله ابن خلدون لا يمكن أن نتـقبله ببساطة، وكأن هـؤلاء العرب الدائبى الحركة يخضعون لمنطق التقسيم ويرضونه. فالأحداث التاريخية تدلنا على أن هذه القبائل كانت فى حركة مستمرة، ليس من الشرق إلى الغرب فقط، بل إننا نرى الكثيرين منهم يعودون أدراجهم فى عصـور متأخرة مشرقين مرة أخرى إلى مصر. يقـول الدكتور عابدين(٢)، أن بنى سليم أخذوا يعـودون إلى مصر مرة أخرى بعد بضعة قرون فى موجات متوالية، وأن هجرتهم فى القرن الثامن عشـر الميلادى تعد من أكبر الهـجرات العربية التى وفـدت إلى مصر من طريق الغرب حتى ملأوا الصحـراء الغربية وبعض جهات من وادى النيل، وأنه إلى الآن ينتسب جميع العرب الساكنين على الساحل غرب الأسكندرية إلى قبيلة بنى سليم.

نخلص من ذلك أن مواطن هؤلاء العـرب فى المغرب كانت كـثيرة التغـير نتيجة ظروف مختلفة. بعضها يدافع عن مـصالحهم، وبعضها أجبروا عليها من قبل الدولة القـوية التى قامت فى المغرب مـثل دولة الموحدين مثلاً التى أجـبرت الكثيرين منهم إلى الانتقـال للمغرب الأقصى(٣)، كما أن الموحدين نـقلوا كثيراً منهم إلى الأندلس يقول المراكشى(٤)، أن عبد المـؤمن بن على سلطان الموحدين (٥٢٤-٥٥٨) حينما عزم على غزو الأندلس، استنفر عدداً كبيراً من العرب، فلما أرادوا العـودة إلى المغـرب أسـكنهم فى الأندلس فى نواحـى قـرطبـة ونواحى أشبيلية.

بل أن العرب أنفسهم، دخلوا بعد ذلك فى صـراعات مع بعضـهم البعض، تحاول القبـيلـة القوية منهـم طـرد الأخـرى والاستيلاء على مـواطنها. يقول

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٤ - ١٥.

(٢) أنظر البيان والأعراب للمقريزى، ص ١٦٧.

(٣) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢١.

(٤) أنظر المراكشى، المصدر السابق، ص ٢٩٣ - ٢٩٥.

ابن عذارى(١) «وفى سنة ٤٦٦هـ وقيل سنة ٤٦٧هـ طردت زغبه من افريقيا، طردهم رياح منها. وفى سنة ٤٦٨هـ وصلت إلى أفريقية عرب من برقة ونزلت حول القيروان وما والاها «ويقول ابن عذارى(٢) فى موضع آخر، «وفى سنة ٤٩١هـ خرجت عدي من أفريقية أمام رياح». وهكذا نرى قبيلة رياح تطرد اولاد عمومتها من الأماكن التى اقاموا بها، ثم تطرد رياح بدورها ويحتل بعض اراضيها بطون من سليم، إذ يذكر التجانى(٣) أن المنطقة من باشو(٤) إلى سوسه كانت فى وقت رحلته فى يد بنى دلاج، بطن من عوف بن سليم، وكانت قبل هذا من منازل الرياحيين، «فلم تزل وفود الأعراب عند وصولهم من المشرق تدع من بين يديها من العربان الذين كانوا وصلوا قبلهم، إلى أن حصلت هذه الأرض وقتنا لمن ذكرنا(٥) «كما يذكرنا التجانى(٦) ايضاً وهو يتكلم عن قابس، انه كان يحكمها بنو جامع الهلاليون حتى أجلاهم عنها الموحدون.

وعلى ذلك فقد تكون هذه الأماكن التى سنذكرها، هى الأماكن التى كان بها نسل هؤلاء العرب، فى العصر الذى الف فيه هذا المصدر أو ذاك. أى أن هذه الأماكن تتفق فى المقام الأول مع نتائج الأحداث لا مقدماتها.

لكن بوجه عام، أقام بنو سليم فى المناطق الشرقية، فى حين انساح بنو هلال غرباً، إذ يقول المقريزى(٧)، حصل لسليم الشرق ولهلال الغرب... واقامت بطون من سليم واحلافها بارض برقة، وسارت قبائل دياب وعرق وزغب وجميع بطون هلال إلى افريقية،... وكان لزغبة طرابلس وما يليها، ولمرداس بن رياح باجه وما يليها». ولكن رياح كما سبق أن ذكر ابن عذارى طردت

---

(١) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٣٠٠ وانظر ابن الاثير، المصدر السابق، جـ١٠ ص٩٨. إذ يقول أحداث سنة ٤٦٧هـ» وفيها كانت حرب شديدة بين بنى رياح وزغبه ببلاد افريقية، فقويت بنو رياح على زغبه فهزموهم واخرجوهم عن البلاد».

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(٣) التجانى، المصدر السابق، ص ١٥.

(٤) مدينة تسمى بها شبه جزيرةجنوب تونس.

(٥) التجانى، المصدر السابق، ص ١٥، علما أن رحلته كانت بين سنتى ٧٠٦هـ ٧٠٨هـ.

(٦) المصدر السابق، ص ٩٥ وقابس مدينة على الساحل غربى طرابلس.

(٧) المقريزى، المصدر السابق، جـ٢ ص ٢١٧.

زغبه، ويبدو أنهم أقتسموا البلاد مرة ثانية(١)، فأصبح لبنى هلال من قابس إلى المغرب، حيث تقاسمتها بطونهم رياح وزغبة والمعقل وجشم والأثبج وشداد والخلط وسفيان.

وإذا نحن تتبعنا هذه القبائل منذ دخولها حتى استقرارها فى القرن الثامن الهجرى أو أوائل التاسع(٢)، نجد أن قبيلة سليم أقاموا أول الأمر ببرقة وجهات طرابلس، ثم صارت بعض قبائلهم إلى أفريقية، وبقى البعض فى برقة. فالذين بقوا فى برقة، هبيب ولبيد. أما من أتجه إلى أفريقية(٣)، زغب ودباب وعوف(٤).

يقول ابن خلدون أن مواطن هبيب من أول أرض برقة، مما يلى أفريقية إلى العقبة الصغيرة من جهة الأسكندرية فأقاموا هنالك بعد دخول أخوانهم إلى أفريقية(٥). وأول ما يلى الغرب منهم بنو حميد لهم أجد ابيه وجهاتها، وهم عديد يرهبهم(٦) الحاج. وبنو شماخ منازلهم المرج وطلمينا، ولهم عدد وقبائل متميزة ولهم العز فى هبيب لكونها حازت الاماكن المذكورة(٧). وقد زاد المقريزى(٨) بطوناً أخرى من هبيب لم يذكر ابن خلدون، هم سباك وبنو حمدان وبنو زيد وزيان وبنو معز ومحارب. ويذكر القلقشندى(٩)، أن بنى محارب يقيمون شرق بنى أحمد.

---

(١) المقريزى، المصدر السابق.

(٢) عينا هذا التاريخ حيث نعتمد على ابن خلدون والقلقشندى، والمقريزي وهم من رجال القرن الثامن وأوائل التاسع الهجرى.

(٣) يقصد بأفريقية تونس الحالية والجزء الشرقى من الجزائر.

(٤) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٧٢.

(٥) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٧٢.
القلقشندى، المصدر السابق، ص ٤٤٤.

(٦) ابن خلدون، المصدر السابق، وقد أطلق عليهم
القلقشندى، المصدر السابق، ص ٣٤، والمقريزى، البيان والاعراب، ص ٧٠ بنو أحمد.

(٧) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٣٠٧- المقريزى، المصدر السابق.
المرج : مدينة بالجبل الاخضر ببرقة.
طلمينا: مدينة ببرقة.

(٨) المصدر السابق.

(٩) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٤١٥.

اما بنو لبيد، فمنازلهم بين برقة والعقبة الكبيرة(١). يقول القلقشندى(٢)، وهم خلق كثير لا يكاد يحصى لهم عدد. ومن بطونهم، أولاد سلام وأولاد سليمان والبركات والبشره والبلابيس والجواشنه والحداده والدروع والرواشد والزرازير والحوته والسبوت والسوالم والشبله والشراعية والصرابرات والعواكله والعلاوية والموالك والنبله والندوة والنوافله وبنو قطاب(٣). وقد زاد ابن خلدون على هذه البطون أولاد مقدم، وهم بطنان، أولاد التركية وأولاد قائد(٤)، وقال، هم ينسبون إلى لبيد ويستطرد «ذكر لى سلام شيخ أولاد التركية، أن أولاد مقدم من ربيعة بن نزار(٥).

وعوف بن بهثه بن سليم كانوا، كما يقول ابن خلدون(٦)، يقيمون ببرقة عند دخولهم مع الهلاليين. ولما كانت فتنة ابن غانيه وقراقوش الغزى(٧)، لم يشاركوا فيها، بل قاوموها، فلما استقل أبو زكريا يحيى الأول بأفريقية(٨)، جاء ببنى مرداس وعلاق وهما من بنى عوف بن سليم إلى نواحى السواحل وقابس. وقد كانوا يقيمون فى هذه المنطقة أثناء قيام التجانى برحلته بين عامى٧٠٦هـ - ٧٠٨هـ (٩).

ويوجد بطن من عوف، هم دلاج، كانت تقيم ما بين باشو وسوسه جنوب مدينة تونس يقول التجانى «ومن أول الجزيرة هذه (جزيرة باشو)، ابتدأنا بالسلوك فى منازل العرب المتولين لأرض أفريقية، وهذه الأرض الآن من منازل

---

(١) العقبة الكبرى هضبة عند السلوم- العقبة الصغرى هضبة عند مرسى مطروح.

(٢) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٤١٠.

(٣) القلقشندى، المصدر السابق، صفحات ١٠٦، ١٢٠، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦-١٣٩، ١٤١، ١٥٤، ١٦٠-١٦١، ٤٠٠- وانظر المقريزى، المصدر السابق، ص ٦٩-٧١.

(٤) يذكرهم المقريزى، المصدر السابق، ص ٧١ أولاد فايد بالفاء وليس بالقاف.

(٥) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٥.

(٦) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٧٣ وما بعدها.

(٧) سنتعرض لهذه الفتنة فى الفصل التالى.

(٨) أول سلاطين الحفصيين، استقل بأفريقية عن الموحدين سنة ٦٢٥هـ.

(٩) التجانى، المصدر السابق، ص ٨٥، ٣٨١، ٣٨٤، ٤١٨، وانظر المقريزى، المصدر السابق ص ٦٩.

بنى دلاج، وهم فرقة من بنى عـوف بن سليم. وكانت قبل هذا منازل الرياحين، فلم تزل وفود الأعراب عند وصولهـا من المشرق تدع من بين يديها من العربان الذين كـانـوا وصلوا قـبلهم ، إلـى أن حـصلت هذه الأرض فى وقـتنا هذا لمن ذكرنا... وجور هذه الطائفة المعـروفة بدلاج فى فعلها وعبثـها فى البلاد وأهلها أشهر من أن نشير إليه، أو ندل بعبارة مختصرة عليه».

أما بنو دياب بن مالك بن بهثه، فأمـاكن اقامتهم تمتد فى ما بين طرابلس وقابـس، وبين قابس وبلاد الجـريد، وكذلك إلى الشـمال من قـابس. وبطونهم كثيرة متعددة منها:

بنو صابر بن دياب ومنازلهم بنواحى قابس(١).

الوشاحيون، أولاد وشاح بن عامـر بن جابر بن رافع. يقول التجانى فى رحلتـه أن رئاسـة الوشاحـيين فى عـهـده، مـحـصـورة فى قـبـيلتى الجـوارى والمحاميد. ويوجد إلى جانب هاتين القبـيلتين قبيلتان أخريان من الوشاحيين هم العمـور والجواوية. ولم يكونا فى زمان التـجانى من الكثرة أن يقوم كل قـبيل منها بنفسه، فـهـم تابعون لأحدى قبيلتى أخوتهم الجـوارى أو المحاميد. ومنازل الوشاحيين بين طرابلس وقابس(٢).

النوائل أولاد بن عـامـر بن جابـر بن فائد بن رافـع بن دياب، ومنازلهم شمال قابس(٣).

بنو أحمد بن دياب وكانوا يقيمون بين قابس وتوزر(٤).

بنو يزيد ويشاركون بنى أحمـد فى منازلهم. يقول التجاونى «وبنو يزيد أربعـة أفخـاذ مـن دبـاب تحالفت وانـتسبت على مـدلول الزيادة، لا إلى رجل مـتسم بـيزيـد». وهم الصـهـبـه أولاد صـهـب بن جـابـر بن رافع بن دباب، والحمـارنه بنـو حـمـران بـن جـابـر أخوتهـم والخرجـه وهـم جـماعـة مـن

(١) القلقشندى، المصدر السابق ص ٣١١.

(٢) أنظر التجانى، المصدر السابق، صفحات: ٨٦، ١١٨، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٣- القلقشندى، المصدر السابق صـفحات: ١٢٦، ١٥٨، ٢٥٠- ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٨٢-٨٥

المقريزى، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٣) أنظر التجانى، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٤) المصدر السابق، ص ١٣٤، وتوزر من بلاد الجريد تقع إلى الغرب من قابس.

آل سليمان بن رافع بن دباب، والأصابعة الذين ينتسبون إلى رجل كانت له أصبع زائدة. ويقول التجاني أن دباب ينعون عليهم نسبهم، وأنهم خارجون عنهم(١).

أما بنو زغب بن مالك بن بهثه، فقد سكنوا بافريقية جوار أخوانهم من بنى دباب بن مالك، ويبدو أنهمْ اتجهوا قليلاً إلى الشرق حيث صاروا إلى جوار بنى هبيب(٢).

وهناك بطون أخرى من سليم، يبدو أنها ظهرت بعد مجيئهم إلى المغرب. وبطون أخرى ليست من سليم وإنما نزلت بجوارهم، وهذه البطون هى:

بنو سلمان، ويقول القلقشندى(٣) أنهم بطن من بهثه، ومنازلهم بين طرابلس وقابس.

بنو حكيم بن علاق وبنو حصن بن علاق، يقيمون بين سوسه والجم(٤).

أما طرود فيقيمون مع بنى حكيم(٥). ويذكر القلقشندى أن طرود بن فهم، بطن من قيس عيلان، وأن بافريقية حى حظيم منهم يظعنون مع سليم(٦).

آل فجر، ذكرهم القلقشندى أنهم بطن من العرب ولم ينسبهم، ويذكر أنهم يقيمون حول قابس(٧).

الكعوب بطن من سليم، منهم أولاد بنى الليل، وفيهم مشيخة الكعوب، وامتدت منازلهم من قابس إلى بونه(٨).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٢٧٢.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٧٢.

(٣) القلقشندى، المصدر السابق. ص ٢٩٢.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٨٢.
التجانى، المصدر السابق، ص ٥٥، ٥٧، ٦٥ ويقول أن الجم أعظم حصون افريقية وأشهرها، وليس بأفريقية بعد الحنايا التى بقرطاجنة بناء أضخم منه ولا أعجب. وهو يقع إلى القرب من المهدية.

(٥) التجانى، المصدر السابق، ص ٥٥.

(٦) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٣٢٢.

(٧) القلقشندى، المصدر السابق، ص ٩٩.

(٨) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٣٣.=

أما قبائل بني هلال، فمن أهمهم الأثبج ورياح وزغبه وإلى جانبهم جشم والمعقل حلفاء بني هلال. وسنتتبع مواطن هذه القبائل حتى استقرارها في عهد ابن خلدون.

والأثبج كما يقول ابن خلدون(١)، كانوا من أوفر بني هلال عددا، وأكثرهم بطونا. ومن بطونهم الضحاك وعياض ومقدم والعاصم والطيف ودريد وكرفه.

وكانت مواطن الأثبج قسنطينه وشرقي جبل اوراس. وقد وقعت الفتن والحروب بين هذه البطون من الأثبج. فلما ملك الموحدون أفريقية، نقلوا بطون العاصم ومقدم الذين أشتركوا في ثورة بني غانيه، ومعهم قبائل جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن إلى المغرب الأقصى، حيث أنزلوهم بلاد تامسنا ما بين سلا ومراكش.

وبقيت عياض والضحاك ولطيف بمواطنهم، حيث استقرت عياض بجبل قلعة حماد، وغلبوا قبائله على أمرهم. أما الضحاك والطيف فأستقرت ببلاد الزاب حتى غلبهم الزواود، من رياح فصاروا في جملتهم.

أما دريد وكرفه، فكانت بينهم من الحروب والفتن التي قتل فيها حسن بن سرحان مقدم دريد وصاحب قسنطينه. وظلت الفتن بنيهم حتى عهد الموحدين وافترق أمرهم.

أما رياح، فقد كانت من أعز قبائل هلال وأكثرهم جمعاً عند دخولهم أفريقية وهم رياح بن أبي ربيعه بن نهيك بن هلال بن عامر. ومن أهم بطونهم مرداس وقد عقد الخليفة المستنصر الفاطمي لمقدمهم موسى بن يحيى المرداسي على القيروان وباجه.

وقد تمكنت رياح من مد نفوذها على حساب أقربائها من الأثبج إلى قسنطينه والمسيلة والزاب(٢).

=القلقشندي، المصدر السابق، ص ١١٤، وص ١٥٦-١٦٧.

وبونه هي ميناء عنابه الحالية شرق الجزائر قرب الحدود التونسية.

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٩-٢٤.

(٢) أنظر ابن خلدون والمصدر السابق، جـ٦ ص ٣١ وما بعدها.

القلقشندي، المصدر السابق، ص ٢٦٦-٢٧٧.

وقد نقل الخليفة الموحدى أبو يوسف يعقوب المنصور قبائل رياح إلى المغرب الاقصى ما بين طنجة وسلا(١).

على أن الزواوده وهم بطن كبير من رياح ظلوا حتى زفن ابن خلدون فى منطقة جبل أوراس والزاب والمناطق الغربية من جبل أوراس كما تغلبوا على قسنطينه وبجاية(٢).

وكان لزغبه أخوة رياح عزه وكثره عند دخولهم المغرب، حيث تغلبوا على ضواحى طرابلس وقابس(٣). ولم يزالوا بتلك المحال إلى أن غلب الموحدون على أفريقية، وثار بها ابن غانيه وانضمت زغبه إلى الموحدين فانتقلوا إلى المغرب الأوسط حتى تلمسان غرباً، وهناك أقاموا فى القفار فى حين أقامت زناته فى التلول والضواحى. ومن أهم بطون زغبه، بنو يزيد وبنو عامر وبنو عروه(٤).

أما المعقل، وهم أحلاف هلال، وإن لم ينتسبوا إليهم. ويرجح ابن خلدون انهم من عرب اليمن(٥). وقد كانت مواطنهم فى عهد ابن خلدون قفار المغرب الأقصى، يحازيهم من الشرق بنو زغبه، وتمتد مواطنهم من تلمسان شرقاً إلى المحيط غرباً.

والمعقل ثلاث بطون ذوو عبد الله وذوو منصور وذوو حسان فأقام ذوو عبد الله مجاورين لزغبه، بين تلمسان وتلوريرت. ومواطن ذوو منصور من تلوريرت إلى بلاد درعه، حيث تمتد أماكنهم من وادى ملوية إلى سجلماسه. ومن أهم مدنهم درعه وتازى وفاس ومكناسة وبلاد تادلا. أما ذوو حسان فتمتد مناطقهم من درعه إلى المحيط، وكان شيوخهم ينزلون حول قاعدة السوس، وكانوا يهيمنون على السوس الأقصى وينتجعون فى الرمال إلى مواطن الملثمين، من كدالة ومسوفه ولمتونه(٦).

إلى جانب هؤلاء ذكر ابن خلدون الخلط، فقال أن بالمغرب من بنى المنتفق

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢١.
(٢) المصدر السابق، جـ٦ ص ٣٤.
(٣) المصدر السابق، جـ٦ ص ٢١، ٤٠.
(٤) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٤٠ وما بعدها.
(٥) المصدر السابق، جـ٦ ص ٥٩.
(٦) ابن خلدون، المصدر السابق جـ٦ ص ٥٨ وما بعدها.

أحياء دخلوا مع هلال بن عامر، كلهم يعرفون بالخلط. ومواطنهم بالمغرب الأقصى ما بين فاس ومراكش(١).

وتقول دائرة المعارف(٢) أن المنازل التى يسكنها الخلط فى أيامنا هذه تمتد خمسين ميلاً فى الطول من الشمال إلى الجنوب، وعشرين ميلاً فى العرض من الشرق إلى الغرب. ويفصلهم عن المحيط شقة ضيقة من أرض الساحل.

(١) المصدر السابق، ص ١١.

(٢) دائرة المعارف، مادة الخلط.

الفصل الثالث

علاقات العرب بدول المغرب

- العلاقة مع صنهاجة وزناته.
- العلاقة مع الموحدين.
- العلاقة مع الحفصيين والمرينيين والزيانيين.

العلاقات مع صنهاجه وزناته :

ونقصد بصنهاجة، دولتى بنى زيرى وبنى حماد. وصنهاجة من قبائل البربر البرانس التى ناصرت الفاطميين منذ قيام دولتهم، شأنها فى ذلك شأن قبيلة كتامة التى قامت الدولة الفاطمية على رماحهم. وقد انتقلت معظم كتامة مع الفاطميين إلى مصر، فى حين بقيت صنهاجة لتحكم المغرب باسم الفاطميين تحت سلطان الدولة الزيرية. ولكن هذه الدولة انقسمت إلى دولة بنى زيرى فى أفريقية، ودولة بنى حماد فى المغرب الأوسط. وقد كان التنافس شديداً بين هاتين الدولتين، وأدى هذا الانقسام إلى تدخل العرب فى شئونهما. كما عمدت كل منهما إلى الاستعانة بفريق من العرب ضد الأخرى، كما سنفصله فيما بعد.

أما زناته، فهى قبيلة بربرية كبيرة من البتر، وكانت منافسة منذ القدم لصنهاجة، حتى أنها كانت من ألد أعداء الفاطميين الذين حالفتهم صنهاجة، وقاموا ضدها بثورة كادت أن تقضى عليها هى ثورة أبى يزيد بن كيداد(١).

ولما رحل الفاطميون إلى مصر، ظل العداء بين الدولة الصنهاجية وبين زناته، وقامت بينهما حروب عدة. فلما جاءت الغزوة الهلالية، ناصب الهلاليون زناته العداء، وقد يكون ذلك بتحريض من بنى حماد(٢).

ولقد رأينا فى الفصل السابق كيف أن العرب انتصروا على المعز بن باديس، الذى لم يستطع الوقوف أمامهم، وكيف اضطر أخيراً إلى الانسحاب إلى المهدية، حيث بقى إلى أن توفى. وخله ابنه تميم الذى تقلصت دولته، واقتصرت على المهدية وشريط ساحلى ضيق يشمل سفاقس وقابس وجزيرة جربه(٣).

ولقد كان فى مقدور العرب لو أرادوا أن يكونوا لهم دولة. ولكن على

---

(١) هو أبو يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى، كان يعتنق مذهب الخوارج، وقام بثورته ضد الفاطميين التى استمرت من سنة ٣٣٢هـ حتى سنة ٣٣٥هـ- أنظر عن هذه الثورة ابن خلدون جـ٤ ص ٨٤ وما بعدها.

(٢) أنظر ابن الأثير، المصدر السابق، جـ٩ ص ٣٩٠.

(٣) دكتور سيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ٦٧١.

ما يبدو فإن طبيعتهم البدوية، جعلتهم يكتفون بتملك الضواحى، تاركين الحواضر تحت رحمتهم وسلطانهم. وبدأ العرب يمارسون النزاع فيما بينهم هم أنفسهم، حتى أنقسموا إلى فرق متطاحنة ظلت فى صراع فيما بينها، أو يثيرون القلاقل والفتن للدول الموجودة فى المنطقة، ينضمون لهذا الفريق أو ذاك، حسب ما يتراءونه على أنه مصالحهم. فلا احترام لسلطان دولة إلا إذا أجبرتهم الدولة على ذلك إن أستطاعت. فكثرت الفتن بينهم، وعجزت الدول -إلا فى النادر- عن قيادهم.

لما ملك تميم بن المعز (٤٥٣هـ - ٥٠١هـ)، غلبه العرب على أمره، وحاول هو بدوره أن يحالف بعض القبائل من العرب ويستعين بهم ضد من يحاول أن يثور عليه ببلد من بلاده(١). وكانت سفاقس أول من ثار على تميم، إذ تحالف صاحبهما حمو بن مليل البراغوطى مع عرب عدى والأثبج ومن أنضم إليهم، وزحف بهم إلى المهدية ليحاصرهما سنة ٤٥٥هـ. ولكن تميم أستطاع أن يهزم حمو بعد أن قتل الكثيرين من أصحابه، وتراجع حمو إلى سفاقس(٢) ولم يزل تميم يتحين الفرص حتى تمكن من دخول سفاقس سنة ٤٩٣هـ، وفر حمو منها مستجيراً بامير رياح، مكى بن كامل الرياحى بقابس(٣).

ولقد كان تميم يسعى دائماً لإذكاء نار العداوة بين قبائل العرب، حتى يستطيع الاستعانة ببعضهم ضد البعض، أو ضد خصومه، ومن ذلك أن رجلا من عدى قتل رجلا من رياح، وحاولت القبيلتان احتواء هذا الحادث، وعقد الصلح بين الطرفين. فرأى تميم أن بقاء العداوة بينهما أجدى لسياسته. فأرسل يحرض رياحا قائلاً.

متى كانت دماؤكمو تطل ... أما فيكم بثار مستقل
اغانم ثم سالم أن فشلتم ... فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى ... كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى ... ولا بيض تفل ولا تسل

(١) التجانى، المصدر السابق، ص ٣٣٠.
(٢) التجانى، المصدر السابق، ص ٧٠
ابن الأثير. المصدر السابق، جـ ٠ـ ص ١٦ ، ٢٩ -
ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٥ وقد أطلق عليه حمو بن فلفل
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٩٩.
(٣) التجانى، المصدر السابق، ص ٧١.

فهاجت الفتنة بين الحيين من جديد، حتى أنجلت عدى عن افريقية(١). ولعله هو أيضاً الذى أوقع الخلاف بين رياح وزغبه، فقامت بينهما حرب طاحنة سنة ٤٦٧هـ تمكنت فيها رياح من طرد زغبه من أفريقية(٢).

وكانت رياح، كما ذكرنا فى الفصل السابق، قد سيطرت على قابس، وأصبح صاحبها مؤنس بن يحيى الرياحى. وقد لجأ إليه أثنان من كبار رجال دولة المعز هما إبراهيم وقاضى(٣) ابنى محمد الصنهاجى، وأصبح إبراهيم يحكم صنهاجة تحت سلطان العرب(٤). فلما تولى تميم بن المعز خرج إبراهيم سنة ٤٧٦هـ ومعه جموع عظيمة من العرب على رأسهم مالك بن علوى الصخرى(٥) لحصار المهدية، فارسل تميم إلى أحلافه من العرب أموالاً، فهجموا على عسكر إبراهيم، ثم خرج تميم بجنده، فهجموا عليهم من الجهة الأخرى، فهزم إبراهيم ورجع إلي قابس. أما مالك بن علوى فتوجه إلى القيروان، حيث حصره تميم بها مدة ولكنه تمكن من الهرب(٦). ويظهر أنه قد تم صلح بين تميم ومالك، حيث يقول ابن الأثير(٧)، فى أحداث سنة ٤٨٢هـ أن ابن علوى نقض فيها ما بينه وبين تميم بن المعز من العهد، وأنه استولى على سوسه، وجرى بينه وبين أهلها ومن بها من عسكر قتال شديد، وايقن مالك أنه لن يستقيم له الأمر مع تميم، فخرج من سوسه وأقام فى الصحراء.

أما إبراهيم بن محمد الصنهاجى، فقد ظل فى قابس حتى مات. وخلفه أخوه قاضى، الذى قتله أهل قابس، وتمكن المعز من استعادتها. إلا أنها خرجت

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١٠ ص ٤٥٠.
(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١٠ ص ٩٨.
(٣) يسميه ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ١٦٦ ماضى
(٤) التجانى، المصدر السابق، ص ٩٦ - ٩٧.
(٥) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١٠ ص ١٣٢.
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٣٠٠.
التجانى، المصدر السابق، ص ٣٣٠ - ٣٣١ وقد أورده مالك بن علوان، ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٥ وقد أطلق عليه اسم مالك بن علي.
(٦) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١٠، ص ١٣٢.
التجانى، المصدر السابق، ص ٣٣١.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ١٦٦-١٦٧.
(٧) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١٠ ص ١٧٩.

عن طاعته، ودخلت فى طاعة العرب مرة أخرى، ووليها مكى بن مالك الرياحى الذى ذكرنا أنه أجار حمو بن مليل البرغواطى سنة ٤٩٣هـ، ثم وليها من بعده ابنه رافع بن مكى الذى ظل على علاقات ودية مع يحيى بن تميم (٥٠١ - ٥٠٩هـ) فلما ولى علىّ بن يحيى (٥٠٩ - ٥١٥هـ) ساءت العلاقات بينه وبين رافع، وذلك أن رافعا أنشأ بساحل قابس سفينة ضخمة، فكره على ذلك، وأبى أن يشاركه أحد فى البحر، فأرسل أسطولاً لمنع السفينة الأقلاع فى البحر، والاستيلاء عليها. فلما علم رافع بذلك أرسل إلى روجار صاحب صقلية يسأله العون. ويخبره أنه أنما بنى هذه السفينة ليرسل عليها هدية له. فأرسل روجار إلى قابس أسطولاً ضخماً لنصرة رافع. ورغم أن رجال الدولة نصحوا عليا بعدم التعرض لرافع أو للأسطول النورمانى حفاظاً على الهدنة مع روجار إلا أنه هاجم قابس والأسطول النورمانى. وكان هذا من الأسباب التى أدت إلى سوء العلاقات بين روجار وعلىّ ثم ابنه الحسن من بعده، وانتهت باستيلاء روجار على المهدية وانقراض دولة بنى زيرى(١). وقد شجع هذا الانتصار عليا، على أن يهاجم قابس بحراً سنة ٥١١هـ، وحاول رافع مصالحته، فلم يجبه على لذلك، وتمكن علىّ من ضم جموع من العرب إلى صفوفه ضد رافع. فلما رأى رافع عدم قدرته على الوقوف أمام علىّ، ترك قابس إلى القيروان التى كانت تحت سلطان العرب فولوه عليها(٢)، على أن قابس ظلت مع ذلك تحت أسره بنى جامع إلى أن استولى عليها الموحدون(٣).

ولكن لما بدأ النورمان يهاجمون سواحل بنى زيرى هب العرب إلى معاونتهم فى صد هذه الغارات، إذ يذكر ابن عذارى فى أحداث سنة ٥١٦هـ و سنة ٥١٧هـ(٤)، أن روجار صاحب صقلية جمع جموعه لمهاجمة الحسن بن على بن تميم، فاستعد الحسن وحشد القبائل، واستقدم العرب، وفى أواخر جماد الأولى وصل أسطول النورمان المكون من ثلاث وعشرين شينيا(٥)

---

(١) التجانى، المصدر السابق، ص ٩٧-٩٨.

(٢) التجانى، المصدر السابق، ص ٩٩
ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٣٠٧
ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٩١

(٣) التجانى، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(٤) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٣٠٨ - ٣٠٩.

(٥) الشينى، سفينة حربية ويسمى أيضاً الغراب، وله مئة وأربعون مجدافاً، وكانت تقام=

واستولى على جزيرة الاحاسى، ولكن العرب هاجموهم، وأنزلوا بهم هزيمة منكرة حتى طلبوا الأمان من السلطان الحسن بن على بن تميم، ولكن العرب لم يقبلوا وقتلوهم عن آخرهم.

إذا انتقلنا إلى علاقات العرب بالشطر الثانى من الدولة الصنهاجية، أى دولة بنى حماد بالمغرب الأوسط، نلاحظ أن العرب أخذوا ينساحون غرباً على ثلاث جبهات، الأولى فى الشمال أى الجهات الساحلية، وهى مناطق كتامة البربرية ويرى الأستاذ(١) الميلى، أن تقدم الهلاليين فى هذه المناطق لم يلق مقاومة من كتامة، ويعلل ذلك، إما أن يكون الفاطميون قد كاتبوا كتامة بتاييدهم، وإما أن يكون الكتاميون فعلوا ذلك نكاية فى صنهاجة. ويستشهد على حسن العلاقة بين أهالى هذه المناطق مع العرب، بما ذكره الأدريسى من أن مدن هذه المنطقة كانت حالتها التجارية حسنة وأهلها مياسير وبينهم وبين العرب معاملات ومشاركة فى الحرث والأتجار.

أم الجبهتان الاخريان، التى تقدم إليها العرب، فهما المنطقة الوسطى حيث الحماديون، والمنطقة الجنوبية حيث قبيلة زناته. وكان تقدم العرب فى هاتين المنطقتين شاقاً، ويلاقى مقاومة شديدة.

أما بنو حماد، فقد حاول الناصر بن علناس بن حماد (سنة ٤٥٤هـ - ٤٨١هـ) بعد ان رأى ما حل بدولة أبناء عمومته الزيريين، أن يتحالف مع العرب ويستولى على المهدية فحالف الأثبج. فلما سمع تميم بن المعز بذلك حالف رياحا وزغبه(٢). ولكن العرب سرعان ما فطنوا إلى محاولات صنهاجة للتفريق بينهم، فاجمعوا أمرهم على قتال الناصر بن علناس. وقد أورد ابن الاثير نصاً هاماً يوضح لنا موقف الطرفين، نورده لاهميته. يقول فى أحداث سنة ٤٥٧هـ (٣).

«فى هذه السنة كانت حرب بين الناصر بن علناس بن حماد ومن معه من رجال المغاربه من صنهاجه ومن زناته، ومن العرب عدى والأثبج، وبين رياح وزغبه وسليم ومع هؤلاء المعز بن زيرى الزناتى على مدينة سبيبه(٤) وكان سببها أن

=فيه ابراج وقلاع للدفاع

أنظر المناوى، نهر النيل فى المكتبة العربية، ص ١٩٨.

(١) الميلى، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٢) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٩.

(٣) ابن الأثير. المصدر السابق، جـ ١٠ ص ٤٤-٤٦.

(٤) سبيبه: ناحية من أعمال القيروان. ياقوت، معجم البلدان.

حماد بن بلكين جد الناصر كان بينه وبين باديس بن المنصور من الخلف، وموت باديس محارصاً قلعة حماد(١) ما هو مذكور، ولولا تلك القلعة لأخذ سريعاً، وانما امتنع هو وأولاده بها بعده، وهى من أمنع الحصون. وكذلك ما استمر بين حماد والمعز بن باديس ودخول حماد فى طاعته، وكذلك أيضاً ما كان بين القائد بن حماد وبين المعز، وكان القائد يضمر الغدر وخلع طاعة المعز، والعجز يمنعه من ذلك، فلما رأى القائد قوة العرب وما نال المعز منهم، خلع الطاعة وأستبد بالبلاد، وبعده ولده محسن وبعده ابن عمه بلكين بن محمد بن حماد، وبعده ابن عمه الناصر بن علناس بن محمد ابن حماد، وكل منهم متحصن بالقلعة، وقد جعلها دار ملكهم. فلما رحل المعز من القيروان وصبره إلى المهدية، تمكنت العرب ونهبت الناس وخربت البلاد، فانتقل كثير من أهلها إلى بلاد بنى حماد لكونها جبالاً وعرة ويمكن الأمتناع بها من العرب، فعمرت بلادهم وكثرت أموالها، وفى نفوسهم الضغائن والحقود من باديس ومن بعده من أولاده، يرثوه صغير عن كبير وولى تميم بن المعز بعد أبيه، فأستبد كل من هو ببلد وقلعة بمكانه، وتميم صابر يدارى ويتجلد. واتصل بتميم أن الناصر بن علناس يقع فيه فى مجلسه ويذمه وأنه عزم على السير إليه ليحاصره بالمهدية، وأنه قد حالف بعض صنهاجة وزناته وبنى هلال ليعينوه على حصار المهدية. فلما صح ذلك عنده، أرسل إلى أمراء بنى رياح فأحضرهم إليه وقال: أنتم تعلمون أن المهدية حصن منيع، أكثره في البحر، لا يقابل منه فى البر غير أربعة أبراج يحميها أربعون رجل، وانما جمع الناصر هذه العساكر إليكم. فقالوا له: الذى تقوله حق، ونحب منك المعونة، فأعطاهم المال والسلاح فجمعوا قومهم واتفقوا على لقاء الناصر.

وأرسلوا إلى من مع الناصر بن بنى هلال يقبحون عندهم مساعدتهم للناصر ويخيفونهم منه أن قوى، وأنه يهلكهم بمن معه من زناته وصنهاجة، وأنه إنما يستمر لهم المقام والاستيلاء على البلاد إذا تم الخلف وضعف السلطان، فأجابهم بنو هلال إلى الموافقة، وقالوا: أجعلوا أول حملة تحملونها علينا فنحن ننهزم بالناس، ونعود عليهم، ويكون لنا ثلث الغنيمة، فأجابوهم إلى ذلك واستقر الأمر.

---

(١) قلعة حماد: بناها حماد بن يوسف بن زيرى سنة ٣١٨هـ قرب أشير فى المغرب الأدنى وهى قلعة حصينة تشبه قلعة أنطاكية فى حصانتها، بينها وبين سطيف ثلاث مراحل ياقوت، معجم البلدان.

وأرسل المعز بن زيرى الزناتى إلى من مع الناصر من زناته بنحو ذلك، فوعدوه أيضاً أن ينهزموا، فحينئذ رحلت رياح وزناته جميعها، وسار إليهم الناصر بصنهاجة وزناته وبنى هلال، فالتقت العساكر بمدينة سبيبه فحملت رياح على بنى هلال، وحمل المعز على زناته، فانهزمت الطائفتان وتبعهم عساكر الناصر منهزمين، ووقع فيهم القتل، فقتل فيمن قتل القاسم بن علناس أخو الناصر وكان مبلغ من قتل من صنهاجة أربعة وعشرين الفا وسلم الناصر فى نفر يسير، وغنمت العرب جميع ما كان فى العسكر من مال وسلاح ودواب وغير ذلك. فاقتسموها على ما استقر بينهم. وبهذه الوقعة تم للعرب ملك البلاد، فأنهم قدموها فى ضيق وفقر وقلة دواب فاستغنوا وكثرت دوابهم وسلاحهم، وقل المحامى عن البلاد.. ويذكر ابن خلدون(١) أن الناصر فر إلى قسنطينه ورياح فى أثره، ثم تحصن بالقلعة فحاصرها العرب وخربوا جنباتها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار فخربوها وأزعجوا ساكينها» وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر واظهروا فى الارض الفساد، وهجروا ملوك أفريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالها فى الامصار وملكوا عليهم الضواحى يتحينون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد ويأخذون الاتاوات ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر الناصر بن علناس سكن القلعة واختط مدينة بجايه(٢) ونقل إليها مقر ملكه لينأى عن خطر العرب الذين سيطروا على طرق القوافل، فلا يجتازها غيرهم إلا بخفاوة أحدهم.

على أن الناصر سرعان ما قرب إليه عرب الأثبج واستطاع بمعاونتهم أن يفتح مدينة الأريس(٣) سنة ٤٦٠هـ كما وصل إلى القيروان ودخلها مع العرب، إلا أنه سرعان ما ترك القيروان سنة ٤٦١هـ وعاد إلى قلعته خوفاً من جموع العرب(٤).

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ١٩ - ٢٠.
وأنظر ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٩٩.

(٢) مدينة على ساحل الجزائر شمال قسنطينه.

(٣) الاريس: مدينة وكورة بافريقية، غرب القيروان-ياقوت، معجم البلدان.

(٤) أنظر ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٩٩ - ٣٠٠.
ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٥.

ولقد صالح المنصور بن الناصر (سنة ٤٨١هـ - ٤٩٨هـ) العرب على أن يجعل لهم نصف غلة البلاد من تمر وبر وغير ذلك(١).

وكان بنو حماد يختصون الأثبج بمحالفتهم ويختصونهم بالرياسة، إلى أن ضعف الأثبج نتيجة الفتن بينهم(٢)، وذهبت دولتهم بذهاب صنهاجة ودولتهم(٣).

أما الجبهة الثالثة الجنوبية لتقدم العرب غرباً، فهي جهة الصحراء حيث قبائل زناته، وقد دافعت زناته عن مواطنها بقوة، وقد كانت أملك للبأس من صنهاجة لبداوتها وتقارب ما بين حياتها وحياة العرب(٤). يقول ابن خلدون: أنه لما غلبت العرب صنهاجة أجتهدت زناته في مدافعتهم، «بما كانوا أملك للبأس والنجدة بالبداوة فحاربوهم ورجعوا إليهم من أفريقية والمغرب الأوسط»(٥).

وزناته قبيلة بربرية قوية، وهم كما يقول ابن خلدون، مثل العرب في أساليب معيشتهم وقوة بأسهم، من حيث سكنى الخيام واتخاذ الأبل وركوب الخيل والتقلب في الأرض، وإيلاف الرحلتين، وتخطف الناس من العمران، والأباء عن الأنقياد للنصفة(٦).

وعندما دخل العرب من بني سليم وبني هلال إلى برقة وجدوها خالية من سكانها من زناته التي أبادتهم المعز(٧). ولما غلبوا المعز بن باديس على أعمال أفريقية واقتسموها، كانت قابس وطرابلس في قسمة زغبه، والبلد (طرابلس) لبني خزرون الزناتين، الذين ظلوا بها بعد أن غلب بنو سليم على هذه المناطق.

وحالف المنتصر بن خزرون صاحب طرابلس بني عدي الهلاليين ضد

---

(١) المراكشي، المصدر السابق، ص ٢٩٤.
وأنظر الميلي، المرجع السابق، ص ٢٠٤.
(٢) بينا ذلك في الفصل السابق.
(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ٢٠.
(٤) الميلي، المرجع السابق، جـ٦ ص ٢٠..
(٥) ابن خلدون، المرجع السابق، جـ٦ ص ١٩.
(٦) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٢.
(٧) تعرضنا لذلك في الفصل الثاني.

الناصر بن علناس بن حماد، وخرج إليه بجموعه، ولكن الناصر هزمهم ففر المنتصر إلى الصحراء ولكنه ظل يضايق الناصر حتى عرض عليه الصلح وأقطعه الزاب، ولكنه فى الوقت نفسه حرض عروس بن سندى صاحب بسكره(١) على التخلص منه، وفعلاً تمكن من قتله غيلة سنة ٤٦٠هـ(٢).

ولما تحالف الحماديون مع الأثبج وزغبه كما -ذكرنا- أستظهروا بهم على قبائل زناته بالمغرب الأوسط، وأنزلوهم بالزاب وأقطعوهم الكثير من أعماله. فكان لابد من الصدام مع آل خزر الزناتيين أمراء تلمسان(٣)، ودافعتهم زناته عن هذه الجبهة فكانت بين الفريقين مواقف خلدها الهلاليون فى أشعارهم، وكانت بينهم وبين بنى يعلى أمراء تلمسان حروب ووقائع وكانت زغبه أقرب إليهم موطناً، وكان أمير تلمسان يحيى بن يعلى وكان وزيره وقائد حروبه أبا سعيد ابن خليفه اليفرنى الذى كان كثيرا ما يخرج من تلمسان لقتال الأثبج وزغبه. وكان يحتشد إليه زناته المغرب الأوسط مثل مغراوه وبنى يفرن وبنى يلومو وبنى عبد الواد وتوجين وبنى مرين. وقد قتل أبو سعيد فى هذه الحرب فى نواحى الزاب. وتغلب العرب على الضواحى فى كل مكان، يقول ابن خلدون: وعجزت زناته عن مدافعتهم بأفريقيا والزاب وصار الملتحم بينهم فى الضواحى بجبل راشد ومصاب من بلاد المغرب الأوسط(٤).

وبطون زناته كثيرة، واختلفت علاقة هذه البطون بالعرب، فابن خلدون وهو يتكلم عن بنى سنجاس وبنى ريغة من قبائل مغراوة الزناتية يقول أن دولة بنى حماد كانت تعمل دائماً على كسر شوكتهم، فلما جاء بنو هلال وغلبوا صنهاجة وزناته على الضواحى، تحيز هؤلاء إلى الحصون والمعاقل، وفرضت عليهم المغارم، وغلب عليهم الهلاليون ونزلوا معهم وملكوا عليهم أمرهم، وأصاروهم خولا(٥).

فى حين أن الأغوط، وهم فخذ من مغراوه، أنحازوا إلى الصحراء فيما

---

(١) بسكره مدينة على حافة الصحراء فى الجزائر قرب تهوده التى قتل فيها عقبة بن نافع فتح المغرب وبها قبر عقبة.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٤٤ - ٤٥.

(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٤٥.

(٤) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ١٩، وجـ٧ ص ٤٥، ٦١ - ٦٢.

(٥) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٤٧.

بين الزاب وجبل راشد(١)، يقول ابن خلدون: أنهم مشهورون بالقوة والبأس والامتناع من العرب(٢) وقد تمركزت زناته فى المغرب الأوسط نتيجة الغزوة الهلالية، إذ يقول ابن خلدون(٣) «وغلب الهلاليون قبائل زناته على جميع الضواحى، وأزاحوهم عن الزاب وما إليه من بلاد أفريقية، وانشمر بنو واسين عن الزاب إلى مواطنهم بصحراء المغرب الأوسط بين مصاب وجبل راشد إلى ملويه، ثم إلى سجلماسة ولاذوا ببنى وماتو وبنى يلومى ملوك الضواحى بالمغرب الأوسط، وتفيئوا ظلهم واقتسموا ذلك القفر».

العلاقة مع الموحدين:

كان موقف العرب من دولتى بنى زيرى وبنى حماد موقف القوى فى غالب الأحيان. ووجدت هذه القبائل بغيتهم فى دولتى صنهاجة لضعفها. ولكن الأمر اختلف عندما قامت دولة الموحدين (٥٢٤ - ٦٦٨هـ)، وامتد نفوذها إلى كل المغرب، فقد كانت فى معظم الأحيان دولة قوية قادرة على بسط سلطانها. لذلك أخذ موقف العرب فى التذبذب بين الطاعة والولاء وبين شق عصا الطاعة أو الاشتراك فى الثورات التى أندلعت فى المغرب مثل ثورة بنى غانية.

عندما زحف عبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين (٥٢٤-٥٥٨هـ)، إلى المغرب الأوسط وأفريقية سنة ٥٤١هـ، سارع العرب إلى لقائه، ووفد عليه بالجزائر أبو الجليل بن شاكر وحباس بن شيفر أمير جشم، فأحسن عبد المؤمن لقاءهما، وعقد لهما على قومهما(٤).

ولكن العرب لما رأوا أن عبد المؤمن يعتزم فتح المغرب كله بعد استيلائه على بجايه، أحسوا بالخطر الذى أصبح يتهددهم. ودعتهم المصلحة المشتركة أن يتناسوا خصوماتهم، وأن يكونوا يداً واحدة، والعمل على إخراج عبد المؤمن من البلاد قبل أن يرسخ نفوذه ويقوى سلطانه. فاجتمع العرب الهلاليون من كل

---

(١) جبل راشد: لم أعثر على تعريف له. ويفهم من كلام ابن خلدون أنه فى المغرب الأوسط شمال الزاب.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٤٨.

(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٦١ - ٦٢.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢٠.

مكان، وقالوا أن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب، وليس الرأى إلا لقاء الجد معه، وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن(١).

تحالف العرب من الأثبج ورياح وزغبه وعدى وغيرهم، وخرجوا بأموالهم ونسائهم ليحاربوا دفاعاً عن أعراضهم وأموالهم، وكان على رأسهم محرز بن زياد بن فادع الرياحى. واتصل خبرهم بالملك روجر صاحب صقلية، فأرسل إلى محرز بن زياد وغيره من أمراء العرب مثل جباره بن كامل، وحسن بن ثعلب، وعيسى بن حسن يحثهم على لقاء عبد المؤمن ويعرض عليهم أن يمدهم. بخمسة آلاف فارس يقاتلون معهم، على شرط أن يرسلوا إليهم الرهائن، لكنهم رفضوا قائلين لا نستعين بغير المسلمين(٢).

سار العرب فى عدد كبير، وكان عبد المؤمن قد رحل من بجاية إلى بلاد المغرب، فلما بلغه خبرهم، جهز جيشاً يزيد على الثلاثين ألف فارس على رأسه ابنه عبد الله(٣)، والتقى الجمعان عند سطيف سنة ٥٤٨هـ حيث ظل القتال أربعة أيام، انتهت بهزيمة العرب الذين تركوا نساءهم وأموالهم، فاستولى عليها الموحدون. وقسم عبدالمؤمن الأموال على جنده، ولكنه أمر بالحفاظ على النساء والأولاد وصيانتهم ووكل بهم من يقوم بخدمتهم، ثم أنزلهم المساكن الفسيحة بمراكش، وأجرى عليهم النفقات الواسعة. وكان يهدف من ذلك أن يتألف قلوب العرب، إذ أمر ابنه محمدا أن يرسل إلى أمرائهم يعلمهم أن نساءهم وأولادهم تحت الحفظ والصيانة، ويطلب منهم الحضور ليصحبوا نساءهم وأولادهم، وأعلمهم أن أباه قد بذل لهم الأمان. فلما وصل كتاب محمد سارع العرب إلى مراكش، حيث أكرمهم عبد المؤمن، وأعاد إليهم نساءهم وأولادهم، وبذل لهم الأموال الطائلة، فأسترق بذلك قلوبهم(٤).

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١١ ص ١٨٥.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢٠.
(٢) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١١ ص ١٨٥ - ١٨٦.
(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ ٦ ص ٢٠.
ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١١ ص ١٨٦ ولكنه يذكر أن الذى كان على رأس جيش الموحدين عبد الله بن عمر الهنتاتى وسعد الله بن يحيى.
(٤) ابن الأثير، المصدر السابق.

وقد استعان عبد المؤمن بأمراء العرب فى نقل ولاية العهد من عمر هنتاتى إلى محمد بن عبد المؤمن سنة ٥٥١هـ. وذلك أن الاتفاق كان أن يلى عمر، وهو أحد كبار الموحدين، العلاقة بعد عبد المؤمن فلما تمكن عبد المؤمن من السلطة وكثر أولاده، أحب أن ينقل الملك إليهم. فاحضر أمراء العرب الهلاليين، ووصلهم وأحسن إليهم وأوحى إليهم عن طريق بعض رجاله أن يطلبوا من عبد المؤمن أن يجعل الأمر من بعده لولده. وفعلاً فاتحوا عبد المؤمن فى ذلك، وهو يتابى اكراماً لعمر هنتاتى منزلته فى الموحدين. فلما علم عمر ذلك، أدرك حيلة عبد المؤمن وخاف على نفسه، فحضر إلى عبد المؤمن، وخلع نفسه من ولاية العهد، فحينئذ بويع لمحمد بولاية العهد(١).

ولكن بعض قبائل العرب ظلت تقف موقف العداء من الموحدين، منهم بنو جامع الرياحيين أصحاب قابس. وكان آخر من ملكها من بنى جامع مدافع بن رشيد الذى أبى الدخول فى طاعة عبد المؤمن، رغم أن عبد المؤمن لاطفه واستدعاه بأشعار بها الكثير من اللوم والكثير من الأغراء. ولكن مدافع ظل على عناده، حتى قصده عبد الله بن عبد المؤمن والى بجاية بجيش كبير. واضطر مدافع إلى الهرب مدة، ثم لحق بعبد المؤمن عندما وصل إلى أفريقية لفتحها واستعادة المهدية من النورمنديين سنة ٥٥٤هـ، فقبل عبد المؤمن منه ورضى عنه(٢).

ولما فرغ عبد المؤمن من فتح أفريقيا وطرد النورمنديين، أخضع العرب هناك لسلطانه، واستولى على البلاد التى كانوا متغلبين عليها. ويبدو أنه حاول توزيع العرب الذين تكاثروا هناك، فى أنحاء المغرب المختلفة فاخذ من كل قبيلة من عرب افريقية الفا وأدخلهم إلى المغرب بعيالهم(٣). كما أنه عمل على نقلهم للأندلس، والاستعانة بهم ضد المسيحيين. يقول ابن الأثير(٤)، أن عبد المؤمن لما فرغ من استرداد المهدية من يد النورمان وأراد العودة إلى المغرب، جمع أمراء العرب من بنى رياح، وبيّن لهم أن المشركين قد استفحل أمرهم فى

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ١١ ص ٢١١.

(٢) التجانى، المصدر السابق، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١١٧.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ١١ ص ٢٤٦.

الأندلس، واستولوا على كثير من بلاد المسلمين، وأن العرب هم الند القوى لهم، وأن بهم فتحت البلاد أول الرسلام، وبهم يدفع عنها العدو الآن. وطلب منهم عشرة آلاف فارس للجهاد فى سبيل الله، فأجابوه، وأحلفهم على المصحف وخرجوا معه. ولكنه علم من أحد أمرائهم وهو يوسف بن مالك، أن العرب كرهت السير إلى الأندلس وقالوا إنما غرضه إخراجهم من بلاده، ولذلك فلن يفوا بما أقسموا عليه.

وصح ما ذكره يوسف بن مالك، إذ هرب العرب وتوغلوا فى الصحراء ولم يبق مع عبد المؤمن إلا يوسف هذا، لذلك أسماه عبد المؤمن، يوسف الصادق. وتظاهر عبد المؤمن بالمضى إلى المغرب، ونزل قرب قسنطينة، حيث ظل مدة متجاهلاً العرب، إلى أن أمن العرب الهاربون وعادوا إلي بلادهم. فارسل إليهم جيشاً قوامة ثلاثون ألف على رأسه ولداه محمد وعبد الله، وباغتهم جيش الموحدين وحال دون هروبهم إلى الصحراء، واستولى على أموالهم وحريمهم، فعاد العرب من رياح والأثبج إلى الطاعة. وأذعنوا للعبور للأندلس. يقول ابن الأثير(١) «وبقيت أفريقية مع نواب عبد المؤمن آمنة، ولم يبق منها من أمراء العرب خارجاً عن طاعته إلا مسعود بن زمام(٢).

على أن المراكشى(٣) يذكر رواية أخرى تخالف ما ذكره ابن الأثير، فيقول أن عبد المؤمن لما أراد العبور إلى الأندلس كتب للعرب رسالة يستنفرهم إلى الغزو بجزيرة الأندلس، وأمر أن تكتب آخرها أبيات من شعره منها:

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل
وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومه ثائر
وشدوا على الأعداء شدة صائل

---

(١) ابن الأثير، المصدر السابق، جـ ١١ ص ٢٤٦.

(٢) ذكره التجانى مسعود بن رمان أمير الرياحيين، وقال أنه ظل مخالفاً لبنى عبد المؤمن وأنه انضم إلى فتنة قراقوش= = أنظر التجانى، المصدر السابق، ص ١١٣.

(٣) المراكشى، المصدر السابق، ص ٢٩٤-٢٩٥.

بنـى العم مـن عليا هلال بن عامـر
وما جمعـت من باسل وابن باسـل
تعالـوا فقد شـدت إلى الغـزو نيـة
عـواقبـهـا منصــورة بالأوائــل

فاستجاب له منهم جمع ضخم. فلما أرادوا الانفصال عن الجزيرة، رتبهم فيهـا. فجعل بعضهم فى نواحى قـرطبة، وبعضهم فى نواحى إشـبيلية مما يلى مدينة شريش وأعمالها. يقـول المراكشى «فهم باقون إلى وقتنا هذا -وهو سنة ٦٢١هـ- وقد انتشر من نسلهم بتلك المواضع خلق كثير، وزاد فيهم أبو يعقوب وأبو يوسف(١) حتى كـثروا هنالك، فـفى الجزيرة اليـوم من العرب من زغـبه ورياح وجشم بن بكر وغيرهم نحو من خمسة آلاف فارس سوى الرجالة»(٢).

على أن الموحـدين واجـهوا حـركـتين خطيرتين، ظهـرتا فى وقت واحـد تقريباً. أحداهما جاءت من الشرق من مـصر، وهى حركة قراقوش الأرمنى. أما الأخرى فكان مصدرها جزيرة ميورقة قرب الساحل الشرقى للأندلس، وتعرف هذه الحركـة بثورة ابن غانيه. وقـد انضم كثيـر من القبائل العـربية إلى هاتين الحركتين، وسببوا بذلك للموحدين الكثير من العناء حتى قضوا عليهما.

أمـا قراقـوش الأرمنى فقـد كـان من مماليك الملك المظفـر تقى الدين ابن شـاهنشاه ابن أخى صـلاح الدين الأيـوبى. أما سبب مجيئه للمـغرب، فكما يقول التجانى(٣) أنه كان فى جـيش المظفر الذى أرسله صـلاح الدين لفـتح المغرب فى الوقت الذى أرسل فيـه أخاه تورانشاه إلى الـيمن. ونجح تورانشاه فى حـملته على اليمن، أما المظفر فقد عدل عن غزو المـغرب، حينئذ أنفصل قراقوش بطائفة من الجند وسـار إلى المغرب يفـتح البـلاد باسم صـلاح الدين حـتى وصل إلى طرابلس(٤)، فاجـتمع عليه الدبابيون من بـنى سليم، وساعدوه على الاستـيلاء على جبل نفوسه(٥) وغنم أموالاً طـائلة أرضى بها العـرب الذين التفـوا حوله.

---

(١) أبو يعـقوب يوسف بن عـبـد المؤمن ٥٥٨ - ٥٨٠هـ وأبو يوسف يعـقوب المنصـور بن يوسـف ٥٨٠-٥٩٥هـ.

(٢) المراكشى، المصـدر السابق ص ٢٩٥. وجاء فى حـاشية الصـفحة قـول المحقق، وبعض الأسبان اليوم من بنى هلال بن عامر، يتصل نسبهم بأبى زيد الهلالى.

(٣) التجانى، المصدر السابق، ص ١١٢.

(٤) المصدر السابق، ص ١١٣.

(٥) جبل نفوسه مركز الخوارج الاباضية ويقع جنوبى طرابلس.

وقد اتفق أن أمير الرياحيين من بنى هلال، مسعود بن رمان (زمام) خرج على الموحدين، فلما سمع بوصول قراقوش انضم إليه مع رجاله من بنى رياح.

وهكذا قويت شوكة قراقوش واستطاع الاستيلاء على طرابلس وتونس وغيرها سنة ٥٨٦هـ، وانضمت إليه العرب من كل مكان(١). ولكن قراقوش كأى مغامر تخبط فى سياسته، فكان طوراً ينضم للموحدين وطورا لبنى غانيه.

أما ثورة ابن غانيه، فكانت أخطر، إذ لم يكن هدفها المغامرة مثل قراقوش، بل محاولة أحياء دولة المرابطين التى أسقطها الموحدون، والاعتراف بالخلافة العباسية.

وبنو غانيه أصلهم من قبيلة مسوفة، وكان على بن يحيى المسوفى مقرباً لدى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، فزوجه امرأة من أهل بيته تسمى غانيه(٢)، ولذلك سموا بنى غانيه، وقد حكموا ميورقة والجزائر الشرقية باسم المرابطين. فلما سقطت دولة المرابطين بقى بنو غانيه يدعون لبنى العباس دون الموحدين الذين لم يتعرضوا لهم.

فلما استشهد أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الخليفة الموحدى بالاندلس سنة ٥٨٠هـ، طمع بنو غانيه فى إحياء دولة المرابطين بالمغرب على اعتقاد أن الموحدين ستختلف كلمتهم فيمن يخلف يوسف(٣).

وقد خرج على بن أسحق أمير ميورقة والجزائر الشرقية من أبناء غانية(٤) فى شعبان سنة ٥٨٠هـ واستولى على بجاية. يقول المراكشى: «وهذا أول اختلال وقع فى دولة المصامدة (الموحدين) لم يزل أثره باقياً إلى وقتنا هذا وهو سنة ٦٢١هـ»(٥).

---

(١) التجانى، المصدر السابق، ص ١١٣، وص ٢٤٣.

(٢) الميلى، المرجع السابق، ص ٢٥٣.

(٣) المراكشى، المصدر السابق، ص ٣٤٥.

(٤) غلب عليه اسم الميورقى نسبة إلى جزيرة ميورقة.

(٥) المراكشى، المصدر السابق، ص ٣٤٢

ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢٠ ويجعل ابن خلدون دخول ابن غانيه بجاية سنة ٥٨١هـ.

وقد انضمت جموع العرب إلى علي بن غانيه، وعلى رأسهم القبائل الهلالية جشم ورياح والأثبج، فى حين أنضمت قبائل زغبه إلى الموحدين فى قتالهم ضد ابن غانيه. كما أن قبائل بني سليم انضمت إلى ابن غانيه، بعد أن كانت فى صفوف قراقوش(١). ويبدو أن بنى سليم انضموا إلى بنى غانيه نتيجة اتصال على بن غانيه بهم، إذ يقول التجانى(٢): «ومما كتب به الميورقى إلى العرب يذكرهم الرحم الذى بينهم وبينه، لانه وأياهم من سليم(٣)، ويعيرهم انقيادهم لقراقوش، ويستدعيهم للوصول إلى حضرته.

يا أيها الراكب السارى لطيته
على عذافره تشقى بها الأكم
بلغ سليما على بعد المزار لها
بينى وبينكم الرحمن والرحم
يا قومنا لا تشبوا الحرب إن خمدت
واستمسكوا بعرى الأيمان واعتصموا
يقودهم ارمنى لا خلاق له
كانه فيهم من جهلهم علم
الله يعلم أنى ما دعوتكم
دعآء ذى ترة يوما فينتقم
ولا لجات لأمر يستعان به
من الأمور وهذا الحق قد علموا
لكن لأمر رسول الله عن رحم
ينمى إليه وترعى تلكم الذمم
فإن اتيتم فحبل الود متصل
وإن ابيتم فعند السيف نحتكم

---

(١) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢١.
(٢) التجانى، المصدر السابق، ص ١١٤-١١٥.
(٣) لاشك أن هذا ادعاء باطل، فبنو غانيه من البربر.

وقد رأى أبو يوسف يعقوب المنصور خليفة الموحدين أن يفرق شمل القبائل العربية التي اشتركت في ثورة ابن غانيه، فنقل جشم وبطونا من رياح إلى المغرب الأقصى، وأنزل زغبه حلفاء الموحدين في المغرب الأوسط(١). كما استظهر الموحدون بالكعوب من بني سليم وشجعوهم على طرد الزواوده من بني رياح من ضواحي أفريقية. وأصبح الكعوب أولياء الدولة، فأقطعتهم ما شاءوا من الأعمال والخراج، وأسكنوهم المنطقة من قابس إلى باجة(٢).

ولقد استمرت ثورة ابن غانيه التي تولاها عليّ ثم أخوه يحيى من بعده، نصف القرن جابوا فيها أنحاء المغرب بين نصر وهزيمة. ولقد بلغ من خطورة هذه الثورة، وخاصة بعد انضمام قراقوش الأرمني إليها، أن خرج الخليفة المنصور بنفسه لمواجهتها سنة ٥٨٦هـ، وتمكن من هزيمة يحيى ابن غانيه الذي تولى الأمر بعد مقتل أخيه عليّ واستولى على قابس وطرابلس(٣).

ولكن ابن غانيه ما لبث أن جمع قواته وأنضمت إليه جموع العرب واستولى على المهدية وتونس نسة ٥٩٧هـ، وامتد سلطانه على القيروان وبلاد الجريد وصفاقس وقابس وطرابلس، وخطب للعباسيين في هذه الجهات حتى اضطر الناصر محمد بن يعقوب (٥٩٥-٦١٠هـ) إلى الخروج إليه بنفسه وألحق به هزيمة منكرة عند القيروان سنة ٦٠١هـ(٤) وهرب ابن غانيه إلى صحراء برقة، ولكنه ما لبث أن عاد إلى طرابلس حيث اجتمعت عليه العرب من بني هلال وبني سليم.

وكان الناصر قد عين على ولاية أفريقية أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص سنة ٦٠٣هـ، وبدأ بذلك عهد جديد، إذ استغل الحفصيون بأمر أفريقية، وقامت الدولة الحفصية في عهد ابنه أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد سنة ٦٢٥هـ. وقد اهتم عبد الواحد وابنه يحيى بالقضاء على هذه الثورة وبعد معارك عديدة تمكن أبو زكريا يحيى من أن يلاحق يحيى بن غانيه حتى استطاع القضاء على ثورته سنة ٦٣١هـ.

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢٤، ٢٦، ٢٩، ٤٠.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٢٣.

(٣) الزاوي، تاريخ ليبيا، ص ٣٢٠.

(٤) التجاني، المصدر السابق، ص ١٤٧.

أما في المغرب الأقصى فقد كانت قبيلة جشم التي نقلها المنصور إلى منطقة تامسنا قد أصبحت هناك ذات عدد وقوة. وكان شيخ الخلط أحد بطون جشم وهو هلال بن حميدان فلما ولي العادل عبد الله بن المنصور يعقوب (٦٢١-٦٢٤هـ) ثاروا ضده وهزموا جيوشه التي جردها عليهم، وبعث هلال بن حميدان ببيعته إلى المأمون أدريس بن المنصور سنة ٦٢٥هـ، وكان هذا سبباً في تمكن المأمون من اعتلاء عرش الخلافة. وظل هلال في ولائه للمأمون ومن بعده لابنه الرشيد (٦٣٠-٦٤٠هـ) في حين تحيز أعداؤهم سفيان وهم بطن آخر من جشم إلى يحيى بن الناصر منافسه على الخلافة ولذلك قرب الرشيد الخلط وأباح لهم ديار سفيان(١).

ولكن لما توفي هلال وخلفه أخوه مسعود، انتقض على الرشيد وانضم إلى حركة عمر بن أوقاريط أحد قادة الموحدين. ولكن الرشيد تمكن بالحيلة من استقدامه إلى مراكش هو وجماعة من قومه، ثم قتلهم سنة ٦٣٢هـ. ودعا ذلك إلى قيام قومه بمعاضدة ابن أوقاريط ويحيى بن الناصر وتمكنوا من احتلال مراكش وعاثوا فيها، إلى أن تمكن الرشيد من استعادتها سنة ٦٣٣هـ وقضى على نفوذهم بعد قتل مشايخهم(٢). كما تمكن الرشيد أيضاً من إخضاع بني جابر من جشم، وكانوا قد انضموا إلى فتنة يحيى بن الناصر. وقد اضطروا إلى الالتجاء إلى سفح الجبل بتادلا وما إليها، حتى يأمنوا على أنفسهم من هجمات الموحدين(٣).

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣١.

العلاقة مع الحفصيين والمرينيين والزيانيين :

بانهيار دولة الموحدين، انقسمت دولتهم الواسعة فى المغرب بين ثلاث دول بربرية مستقلة، هى بنو حفص فى أفريقيا، وبنو عبد الواد الزيانيين فى المغرب الأوسط، وبنو مرين فى المغرب الأقصى.

وقد وجد العرب فى هذا الانقسام السياسى الجديد فرصتهم التى افتقدوها طويلاً منذ قيام دولة الموحدين. فهذه الدول كانت فى صراع فيما بينها، إلى جانب الفتن الداخلية فى سبيل الوصول إلى السلطة. وهذا الصراع وهذه الفتن جعلت حاجة ملوك تلك الدول ماسة إلى معاضدة القبائل العربية. إلا أنه فى أوقات أخرى كانوا يضطرون للوقوف أمام أطماع هذه القبائل.

وهكذا تذبذبت سياسة هؤلاء الملوك حيال العرب، فطالما كانت الحاجة إليهم، اقطعوهم الأراضى، وأوكلوا إليهم جباية القبائل المستضعفة بل وربما صاهروهم وجعلوا منهم مستشارين لهم. أما إذا وجدوا فى أنفسهم القوة، أو وجدوا من العرب تمادياً انقلبوا عليهم.

وعاملهم العرب بنفس الأسلوب، فهم يخلصون لهم إذا كان فى ذلك مصلحتهم، ويعاونونهم على أعدائهم فى الداخل أو الخارج، وقد يدبرون ضدهم القلاقل، إذا اضطروا لذلك -وأعانوا الخارجين عليهم. ولقد أحسن العرب الاستفادة من هذه الظروف، وعملوا على توسيع مجالات إقامتهم وزيادة نفوذهم. وأصبحت القاعدة بينهم أن يفرقوا بين هذه القوى حسب مصالحهم، لا مصالح هذه الدولة أو تلك.

لما استقل أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بحكم أفريقية سنة ٦٢٥هـ عن الموحدين، رأى أن يضرب العرب بعضهم ببعض، وأن يفرق بينهم. ولما كانت بنو عوف، من بنى سليم، قد انضمت إلى أبى زكريا وأبيه عبد الواحد من قبله، فى محاربة ابن غانيه، فى حين كانت رياح الهلالية من أنصار ابن غانيه، لذلك اصطنع أبو زكريا عوفا على رياح، حتى أخرجتهم من مواطنهم. ومع ذلك عمد أبو زكريا فى الوقت نفسه إلى بث بذور الشقاق بين بطون بنى عوف وهم مرداس وعلاق(١).

---

(١) التجانى، المصدر السابق، ص ١٥٢.

وقد حاول الحفصيون أن يحاصروا رياحا من الناحية الغربية كما حاصروهم من الشرق ببنى عوف. لذلك أقطعوا قبيلة كرفة من الأثبج منطقة بادس والزاب الشرقى وجباية أوراس الشرق. ولكن كرفة اكتفت بالمحافظة على اقطاعها، ولم يجد الحفصيون فى بقية بطون الأثبج من يستطيع مقاومة رياح، بل أن الأثبج عجزوا عن الظعن وأقاموا بالمدن وأصبحوا من جملة الرعايا(١).

هذا فى الوقت الذى غلبت فيه رياح على منطقة الهضاب والصحارى جنوبى قسنطينة، وأمنوا سطوة الدولة لبعدهم عن العاصمة، وقوى أمرهم واثروا واصبحت مناطقهم مأوى للخارجين على الدولة والساخطين عليها. وكانت الدولة تضطر لشن حملات التاديب عليهم. ففى سنة ٦٦٦هـ خرج المستنصر أبو عبد الله محمد ابن يحيى وأوقع ببنى رياح لمبايعتهم أخاه إبراهيم، وقبض على جماعة من رؤسائهم، فضربت أعناقهم وبعث إلى تونس برؤسهم على أسنة الرماح(٢)، وذلك لمبايعتهم ابن عمه أبا القاسم ابن عبد الرحمن.

واضطر بنو رياح إلى الالتجاء إلى يغمراسن بن زيان (٦٢٣-٦٨١هـ) أول ملوك بنى زيان بتلمسان، فأمدهم بالمال والخيل والابل والسلاح، فاستطاعوا مرة أخرى أن يتقدموا إلى الزاب وملكوا جبل أوراس، واضطرت الدولة الحفصية إلى مهادنتهم، وأقطعهم السلطان أبو أسحق إبراهيم بن أبى زكريا يحيى (٦٧٨-٦٨٣هـ) ما غلبوا عليه(٣).

ومع ذلك لم يسكن الرياحيون إلى الطاعة، بل أن مرغم ابن جابر الرياحى آزر ثورة الدعى(٤)، والتفت العرب حوله وبايعوه باسم الفضل بن الواثق.

---

(١) الميلى، المرجع السابق، ص ٢٨٤-٢٨٥.
(٢) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٣٥.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٣٣.
(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٣٣ - ٣٥.
(٤) هو أحمد بن مرزوق بن أبى عمارة المسيلى، احترف مهنة الخياطة فى بجاية، ثم ادعى انه يحيل المعادن إلى الذهب كيماويا، وأخذ يتنقل فى البلاد حتى وصل طرابلس. وهناك قابل نصيرا مولى الواثق قد خلعه عن العرش عمه إبراهيم بن يحيى ثم قتله وأجرى مذبحة فى قصره لم ينج منها إلا نصير هذا. ووجد نصير فى أحمد ابن مرزوق الذى اشتهر باسم الدعى، شبها من الفضل ابن مولاه الواثق. واتفق الاثنان على الخروج على إبراهيم، وادعى نصير أنه الفضل ابن الواثق.

وعظم أمـر هذا الدعى فى سنة ٦٨١هـ حـتى أخذ يسـتولى على البـلاد، وهزم جـيشـاً أرسله أبو اسـحق إبراهيم وعلى رأسـه ابنه عبـد الواحـد، واضطر أبو اسحق أن يخـرج بنفسـه لملاقاة الدعى عند المهـدية. ولكن أنصاره انفـضوا من حـوله فهـرب إلى بجاية، ودخـل الدعى تونس وخطب له على منابر أفـريقيـة. ولكنه كان سفاكاً للدماء وتمادى فى جوره، حتى مقته الناس والجند(١).

انتـهز العرب فـرصة هذه الفـوضى، واستـبدوا بالبـلاد واستـولوا على القـرى، وتمزق شـمل الدولة. ولكن الأمـور لم تطـل بالدعى، إذ انكشف أمـره، والتف الناس حول الأمير أبى حفص عمر بن محمد المستنصر، الذى كان ملتجأ إلى قلعة سنان(٢). واستطاع عـمر أن يدخل تونس سنة ٦٨٣هـ وقـتل الدعى وأعاد السلطة للحفصيين مرة أخرى(٣).ولكن حدث فى عهـده أن انقسمت دولة الحفـصيين إلـى دولتـين، شـرقيـة وغـربيـة، إذ اسـتـبـد بالأجـزاء الغـربيـة أبو زكريا يحيى بن إبراهيم، فى حين ظل القسم الشرقى تحت حكم أبى حفص عمر.

واستغل العرب هذا الانقسام ومـا جره من ضـعف للدولة، فامتلكوا البلاد التى تقع جنوب تونس مباشـرة، إذ يذكـر التجانى(٤)، أنهم بعد أن خرجوا من تونس بدءوا عند وصولهم باشو، وهـى لا تبدع كثيراً عـن تونس «بالسلوك فى منازل العـرب المتولين لأرض أفـريقيـة» ونـراه فى كل رحلته فى هذه الأقـاليم الممتـدة حتى طرابلس شرقاً وبلاد الجـريـد غرباً، يذكر العرب المسيطريـن على كـل جزء منها وكلهم من سليم.

ويصف العبدرى الـذى زار أفريقية سنة ٦٨٨هـ، أى قبل رحـلة التجانى بحوالـى العشريـن عاماً، حـالة البلاد، وسطـوة العرب على الدولة الحـفصـية، فيقول «ولا يعدم من عربانهـا إيلام خاطر ولقد استوى لديهم الصالح والطالح،

(١) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٣٨-١٤٠.
ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٣٠٢ وما بعدها.
العامرى، المرجع السابق، ص ٨٢-٨٤.

(٢) قلعة قريبة من مدينة قالة.

(٣) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٤٠.
العامرى، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٤) التجانى، المصدر السابق، ص ١٥.

واتفق في مذاقهم بكفرهم ونفاقهم كل عذب ومالح، اتخذوا أخذ الحاج خلقا ودينا، واعتقدوا هلاكه ملة وديناً، فما عندهم طلعة أحلى من مال اليتيم في الولي الفاجر اللئيم» وجاء في وصفه لمدينة باجة «أن أهلها لا يفارقون السور خوفاً من العربان، وأنهم يستعدون لدفن الجنائز. كما يستعدون يوم الضرب والطعان»(١).

ولم يكتف العرب بذلك، بل أخذوا يغيرون على أطراف العاصمة، وخاصة قبائل الكعوب من بني سليم الذين أكثروا من مضايقاتهم للأهالي بل وحاولوا مبايعة أحد أحفاد بني عبد المؤمن سلطاناً على تونس، فأخفقوا وقبض على بعض زعمائهم. فلجأ عرب الكعوب إلى خالد بن أبي زكريا المستقل بالقسم الغربي، ومكنوه من الاستيلاء على تونس سنة ٧٠٩هـ(٢).

ولكن في هذه الأثناء استطاع شيخ الموحدين(٣) أبو يحيى زكريا ابن أحمد اللحياني(٤)، الذي كان في طريق عودته من الحج، الاستقلال بطرابلس، وانضم إليه الكثير من العرب الذين بايعوه بالامارة. وتقدم أبو يحيى إلى تونس ودخلها بعد أن خلع خالد بن أبي زكريا نفسه سنة ٧١١هـ. وقد

---

(١) العبدري، رحلة العبدري، ص ٣٥، ٣٨.
وباجة : مدينة شمال سوسة.

(٢) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص ١٤٣.
الزاوي، المرجع لاسابق، ص ٣٤١.
حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضي والحاضر. ص ١٥٥.
العامري، المرجع السابق، ص ٨٩.

(٣) شيوخ الموحدين لقب يطلق على طبقة الموحدين، وهم أفراد الطبقة الممتازة في دولة الموحدين ثم الحفصيين، وهم أهل الشورى. ورئيسهم يطلق عليه «شيخ الموحدين» وكان نيابة الملك مقصورة عليه. انظر العامري، المرجع السابق ص ٢٠.

(٤) ولد أبو يحيى في تونس سنة ٦٥١هـ وأمه مسيحية تسمى محرم، وكان عالماً محدثاً كاتباً شاعراً. أخذ في صغره بالمشرق عن علماء مشهورين منهم شيخ الإسلام ابن تيمية. ولما استولى على السلطة أسقط من الخطبة اسم المهدي الموحدي التي جرت بها عادة الحفصيين واستبدلها باسم محمد بن قلاوون سلطان مصر لما كان بينه وبين هذا السلطان المملوكي من الولاء والمجاملة. وقد رحل أبو زكريا بعد هروبه من البلاد إلى الاسكندرية حيث توفي بها في المحرم سنة ٧٢٧هـ وقد جمع ديوان شعره مدة إقامته بمصر كما ألف خطباً للجمعة أسماها روضات الجنات. انظر رحلة التجاني، ص ٢٧م.

اضطر أبو يحيى أن يتالف العرب حتى يتقوى بهم ضد أطماع أبى بكر بن أبى زكريا أخى خالد والذى كان مستولياً على القسم الغربى. لذلك قرب العرب وأباح لهم التصرف فى البلاد، وأقطعهم إياها اقطاعات(١). ومع ذلك لم يتمكن من الوقوف أمام أبي بكر، ففر من تونس واستولى عليها أبو بكر سنة ٧١٨هـ(٢). وقد تمكن أبو بكر من انزال الهزائم بالعرب ودانت له البلاد(٣).

ولما توفى أبو بكر سنة ٧٤٧هـ دخلت البلاد فى فترة اضطرابات جديدة، إذ استولى على السلطة ابنه عمر دون أخيه أبى العباس الذى كان ولى عهد أبيه. لذلك جمع أبو العباس العرب وزحف إلى تونس وبعد أحداث اضطر أبو العباس للهرب، وقامت العامة فى تونس على من بها من العرب، فلم يفلت منهم إلا القليل(٤).

ولجأت العرب إلى بنى مرين أصحاب المغرب الأقصى، وأغروا أبا الحسن على ابن أبى يوسف بن عبد الحق المرينى ورغبوه، فى الاستيلاء على أملاك الحفصيين، وعاونهم فى ذلك ابن تافراجين وزير السلطان أبى حفص. فتحرك أبو الحسن من المغرب، واجتمعت عليه الأعراب، وتقدم نحو تونس مكتسحاً المغرب كله حتى دخل تونس سنة ٧٤٩هـ بجيوش لا تحصى(٥).

ولكن العرب سرعان ما ندموا على انضمامهم لأبى الحسن، لأنه ما أن تمكن من البلاد حتى استولى على الاقطاعات التى كانت بأيدى العرب، ومنع الأعطيات التى كانت مفروضة لهم، وحرم عليهم أخذ الاتاوات من الناس. بل أنه أخذ فى الضرب على أيديهم، ويحاسب رؤساءهم على ما قد تشنه أعراب البادية من غارات على الأطراف. فاستكان العرب على مضض، وهم يحاولون انتهاز الفرصة للانقضاض عليه، حتى نجحوا فى ذلك واضطروه آخر الأمر إلى

---

(١) العامرى، المرجع السابق، ص ٩٠.

(٢) الزاوى، المرجع السابق، ص ٣٤٢-٣٤٤.

العامرى، المرجع السابق، ص ٩١.

حسن سليمان محمود، المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٣) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٤٤. ويذكر أنه بويع سنة ٧١٠هـ.

(٤) المصدر السابق، ص ١٤٥.

(٥) المصدر السابق، ص ١٤٦.

ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٣٥٨.

الفرار إلى المغرب. وعادت الدولة الحفصية سنة ٧٥٠هـ، بدخول الفضل بن أبى يحيى بن أبى بكر، تونس وأعاد سلطان الحفصيين(١).

وبلغ سلطان العرب في دولة الفضل درجة كبيرة، إذ ركن إلى الراحة واللهو، واحتوت العرب على دولته، وشاركته فى الديوان وأكثروا في مطالبهم. وبلغ الفساد أن أخذ العرب البرطيل (الرشوة) على تولية الشهود. ورغبة فى أن يطول ملكه، زوج الفضل أخته لأبى الليل بن حمزة زعيم أولاد أبى الليل للاستظهار بهم، يقول ابن أبى دينار(٢) «ولم يسبقه أحد لذلك».

ومع ذلك لم يطل به الأمر، إذ قامت ضده ثورة قتل فيها، وتولى الأمر أخوه أبو إسحق إبراهيم سنة ٧٥١هـ، الذى استخلص قواعد البلاد من أيدى العرب مثل قرطاجنة والقيروان وسوسة وباجة والأريس وجعلها فى أيدى أوليائه(٣).

وفى عهد أبى أسحق هذا، تمكن السلطان المرينى أبو عنان فارس بن على (٧٤٩-٧٥٩هـ) أن يستولى على تونس سنة ٧٥٨هـ. ولكن العرب شعروا مرة أخرى بالخطر المرينى على نفوذهم، فاجتمعوا حول أبى أسحق إبراهيم والتقوا بالجيش المريني عند تبسة(٤)، فاضطر المرينيون للهرب عائدين إلى المغرب، وفشلت بذلك الحملة المرينية الثانية على الدولة الحفصية(٥).

أما فى المغرب الأقصى، فقد كانت بطون جشم وبطون رياح التى نقلهم الموحدون إلى هناك، قد استغلوا ضعف دولة الموحدين، فسيطروا على هذه الجهات. فلما قامت دولة بنى مرين على أنقاض الموحدين لم تكن فى هذه الجهات كما يقول ابن خلدون حامية أشد من جشم ورياح بأساً، لذلك اضطرت الدولة إلى العمل على إخضاعهم، فكانت بينهم وقائع تمكن بعدها بنو مرين من إخضاعهم وإلزامهم بالطاعة. ثم قربهم المرينيون حتى أصهروا إليهم، فقد تزوج السلطان يعقوب بن عبد الحق (٦٥٧-٦٨٥هـ) ابنه مهلهل بن يحيى بن مقدم

---

(١) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ١٤٧-١٤٨.
ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٣٥٩.

(٢) المصدر السابق،

(٣) المصدر السابق، ص ١٤٩.

(٤) مدينة على الحدود بين الجزائر وتونس حالياً.

(٥) العامرى، المرجع السابق، ص ١١٠-١١١.

شيخ الخلط أحد بطون جشم، وأنجب منها ابنه أبا سعيد عثمان الذى تولى السلطة (٧١٠-٧٣١هـ). وظل الخلط بذلك مقربين من المرينيين، حتى أن السلطان أبا الحسن على بن عثمان أرسل شيخ الخلط عطية بن مهلهل سفيراً إلى سلطان مصر الملك الناصر(١).

أما بنو جابر من جشم، فقد رأينا أنهم قد التجأوا إلى سفوح الجبال هرباً من سطوة الموحدين، وبذلك أصبحوا ملجأ لكل ثائر على سلطان المرينيين، وكانت الدولة تحاول موادعتهم حيناً ومحاربتهم حيناً(٢).

أما بنو زيان فعندما قامت دولتهم فى المغرب الأوسط، كانت زغبه قد تغلبت على نواحيه هى وعرب المعقل. ولكن بنى عبد الواد تمكنوا من زحزحة العرب وألجائهم إلى الصحراء، وملكت الدولة عليهم التلول والأراضى الخصبة، فضعف أمرهم حتى دفعوا الأتاوة والصدقة. وظلوا هكذا حتى وهن أمر الدولة وقامت فيها الفتن الداخلية، عندئذ أصبحت مناطق العرب الملجأ لكل خارج على الدولة، وقاموا بقطع الطريق وإثارة الفتن، وتغلبوا مرة أخرى على التلال وأقطعتهم الدولة الكثير من نواحي المغرب الأوسط وأمصاره حتى تستظهر بهم(٣).

لما ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها (٦٣٣-٦٨١هـ) كان عرب المعقل قد كثر عبثهم وفسادهم فى مناطق تواجدهم، فعمد يغمراسن إلى جلب بطون بنى عامر بن زغبه من الصحراء وأنزلهم بجواره فى صحراء تلمسان كيداً للمعقل ومزاحمة لهم، ثم تبعتهم بعض بطون بنى يزيد بن زغبه(٤).

كما أن بنى عبد الواد وجدوا بطون حصين بنزغبه يزعجون الأهالى ويأخذون منهم الاتاوات فأخضعوهم لسلطانهم أو كما يقول ابن خلدون(٥) «ساموهم خطة الخسف والذل، وألزموهم الوضائع والمغارم، واستلحموهم بالقتل وهضموهم بالتكاليف وصيروهم فى عداد القبائل الغارمة». ولقد بلغت حروب يغمراسن مع العرب أثنين وسبعين حرباً(٦).

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٢٧، ٢٩، ٣٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٣١.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٠.
(٤) المصدر السابق، ص ٤١-٤٢.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٦) الميلى، المرجع السابق، ص ٤٣.

ولما ملك أبو حمو موسى بن يوسف (٧٦٠-٧٩١هـ) واستعاد سلطان بني زيان من بني مرين(١)، نازعة في الملك ابن عمه أبو زيان الذى لجأ إلى قبائل حصين هؤلاء، فتلقوه بالترحاب وبايعوه، وراسلوا أخوانهم من رؤساء زغبه لنصرته، فاجتمعوا عليه. ودارت المعارك بينهم وبين أبى حمو حتى قتل. وبذلك كما يقول ابن خلدون هبت ريح العز للعرب، ونالوا ما أرادوه من الاعتزاز على الدولة، وتملكوا البلاد واقطعوها فيما بينهم(٢).

أما بطون سويد بن عامر بن مالك بن زغبه فقد كانوا كما يقول ابن خلدون أخص بحلف بني عبد الواد وولايتهم من سائر زغبه، حتى لقد أقطع يغمراسن، يوسف بن مهدى أحد زعمائهم بلاد البطحاء وسيرات، وأقطع زعيما آخر منهم هو عنتر بن طراد ابن عيسى براري البطحاء. فكانوا يفرضون الأتاوات على الرعايا، ولا تنكر الدولة عليهم ذلك، بل أنه كان يستخلف أحيانا على تلمسان إذا خرج منها لبعض شانه، عمر بن مهدى أحد زعماء سويد(٣).

ولكن سرعان ما قامت الفتنة بين بطون سويد ويغمراسن، وفيها قتل عمر بن مهدى، واضطر سويد إلى الالتجاء للصحراء المجاورة لأوطان بني توجين وصاروا(٤) حلفا معهم على بني عبد الواد. أما من عجز منهم عن الظعن، وضعت عليه الأتاوات والمغارم وصاروا في عداد الرعايا أهل الجباية(٥).

أما بنو عامر بن زغبه، فقد نقلهم يغمراسن إلى قرب تلمسان ليكونوا بينها وبين المعقل، ولكن العلاقات سرعان ما ساءت بين عثمان بن يغمراسن (٦٨١-٧٠٣هـ) وبين داود بن عطاف شيخ بني عامر بن زغبه، وذلك أن داود

(١) كان السلطان أبو عنان فارس المريني قد استولى على تلمسان سنة ٧٥٣هـ ولكن أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن ابن يحيى يغمراسن استطاع استردادها مرة أخرى سنة ٧٦٠هـ وأعاد سلطان بني زيان.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٤٣، ٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٥.

(٤) بنو توجين قبيلة بربرية كانت دائمة الخلاف على الدولة وتكررت فتنهم ومواطنهم جنوب المغرب الأوسط وبه القلاع الحصينة- أنظر الميلى، المرجع السابق، ص ٣٥٠، ٣٧١.

(٥) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ٤٦.

أجار الأمــير أبا زكريا ابن السلطان أبى أســحق الحفصى حين فر من تلمــسان معتزماً التوجه إلى تونس للخروج على الخليـفة الحفصى. وكان بين عثمان بن يغمـراسن وبين الخليـفة الحفصى ولاء، فأراد إعـادة أبى زكريا، فأبى داود أن يسلمه ورحل معه حتـى لحق بالزواودة. واستطاع أبو زكريا بمعاونـة العـرب الاستيـلاء على بجاية وقسنطينه، وأقطع داود الأقطاعات مكافأة له(١).

أمـا ذوو عبـيد الله من المعـقل فكانت بينهم وبين بنى عـبد الواد وقـائع كثيرة، وكان يغمراسن كثير الإيقاع بهم، حتى دانوا له بالطاعة، وأعطوا الصدقة وأصبحوا جنداً للدولة فى حروبها. وظلوا كذلك حتى ضعفت بنو عبدالواد فعاد ذوو عبـيد الله واسـتوطنوا التلول، وتملـكوا الأقطاعات وفرضــوا الأتاوات، ثم اتصلوا بخدمة السلطان أبى الحسن المرينى عندما تغلب على تلمسان(٢).

ومن هذا العرض، نلاحظ أن الأوضـاع فى المغرب بأقـسامه الثلاثة كانت تزخر بالكثير من التقلبات، نتيجة استناد الدول إلى القبائل العربية. وكانت هذه الدول تنظر إلى العرب كقوى يمكن شـراؤها واستخدامها ضد بعـضـها البعض. وانتهز العرب الفرصة واستغلوها لمصالحـهم الخاصة، فاستولوا على كثير من البلاد وأقامـوا بها ما يمكن أن نسميه دويلات عـربية مستقلة، كـما هيمنوا على الضواحى، وتحكموا فى الطرق وفرضوا الأتاوات، وأصبـحوا قوة تقرر مصير الحرب، وتضمن النصر لهذا الفريق أو ذاك.

---

(١) المصدر السابق، ص ٥١.

(٢) المصدر السابق، ص ٦١.

الفصل الرابع

أثر الغزوة الهلالية على بلاد المغرب

- الأثر السياسي.
- الأثر الاقتصادى والاجتماعى.
- الأثر اللغوى والأدبى.

الأثر السياسى :

كان لغزو العرب للمغرب آثار سياسية خطيرة، ولقد بدأت هذه الآثار منذ الوهلة الأولى لمقدم العرب، ثم استمرت بعد ذلك باستمرار تواجدهم، وتغير مواطنهم، وتقلب الأحداث. لذلك لم تتوقف النتائج السياسية لغزوة بنى هلال وبنى سليم عند حد أو زمن فهم قد أصبحوا جزءاً من شعوب المغرب، يؤثرون فى أحداثه، ويتأثرون هم أيضاً بأحداثه وينتج من هذا التفاعل آثار متجددة لها خطورتها ليس فى تاريخ المغرب الإسلامى فقط، بل وفى تاريخ العالم الإسلامى كله.

أرسل الفاطميون العرب انتقاماً من المعز بن باديس، وسارع الهلاليون إلى أفريقية طلباً للمغنم، لا حباً فى الفاطميين ولا فى مذهبهم. فهم كانوا أنصاراً للقرامطة من قبل لا تأييداً لمبادئهم، ولكن طمعاً فيما يجره عليهم ذلك من مصالح.

ونلاحظ أنه عندما وصل العرب إلى برقة، وجدوها بلاداً كثيرة المرعى خالية من السكان لأن المعز بن باديس كان قد أباد أهلها من زناته. فاستقر بها العرب، وأقاموا هناك مدة، وتوافدت عليهم جموع من إخوانهم فهم لم يبدءوا المعز بن باديس بالشر، حتى أنه حاول أن يجعل منهم جنداً له، وأكرم زعماءهم. إلا أن موقفه حيال مؤنس بن يحيى المرداسى واتهامه والقبض على أسرته، كان الخطأ القاتل. فقد حمل، بسوء سياسته العرب على تنفيذ ما رسمه لهم الفاطميون، وأوقعوا بالمعز الهزائم واستولوا على البلاد، وحصروه فى المهدية(١).

نجح الفاطميون فى الانتقام من المعز، ولكنهم لم يستفيدوا كثيراً من ذلك، إذ أن مصر دخلت بعد مقتل اليازورى فى فترة من الاضطرابات وقيام الفتن بين فرق الجيش، وتعرضها لمجاعة طاحنة استمرت سبع سنوات عرفت بالشدة العظمى. وأخذت مصر تهتم بمشاكلها الداخلية أكثر من اهتمامها بعلاقتها مع المغرب(٢).

ولكن المعز بن باديس هو الذى بدأ خطوة عودة العلاقات مع مصر، خاصة بعد اختفاء عدوه اليازورى. يقول المقريزى فى أحداث

(١) أنظر تفاصيل ذلك فى الفصل الثانى.

(٢) أنظر المناوى، الوزارة والوزراء، ص ١٤٦ وص ١٩٢.

سنة ٤٥٢هـ «وفيها قدمت هدية للمعز بن باديس فقومت بأربعين ألف دينار، فيها ورقة مرصعة بالجوهر كانت للمهدى»(١). وحذا ابنه تميم حذوه وعاد إلى استعمال السكة الفاطمية، فبدأت السكة باسم المستنصر بالله الفاطمى تظهر فى المهدية من جديد منذ سنة ٤٥٤هـ(٢).

وفى عهد يحيى بن تميم (٥٠١-٥٠٩هـ). وابنه على بن يحيى (٥٠٩-٥١٥هـ)، تبودلت الهدايا بين القاهرة والمهدية إذ يذكر ابن عذارى «وفى سنة ٥٠٥هـ وصل سوار رسول صاحب مصر بهدية إلى أمير أفريقية يحيى بن تميم، فتلقاه بغاية الإكرام والاهتمام، وأقام عنده حتى صرفه، وأصحبه من الذخائر والألطاف ما لا يحيط به الوصف» كما أورد ابن عذارى أيضاً فى أحداث سنة ٥١١ هـ عن وصول رسول الخليفة الفاطمى بهدية إلى المهدية(٣).

وقد أورد التجانى فى رحلته(٤) أن أسطول روجر صاحب صقلية هاجم ميناء المهدية غدراً فأخذ منه مركباً كان الحسن(٥) قد احتفل فيه وشحنه بذخائر ملوكية ليوجه بها إلى الحافظ(٦) العبيدى صاحب مصر، وكان ذلك المركب يسمى بنصف الدنيا».

ولما هاجم النورمان المهدية سنة ٥٤٣هـ، فكر الحسن فى الإلتجاء إلى

---

(١) انظر المقريزى، المصدر السابق، ص ٢٦١.
والمهدى : هو عبيد الله المهدى أول خلفاء الفاطميين فى المغرب سنة ٢٩٧ - ٣٢٢هـ.

(٢) ماجد، المرجع السابق، ص ١٤٠.

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٣٠٢ وص ٣٠٧.
ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٦٠-١٦١.

(٤) ص ٣٤٠.

(٥) هو حسن بن يحيى بن على بن تميم بن المعز بن باديس، تولى سنة ٥١٥هـ وفى عهده استولى النورمان على عاصمته المهدية سنة ٥٤٣هـ وانقرضت بذلك دولة بنى زيرى. وقد استرد عبد المؤمن بن على الخليفة الموحدى المهدية سنة ٥٥٥هـ.

(٦) هو الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر تولى الخلافة من سنة ٥٢٤- سنة ٥٤٤هـ. وفى عهده انقسم المذهب الإسماعيلى إلى حافظية وطيبية نسبة إلى الطيب بن الامر. وكان المذهب الإسماعيلى قد انقسم من قبل بعد وفاة المستنصر إلى مستعلية نسبة إلى المستعلى الذى تولى الخلافة ونزارية نسبة إلى نزار ابن المستنصر.

الخليفة الحافظ بالقاهرة، والذى كان حسن يخطب باسمه فى بلاده، ولكنه عدل عن ذلك خوفاً من النورمان فلجأ إلى بجاية(١).

وهكذا نرى أن بنى زيرى عادوا إلى الولاء للفاطميين، ولكن بسقوط دولتهم انقطعت صلة المغرب بمصر نهائياً، كما شغلت مصر بدورها بمشاكل المشرق الإسلامى وتهديدات الصليبين لها.

من أهم نتائج الغزوالهلالى للمغرب أيضاً، اتجاه ملوك بنى زيرى إلى البحر ليكون مجال نشاطهم، مما أدى إلى صراع مع النورمان. فقد وجد تميم بن المعز انحسار دولته لتشمل شريطاً على ساحل أفريقية، بعد أن استولى العرب على معظم مدنها الداخلية. لذلك وجه اهتمامه وعنايته بشؤون البحر فأسس أسطولاً ضخماً بدار الصناعة بالمهدية(٢). وساعده ذلك، كما ساعد ابنه يحيي من بعده على القيام بنشاط بحرى ومهاجمة سواحل صقلية وإيطاليا التي كانت فى يد النورمان. ولم يقف النورمان بدورهم ساكتين أمام هذا الخطر، بل أخذوا، يساعدهم فى ذلك الفرنجة، فى القيام بهجمات مضادة. وظلت هذه الهجمات متبادلة حتى تمكن النورمان من الاستيلاء على المهدية وسقوط دولة بنى زيرى سنة ٥٤٣هـ.

ولم يقف العرب ساكنين أمام هذا الصراع بل أدلوا فيه بدلوهم، أحياناً فى صف آل زيرى، وحينا مع النورمان، وكان أول هجوم قوى للنورمان سنة ٤٨٠هـ أو سنة ٤٨١هـ(٣) بمعاونة أهل جنوة وأهل بيزا وبتاييد من البابا فكتور الثالث الذى شجع على تكوين طائفة من رجال البحر للاغارة على سواحل أفريقية(٤).

يقول ابن الاثير فى أحداث سنة ٤٨١هـ «فى هذه السنة فتح الروم مدينة زويلة من أفريقية» وهى بقرب المهدية. وسبب ذلك أن الامير

---

(١) أنظر التجانى، المصدر السابق، ص ٣٤٢.
المقريزى، المصدر السابق، جـ٣ ص ١٨٧.

(٢) د. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، جـ٢ ص ٦٧١.

(٣) ذكر ابن عذارى التاريخ الأول، فى حين ذكر ابن الأثير التاريخ الثانى. أنظر ابن عذارى، المصدر السابق، جـ١٠ ص ١٦٥.

(٤) سالم، المرجع السابق، ص ٦٧٥.
دائرة المعارف الإسلامية، مادة تونس الدولة.

تميم بن المعز بن باديس صاحبها أكثر غزو بلادهم فى البحر، فخربها وشتت أهلها، فاجتمعوا من كل جهة واتفقوا على إنشاء الشوانى لغزو المهدية، ودخل معهم البيشانيون والجنويون وهما من الفرنج، فأقاموا يعمرون الأسطول أربعة سنين، واجتمعوا بجزيرة قوصرة(١) فى أربعمائة قطعة(٢). فكتب أهل قوصرة كتابا على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة، فأراد تميم أن يسير عثمان بن سعيد المعروف بالمهر مقدم الأسطول الذى له، ليمنعهم من النزول. فمنعه من ذلك بعض قواده واسمه عبد الله بن منكور لعداوة بينه وبينا لمهر، فجاء الروم وأرسلوا، وطلعوا إلى البر ونهبوا وخربوا ودخلوا زويلة ونهبوها، وكانت عساكر تميم غائبة فى قتال الخارجين عن طاعته(٣). واضطر تميم إلى مصالحة المهاجمين على ثلاثين الف دينار ورد جميع ما فى حوزتهم من السبى(٤).

وقد ذكرنا فى الفصل الثالث(٥) كيف أن على بن يحيى بن تميم قد أغضبه قيام رافع بن مكي صاحب قابس، ببناء سفينة كبيرة، وكره أن يقاومه أحد من أهل أفريقية فى إجراء السفن في البحر، فأنفذ أسطولاً إلى قابس لمنع السفينة من الاقلاع. وقد أستنجد رافع بروجر الذى أرسل أسطولاً لمعونته، وأن على بن يحيى استطاع هزيمة هذا الأسطول. وكان ذلك من اشد الأسباب فى الوحشة التى وقعت بين روجر وعليّ ثم ابنه الحسن من بعده، حتى أدت إلى تغلب النورمان على المهدية(٦).

وفى سنة ٥١٦هـ أخذ روجر فى إعداد أسطول ضخم لمهاجمة أفريقية، فعلم الحسن بن على بهذا الاستعداد، فاهتم بتشييد الأسوار واتخاذ الأسلحة وحشد القبائل واستقدام العرب، فجاءته الحشود من كل جهة ومكان. وفى سنة

(١) هى جزيرة قرب الساحل التونسى، وقد ذكرها التجانى قوسره السين- أنظر التجانى، المصدر السابق، ص ١٣.

(٢) ذكر ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٣٠١ أن عددها ثلاثمائة مركب.

(٣) ابن الأثير، المصدر السابق.
ابن عذارى، المصدر السابق.

(٤) ابن الأثير، المصدر السابق.

(٥) أنظر صفحة ١٠٨.

(٦) التجانى، المصدر السابق، ص ٩٨ – ٩٩..

٥١٧هـ فى أواخر جمادى الأولى وصل أسطول النورمان، ولكن العرب استطاعوا قتل المغيرين عن آخرهم(١).

ونورد هنا جزءا من كتاب أرسله الحسن إلى الجهات المختلفة يشيد فيه بهذا النصر، ويبين مدى معاونة العرب له فى رد المغيرين، يقول فى هذا الكتاب «... فاستظهرنا باستقدام قبائل العرب المطيفة فأقبلوا أفواجاً، وجاءوا مجيئ السيل يعتلج اعتلاجاً ويتدفق أمواجاً، ولكنهم على نيات فى الجهاد خالصة، وعزمات غير مترددة فى مواقف الموت ولا ناكصة»(٢).

ولكن روجر انتهز فرصة الصراع بين الدولتين الصنهاجيتين بنى زيرى وبنى حماد، وقد كان الغلاء المتوالى على أفريقية أضعف جند الحسن، فباغت روجر المهدية سنة ٥٤٣هـ واستولى عليها صلحا، وخرج الحسن منها قائلاً «سلامة المسلمين من القتل والأسر خير لى من الملك والقصر»(٣). وظلت المهدية فى أيدى النورمان حتى استخلصها منهم عبد المؤمن بن على خليفة الموحدين سنة ٥٥٥هـ(٤).

أثر سياسى آخر للغزوة الهلالية، وهو أثر استمر قروناً عدة. ذلك هو عدم الاستقرار السياسى فى المغرب الإسلامى، وقد رأينا أنه مع تغلب العرب على صنهاجة وزناته، إلا أنهم لم يؤسسوا ملكاً ولم يشيدوا دولة. ويقول دكتور عبد الحميد يونس(٥) أن هذا هو الفارق الجوهري بين هذه القبائل الغازية، وبين عرب الفتح. إذ أن عرب الفتح كان الدافع لهم مثل عليا يريدون تحقيقها، وهم خرجوا من دولة لها أسسها ومبادؤها وقيمها، أما هؤلاء الأعراب، وإن جاءوا بتحريض من دولة، إلا أن المحرك لهم هو غرائزهم، لذلك كانوا يؤثرون الضواحى والأرياض على الأمصار، ويفضلون البداوة والنقلة

(١) فصلنا ذلك فى الفصل الثالث.

(٢) انظر وصف هذه الواقعة، وكتاب الحسن، فى التجانى، المصدر السابق، ص ٣٣٥ وما بعدها.

(٣) التجانى، المصدر السابق، ص ٣٤٠-٣٤١.

(٤) انظر التجانى، المصدر السابق، ص ٣٤٦ وما بعدها، فقد أورد كيفية استيلاء عبد المؤمن على المهديةفى سرد بديع رائع.

(٥) الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى، ص ٧٤.

المستمرة على الاستقرار. وكانت عصبيتهم أقوى من أن تتحول إلى ارتباط بإقليم أو رقعة محدودة من الأرض. والمطالع لابن خلدون وهو يتكلم عن هذه القبائل(١) يلاحظ أنها كانت تكره الاستقرار، فهو بالنسبة لها معناه الاستكانة لقوى الدولة القائمة أو لقوى قبائل أقوى وهو ما لا ترتضيه لنفسها.

حقيقة قامت ما يمكن أن نسميه إمارات عربية في قابس وصفاقس والقيروان والزاب، وسمعنا عن أسر حاكمة مثل بني جامع وبني مزني. إلا أن حياة الظعن كانت تمثل لديهم القوة والقدرة. أما من ضعف منهم فكانوا ينزلون المدن والقري ويشتغلون بالفلاحة ويستبدلون بالشاه البقر ويصبحون من القبائل الغارمة.

وقد احتاجت الدول التي قامت في المغرب، وهي كلها دول بربرية، إلى القبائل العربية لمواجهة أعدائها من الدول أو القبائل المجاورة، كما كان يستعين بهم ولاة الأمور في تعزيز مراكزهم في الحكم، أو يغريهم الطامعون في الحكم ليصلوا على أكتافهم إلى السلطة.

وقد تراوحت علاقة هذه الدول بالعرب بين التقريب أو الأبعاد حسب مصالحها، وفي نفس الوقت تذبذت علاقة العرب بهذه الدول بين المعاونة أو المعارضة حسب مصالحهم أيضاً. لذلك اضطربت علاقة هذه الدول بالعرب، فإذا كانت الحاجة إليهم قربت رؤساءهم بالمصاهرة والمجالسة وأقطعتهم الأراضي، واعتمدت عليهم في جباية القبائل المستضعفة وإذا استغنوا عنهم حاولوا قهرهم وتجريدهم من امتيازاتهم.

وعرف العرب بدورهم أن مصالحهم رهن بضعف هذه الدول فكانوا يخلقون لها المشاكل ويدبرون عليها الثورات. ولم يعدم العرب من الطامعين في الملك أو الطامعين في التوسع ما يعينهم على إبقاء القلاقل قائمة، وفي ذلك حفظ لامتيازاتهم.

كما أن العرب رغم ما كان يقوم بينهم من صراعات ومنازعات، كانوا يسارعون إلى الاتحاد إذا تعرضت مصالحهم للخطر. ولقد رأينا ذلك في تناولنا في الفصل الثالث، وكيف اتحدوا جميعاً للقضاء على دولة بني حماد ومقاتلة

(١) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦.

الناصر بن علناس. وكيف اتحدوا ضد عبد المؤمن بن على لأن فى قوة دولته خطر على مصالحهم وامتيازاتهم فكانت وقعة سطيف التى مر ذكرها، وكان اشتراكهم فى ثورة قراقوش وثورة بنى غانيه.

ولكن يجب أن نعترف أن العرب لم يكونوا وحدهم المسئولين عن هذه الفوضى السياسية، بل أن الحكومات هى التى شجعتهم على ذلك. ولم تكن مشاغبات العرب لطمع فى ملك أو رغبة فى فوضى، وإنما كانت لحفظ حياتهم وبقائهم. والمطالع لتاريخ المغرب منذ دخول العرب الهلالية وحتى زمن ابن خلدون يلاحظ ذلك تماماً. فقد رأينا أن بنى حماد أرادوا التقوى بالعرب للاستيلاء على أملاك أبناء عمومتهم الزيريين، وكيف أن تميم بن المعز حرضهم على الناصر بن حماد. ورأينا الحكومات التى قامت في المغرب على أنقاض الموحدين كالحفصيين والمرينيين والزيانيين يستعينون بالعرب ضد بعضهم البعض.

يقول الأستاذ الحصرى(١) أن أهم القوى التي كانت تستند إليها هذه الحكومات تتمثل فى العشائر البدوية، العربية منها والبربرية، المنبثة فى مختلف أقطار المغرب. لأنها كانت بمثابة قوات مسلحة مستعدة للغزو والحرب فى خدمة هذا الأمير أو ذاك وكان عملها يشبه إلى حد كبير عمل «الجيوش المرتزقة» التى تكونت فى أوروبا ولاسيما فى إيطاليا فى أواخر القرن الوسطى. وأن انضمام مثل هذه العشائر القوية إلى جانب ما، كثيراً ما كان يقرر مصير الحرب ويضمن النصر لهذا أو ذاك.

ويتهم الأستاذ الحصرى(٢) ابن خلدون، بأنه لعب دوراً هاماً فى سياسة الدول المغربية بطريقة جديدة وأسلوب خاص، إذ صار يخدم هذا السلطان أو ذاك عن طريق استئلاف القبائل واستتباعها دون أن يتولى منصباً رسمياً، ودون أن ينتسب إلى حكومة من الحكومات. وأنه أصبح بارعاً فى استمالة القبائل واستئلافها واستتباعها، وأنه أصبح بمثابة الملتزم المورد لتلك القوى المسلحة، وأنه كان يوجه العشائر إلى خدمة السلاطين الذين يشايعهم.

---

(١) الحصرى، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص ٦١ وما بعدها.
(٢) المرجع السابق، ص ٨٠ وما بعدها.

الأثر الاقتصادى:

يكاد المؤرخون والكتاب يتفقون على المبالغة فى تصوير مدى التدمير الاقتصادى الذى ألحقه العرب بالمغرب. وأمسك المستشرقون بهذا الخيط ليحاولوا أن يرجعوا كل ما واجهه المغرب من أزمات أو كوارث إلى سوء سياسة العرب.

وقبل أن ندلى برأينا، نعرض أولاً ما ذكره المؤرخون عن الأثر الاقتصادى السيئ الذى أعقب الغزوة الهلالية.

يصف ابن خلدون كيف استباح العرب القيروان وغيرها بعد فرار المعز بن باديس إلى المهدية، فيقول: «وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه واكتسحوا المكاسب، وخربوا المبانى، وعاثوا فى محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها، واستصفوا ما كان لآل بلكين فى قصورها، وشملوا بالعبث والنهب سائر حريمها وتفريق أهلها فى الأقطار. فعظمت الرزية، وانتشر الداء، وأعضل المطب. ثم ارتحلوا إلى المهدية فنزلوها، وضيقوا عليها بمنع المرافق وافساد السابلة ثم خربوا زناته بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحى واتصلت الفتنة بينهم... ولم يزل هذا دأب العرب حتي غلبوا صنهاجة وزناته على ضواحى أفريقية والزاب، ونهروا من بها من البربر وأسروهم عبيداً وخدما»(١).

كما يذكر ابن خلدون(٢) أيضاً أنه بعد هزيمة العرب للناصر ابن علناس صاحب قلعة حماد، تبعوه حتى لحق بالقلعة «فنازلوها وخربوا جنباتها، وأحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الامصار مثل طبنة ومسيلة فخربوها وازعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا فى الأرض الفساد».

ويقول أن الفاطميين أغروا قبيلة الكعوب من بنى سليم بالمغرب «فاجتازوا إلى برقة على أثر الهلاليين فخربوا عمرانها وأجروا فى خلائها»(٣).

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ١٦.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩ - ٢٠.

(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٧ ص ٢٧٣.

أما المراكشي فيذكر أن العمران كان متصلاً من مدينة الأسكندرية إلى مدينة القيروان، وأن القوافل كانت تسير في هذا الطريق ليلاً ونهاراً، وأن الحصون بين طرابلس والاسكندرية كانت متقاربة لرصد أى عدو يأتى من البحر «ولم يزل هذا معروفاً من أمر البلاد إلى أن خربت الأعراب تلك الحصون، ونفت عنها أهلها أيام خلا بنو عبيد (الفاطميون) بينهم وبين الطريق إلى المغرب، فاستولى الخراب عليها إلى وقتنا هذا، واستوطنها الأعراب من سليم وغيره، فهم اليوم بها وأثار المدن والحصون باقية إلى اليوم»(١).

كما يسرد المراكشي تاريخ القيروان منذ انشائها حتى ملكها بنى زيرى ويقول «فلم يزل زيرى وبنوه ملوكا عليها إلى أن كان آخرهم الذى أخرجه العرب عنها، تميم بن المعز بن باديس، فانتهبها الأعراب وخربتها فهى كذلك خراب إلى اليوم، فيها عمارة قليلة يسكنها الفلاحون وأرباب البرية»(٢).

ويتكلم ابن عذارى بدوره عن وقائع العرب مع المعز بن باديس عند القيروان، فيقول: «قال ابن شرف أخبرنى من أثق به قال: خرجت من القيروان وسرت ليلاً فكنت أكمن النهار، فلم أمر بقرية إلا وقد سحقت وأكلت، أهلها عراة أمام حيطانها من رجل وامرأة وطفل، يبكى جميعهم جوعاً وبرداً. وانقطع المير عن القيروان، وتعطلت الأسواق، وأمسك العرب جميع من أسروه فلم يطلقوا أحداً إلا بالفداء مثل أسرى الروم، وأما الضعفاء والمساكين فأمسكوهم لخدمتهم»(٣).

ويذكر فى أحداث سنة ٤٤٩هـ «فى أول يوم رمضان انتهب العرب مدينة القيروان وخربتها وكانت من أعظم مدن الدنيا»(٤).

أما ابن الخطيب فيصف دخول العرب أفريقية بقوله «فعبر منهم خلق عظيم شقى بهم المعز ومن بعده إلى اليوم، فسبوا البلاد وأستحيوا الأولاد.

---

(١) المراكشى، المصدر السابق، ص ٤٣٢-٤٣٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤١. ويقصد باليوم أى إلى سنة ٦٢١هـ

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٩١.

(٤) المصدر السابق، ص ٢٩٤.

وانتهبوا الطارف والتلاد، وحسبك بدخول مدينة القيروان شهره، ووقيعة شنيعة، وإلى اليوم فالخطب بهم لا يرفع، والوطن الخصيب الرحيب قفر بلقع»(١).

ويذكر ابن أبى دينار أنه فى أيام تميم بن المعز بن باديس «كانت المجاعة العظمى بافريقية والوباء الذى لم يسمع بمثله وذلك سنة ٤٨٣هـ»(٢).

وفى وصف قفصة يقول صاحب الاستبصار(٣) بانها كانت أعظم بلاد افريقية منظرا وكان حولها مشتى قصر آهله عامرة، «وكانت القوافل إذا خطرت بين هذه القصور تكم أبلها ودوابها لئلا ترعى ورق الشجر لكثرته على ذلك الطريق. وهى اليوم لا أنس بها من وقت دخلت العرب بلاد أفريقية وأفسدت بلاد القيروان وغيرها من البلاد والقرى والعمائر وكثيراً من المدن بافريقية».

أما التجانى فى رحلته، وهو يتكلم عن مرورهم بأرض بنى دلاج من بنى عوف بن سليم، يصف هؤلاء القوم بقوله: «وجور هذه الطائفة المعروفة بدلاج فى فعلها وعيثها فى البلاد وأهلها أشهر من أن نشير إليه، أو ندل بعبارة مختصرة عليه، وأنصف الله من الجرجرائى الاقطع(٤) فهو الذى أمكن العرب من الدخول إلى هذه البلاد وعن فكرة السيئ نشأ بأرض أفريقية ما نشأ من الفساد»(٥).

كما يذكر(٦) أنه بعد رحيلهم عن الجم(٧)، ودخولهم فى أرض قبيلة حصن بن بنى سليم «كان مسيرنا منذ فارقنا الجم فى الزيتون القديم المتصل المعروف بزيتون الساحل، وقد أذهب افساد العرب أكثره، وغير بعد الاستواء أسطره، فكأنه كان مغروساً على حالة معلومة وأسطر متناسبة منظومة، فأبطل الافساد أكثر ذلك، وعلى هذا الزيتون كان مدار غلات أفريقية فى القديم».

---

(١) ابن الخطيب، المصدر السابق، ص ٧٥ ويقصد إلى اليوم أى إلى زمنه فى القرن الثامن.

(٢) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٦.

(٣) ص ١٥٤. علما أن مؤلف الاستبصار من منتصف القرن السادس.

(٤) يصفه بالاقطع لان الحاكم بأمر الله الفاطمى قد أمر بقطع يديه. ولقد وهم التجانى فيذكر أن الجرجرائى هو الذى أرسل العرب إلى أفريقية.

(٥) أنظر التجانى، المصدر السابق، ص ١٦.

(٦) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٧) الجم بلد فى منتصف الطريق بين سوسة وصفاقس- أنظر خريطة الرحلة الملحقة بالبحث.

ويصف صفاقس فيقول «كانت بها قبل غابة زيتون ملاصقة لسورها فأفسدتها العرب، فليس بخارجها الآن شجرة قائمة»(١).

ويذكر التجانى أيضاً، أنه بعد وصولهم إلى طرابلس مروا بزاوية أولاد سنان قرب طرابلس «وهذه الزاوية راجعة إلى حكم عبد الله ابن دباب (من سليم) الشديد القسوة المشهور هو وبنوه بربط البربر وتعذيبهم بالنار وغيرها لاستخراج أموالهم»(٢).

أما العبدرى الذى مر بهذه المنطقة قبل رحلة التجانى بحوالى العشرين عاماً، فيصف باجة بأنها «مدينة جرعها الدهر أجاجه، قد هتكتها الأيدى العادية وفتكت بها الخطوب المتمادية، حتى صارت وهى حاضرة بادية، فخشوعها لائح وضراعاتها بادية، وقد حدثت بها أن أهلها لا يفارقون السور خوفاً من العربان وأنهم يستعدون لدفن الجنائز كما يستعدون ليوم الضراب والطعان»(٣). ويقول عن القيروان «فدخلتها مجدا فى البحث غيروان فلم أر إلا رسوماً محتها يد الزمان، وأثارا يقال عنها كان وكان، وقد كان شأن القيروان فى غابر الزمان بحيث لا يجهله إنسان ولا يحصله لسان حسبك ببلد وضعت الأوضاع فى فضله وملئت الأسماع من وصف وابله وطله، مأوى العلماء والصلحاء فى حياتهم وكفاتهم بعد وفاتهم، بلد يناظر به أقليم، ومتى ذكر علماؤه فليس إلا التسليم، ولكنها الأيام إذا أعطت أخذت وكلما أعطت نبذت»(٤).

ثم يصف طرابلس «فيقول أقفرت ظاهراً وباطناً، وذمها الخبير بها سائراً وقاطناً، اكتنفها البحر والقفر واستولى عليها من عربان البر ونصارى البحر»(٥).

ويذكر العبدرى(٦) أن البكرى(٧) وصف سرت بأنها «مدينة كبيرة على

(١) التجانى، المصدر السابق، ص ٦٨.

(٢) المصدر السابق،، ص ٢١٤.

(٣) العبدرى، المصدر السابق، ٣٧-٣٨.

وباجة مدينة إلى الغرب من مدينة تونس قرب الحدود مع الجزائر الحالية.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٧٦ - ٧٧.

(٦) العبدرى، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٧) توفى البكرى سنة ٤٨٧هـ أى أنه من القرن الخامس.

ساحل البحر لها نخل وبساتين، وذكر نحـو ذلك فى أجدابية وبينهما نحو عشر مراحل. ولا وجود لشيء مما ذكر إلا أن يكون مما غير ودثر».

كما يذكر أيضاً(١) أنه بعد رجـوعه من الحج مر علـى طريق الساحل إلى القيـروان، ويقول: "وطريق الساحل على غابة أفـريقية، وهى غابة عظيـمة من زيتون البـعل يحمل كثيـراً ويعصر زيتا طيـبا كالحال فى زيتـون الشام سواء، ولكنه ليس فى الشام منه غـابة متصلة كاتصال هذه مع عظمـها، وقد قطعناها فى ثلاثة أيام، ولـكنهـا الآن(٢) معطلة لفـساد البلاد واسـتيلاء العربان عليـها، فانقطعت منفعها رأساً حتى صار الزيت بافريقية مجلوباً من جزيرة جربة».

أما ابن بطوطة(٣) فيصف حـال سكان مدينة صفاقس ومـا يلاقونه من غارات العرب فى البر وافساد الروم فى البحر ويتمثل بقول الشاعر:

صفـاقـس لا صفـا عيـش لسـاكنـها
ولا سقـى أرضـهـا غيـث إذا انسكبـا
ناهيـك مـن بلـدة مـن حـل ساحتـها
عانى بها العاديـين: الـروم والعـربا
كم ضـل فـى البـر مسلوبـا بضاعته
وبات فى البحر يشكو الأسر والعطبا

ويصف(٤) انعدام الأمن فى طريـق المسـافريـن، وعـدم إمكان اجتـيازها إلا بالخفـارة الشديدة، فيقـول: «ثم خرجنا من مدينة قابس قـاصدين طرابلس، وصحبنا فى بعض المراحل إليها نحو مائة فارس أو يزيدون، وكان بالركب قوم رماة فهابتهم العرب، وتحامت مكانهم وعصمنا الله منهم».

إذا نحن تتبـعنا أقـوال هؤلاء المؤرخين، وأغـلبـهم من القـرنين السـابع والثامن، نلاحظ أن وصفهم ينصب على الجـزء الشرقى من المغرب، أى المغرب الأدنى وجزء من المغرب الأوسط.

---

(١) العبدرى، المصدر السابق، ص ٢٣٧.

(٢) اى فى زمن العبدرى بعد سنة ٦٨٨هـ حيث أنه قام برحلته للحج فى ذى القعدة سنة ٦٨٨هـ.

(٣) انظر، رحلة ابن بطوطة، جـ١. بيروت ١٣٨٤هـ. ص ١٩.

(٤) المصدر السابق.

وهي منطقة عانت من حروب بني هلال وبني سليم، ولكنها أيضاً كانت مسرح ثورات عنيفة اجتاحت هذه المنطقة مثل ثورة قراقوش وثورة بني غانيه التي استمرت أكثر من أربعين عاماً، كما عانت أيضاً من هجمات النورمان والفرنج، وكانت ميداناً للصراع بين بني حفص وبني مرين وبني زيان.

ولاشك أن تحميل الهلاليين كل المسئولية فيه مجافاة للحقيقة، أو مبالغة في غير محلها. لا ننكر أن عرب بني سليم وبني هلال ألحقوا بالمغرب الكثير من الدمار. ولكن المسئولية أيضاً تقع على حكومات المغرب الذين استعملوا العرب أداة ضد بعضهم البعض فخربوا بيوتهم بأيديهم.

واننا نتفق مع الأستاذ مبارك الميلي في قوله «والمسئول عما لحق بالمغرب من أضرار الحرب هي صنهاجة التي لم تحسن سياسة هؤلاد العرب وجرأتهم عليها بما كان بين دولتيها من تنافس «كما ينعي الميلي على الكتّاب العرب مبالغتهم في تقدير تلك الأضرار التي حملوا الهلاليين مسئوليتها، ويرى أنهم لجأوا إلى ذلك» لأنهم كتبوا لدول بربرية ولم يكن للهلاليين حكومة تطمعهم في انعماها. ولبداوتهم لم يهتموا بدعاية سياسية تنشر لهم أو عليهم»(١).

وليس غريباً إذا أن يتلقف المستشرقون هذه الاتهامات، فيحاولون بدورهم أن يلصقوا بالهلاليين وبالعرب كل نقيصة وكل حدث سيئ مرّ به المغرب حتى ولو كان قد حدث قبل مجيئهم بقرون. فهذا برفنسال يحاول أن يبرئ ما قامت به الكاهنة حوالي سنة ٧٥هـ من تخريب للمغرب أثناء حملة حسان بن النعمان ويقول: «من الواضح أن نسبة هذا العمل، الذي يخالف طباع البربر، إلى الكاهنة لابد أن يكون محل شك. ولا ريب أن العرب- وهم المسئولون الحقيقيون عما أصاب افريقية من خراب البلاد الاقتصادى الزراعي بعد ذلك بسنوات- هم الذين نسبوا إلى بطلة الأوراس هذه الجريمة التي لابد أن نضيفها إلى حسابهم دون أدنى ظل من الشك أو التردد»(٢).

ويؤيد ما ذهبنا إليه قول الميلي «اتخذ كتّاب الفرنسوية مبالغات كتّاب العربية سلما لثلب العرب. وصاروا يطرون البربر بعد ما كانوا يقذفونهم بأشنع القذائف في الدورين الروماني والبيزنطي». ويستشهد بما ذكره

---

(١) أنظر الميلي، المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢) أنظر د. سعد زغلول، تاريخ المغرب، ص ١٨٨. ويقصد برفنسال الهلاليين وأنهم السبب في خراب افريقية بعد ذلك بسنوات.

الكاتب العسكري الفرنسي كاريت الذي يقول «كان هجوم العرب الفاتحين كالأعصار يقتلع الأشجار ويهدم المنازل، وهجوم الهلاليين كالحريق الهائل الذي يذر الأشجار والمساكن رماداً تذروه الرياح، فما أبقاه الأعصار قضى عليه الحريق. وما بقي عن السياسة العربية قائماً بالمغرب ذهب به الطبع العربي الهدام. فتمم الهلاليون أعمال التخريب التي ابتدأها الخلفاء الأولون»(١).

وإذا كان الميلي قد هالته مبالغات كتّاب العربية القدامى، وأغضبه تهجمات المستشرقين، فإننا للأسف نجد أكثر الكتّاب المعاصرين من العرب ينساقون في هذا التيار ويصفون العرب بأنهم كانوا عوامل تخريب وتدمير.

ونرى مثلاً لذلك المؤرخ التونسي المعاصر محمد الهادي العامري في كتابه «تاريخ المغرب العربي»(٢) وهو يؤرخ للدولة الحفصية والصراع مع بني مرين يقول بالنص «وأصبحت البلاد الأفريقية ميدان فوضي يتسابق فيه العرب، الأمر الذي حمل عبد الرحمن بن خلدون على كتابة فصول لاذعة ضد العرب في مقدمة تاريخه خصوصاً وقد كان ابن خلدون يعيش في ذلك العهد. ومن تأمل الفصل السادس والعشرين من مقدمة تاريخ ابن خلدون الذي عنونه بقوله أن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، علم صحة ذلك، فإنه حلل النفسية الأعرابية الوحشية، وبرهن على استحكام عوائد التوحش في هؤلاء العرب أو الأعراب لتمردهم ونفورهم من النظام، ومنافاة طباعهم للأنقياد لوسائل التمدين ونظمه، واندفاعهم لأنطماس معالم العمران، واستئصالهم لكل نبات، وتسابقهم إلى الغارات وانتهابهم للأموال».

ونسي العامري أو تناسى أنه يذكر هذا النص وهو يتكلم عن حملة بني مرين على تونس سنة ٧٥٨هـ ونتائجها السياسية، وإن ما وصل إليه المغرب من اضطراب سياسي هو نتيجة للعداء بين دولة. كما نسي أو تناسي اشتراك ابن خلدون نفسه في خضم حوادث اضطراب أمور المغرب. وأن ما واجهه المغرب من أزمات سياسية أو اقتصادية، إن كان العرب قد شاركوا فيه فبتشجيع من دولة البربرية(٣).

(١) الميلي، المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٢) ص ١١٤، ١١٥.

(٣) ويرى الأستاذ عبد القدوس الانصاري، بنو سليم ص ١٦٩ وما بعدها أن هجوم ابن خلدون على عرب بني هلال ربما يرجع إلى العقد العرقية والنفسية التي تتحكم في آرائه وذلك لكونه قحطانيا من عرب الجنوب.

وسأحاول هنا -للحقيقة التاريخية- أن أبرئ الهلاليين أو على الأقل نخفف الحكم عليهم فلا نحملهم وحدهم كل المسئولية. وسأستشهد بما ذكره نفس الكتّاب العرب الذين أوردنا آراءهم فيما سبق. فالبكرى وهو أقرب الكتّاب لأحداث غزوةبنى هلال -إذ أنه توفى سنة ٤٨٧هـ- يصف(١) القيروان وصفاً يدل على مبلغ عمارتها، ويقول «وسائر جوانبها أرضون طيبة كريمة، وأحسنها الجانب الغربى وهو المعروف بفحص الدرارة يصاب فيه فى السنة الخصبة للحبة مئة». ويذكر أن للمدينة أربعة عشر بابا. فكيف نقارن هذا الوصف بما ذكره ابن خلدون أو ابن عذارى أو العبدرى الذى نرجحه أن البكرى وهو معاصر، ذكر حقيقة القيروان فى زمانه أما العبدرى وهو من القرن السابع وابن خلدون وابن عذارى وهما من القرن الثامن -وإن كنا لا ننكر أن ما وصفوه هو الحقيقة- إلا أن وصفهم ينطبق على ما صارت عليه القيروان بعد أن توالت المحن عليها كهجوم الناصر بن علناس، وثورات قراقوش وبنى غانيه وغير ذلك من أحداث قد تكون السبب فى ما وصلت إليه حال القيروان.

ونورد نصاً هاماً لابن عذارى، يبين لنا بجلاء أن المعز بن باديس تسبب فيما حدث فى بلاده من تخريب. يقول ابن عذارى فى معرض حديثه عن حصار العرب للقيروان «وأمر السلطان كافة الناس بانتهاب الزروعات المحيطة بالقيروان وصبره وهى المنصورة(٢)، فسر المسلمون بذلك وحسبوها من أرزاقهم، وكان مصيرها إلى ما قدّر الله من فسادها وأكل البهائم لها «كما يقول: «وأمر السلطان المعز أن ينتقل عامة أهل صبره وسوقتها إلى القيروان، ويخلوا الحوانيت كلها بصبره. وأمر جميع من بالقيروان من الصنهاجين وغيرهم من العسكر أن ينتقلوا إلى صبره وينزلوا فى حوانيتها وأسواقها، فأرتج البلد لذلك وعظم الخطب واشتد الكرب، ومد العبيد ورجال صنهاجة أيديهم إلى خشب الحوانيت وسقائفها واقتلعوها، وخربت العمارة العظيمة فى ساعة واحدة»(٣).

(١) انظر البكرى، المغرب وص ٢٤.

(٢) المنصورية، مدينة قرب القيروان بناها المنصور إسماعيل ابن القائم بن المهدى ثالث خلفاء الفاطميين بالمغرب سنة ٣٣٤هـ-٣٤١هـ).

(٣) ابن عذارى، المصدر السابق، ص ٢٩١.

هذا النص يوضح لنا بجلاء أن الصنهاجيين وعساكر المعز، قاموا بعملية تخريب واسعة، وليس العرب وحدهم على الأقل.

ويذكر المراكشى وهو يتحدث عن ثورة قراقوش وبنى غانيه، أن قفصة(١) خرجت عن طاعة الموحدين سنة ٥٨٣هـ، فحاصرها الخليفة أبو يوسف يعقوب ودخلها عنوة فقتل أهلها قتالاً ذريعاً، حيث قتل أكثرهم ذبحاً، وأمر بأسوارها فهدمت، وخربوا ما حولها و«قطعوا أشجارها»(٢).

وهذا أيضاً يؤيد ما ذكرناه من أن أحداث هذه الثورات كانت عاملاً كبيراً فيما واجهه المغرب من تخريب.

وقد أورد الميلى نقلاً عن الأدريسى(٣)، ما يدل على أن جهات المغرب الأوسط التى وصفها ابن خلدون أنها أصبحت أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف الغير، لم تكن على هذه الحال السيئة فى وقته. إذ يقول الميلى «فإن الأدريسى تتبع الحملة الهلالية أحسن تتبع ووصف طبنه ومقرة والسيلة وغيرها بالعمران»(٤).

كما ينقل الميلى أيضاً عن الأدريسى ما يدل على أن منطقة كتامة وهى الجزء الشمالى من المغرب الأوسط كانت على صلة حسنة مع العرب، وكانت التجارة فيها رائجة، والعرب يمونونها بالحبوب، وبين أهلها وبين العرب معاملات ومشاركة فى الحرث والإدخار(٥).

ويصف صاحب الاستبصار(٦) -وهو من رجال القرن السادس طرابلس وقابس وصفاقس وسوسة وقفصة وصفاً يدل على مدى عمرانها. فيقول عن طرابلس أنها مدينة كبيرة وبها سوق حافلة وحمامات كثيرة وبساتين كثيرة الفواكة جمة الخيرات. ويصف قابس بكثرة الثمار وبجودة الحرير الذى لا يعمل

---

(١) مدينة تقع غرب تونس الحالية قرب الحدود مع الجزائر.

(٢) المراكشى، المصدر السابق، ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٣) الأدريسى كما أعلم قريب من أحداث الغزوة الهلالية إذ توفى سنة ٥٤٨هـ.

(٤) أنظر الميلى، المرجع السابق، ص ١٥٣.

وهذه المدن الثلاث من مدن ولاية قسنطينه بالجزائر حالياً. وكانت وقتئذ من أملاك بنى حماد.

(٥) الميلى، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٦) أنظر صفحات، ١١٠، ١١٢، ١١٦، ١١٩، ١٥٣.

بأفريقية إلا بها. أما صفاقس فتمتاز بزيتها الذى يستعمله أهل افريقية وتحمله المراكب إلى بلاد الروم.

ويصف سوسة بأنها مدينة كبيرة يعمل بها الثياب الرفيعة السوسية التى لا نظير لها، وأن لحومها من أطيب لحوم أفريقية لطيب مراعيها. أما عن قفصة فيذكر كثرة نخلها وزيتونها وفواكهها ورياحينها وأنه يصنع بها أردية وطيالس وعمائم من صوف فى غاية الرقة، ويصنع بها أوان من خزف شديدة البياض، وأن أهلها ذوو يسار وفيهم خير كثير ولهم صدقات.

وهذا الوصف يدل على أن بلاد أفريقية حتى بعد منتصف القرن السادس، أى قبل ثورة قراقوش وابن غانيه، كانت على هذه الدرجة الكبيرة من الازدهار.

ومما يؤكد ما سبق أن ما ذكرناه من أن المغرب عانى كثيراً من هذه الثورات، ربما أكثر مما عانى من العرب، ما ذكره التجانى نقلاً عن ابن شداد(١). يقول التجانى «وفى تاريخ ابن شداد ذكر شدة ما انتهي إليه حال أفريقية أيام استيلاء على بن أسحاق الميورقى(٢) عليها قال: أخبرنى أبو عبد الله محمد بن البراء المهدوى وقد وصل إلى دمشق هذه السنة يعنى سنة اثنتى وثمانين وخمسمائة. قال فسألته عن أحوال افريقية: فقل هلك العباد وخرب البلاد، ثم قال وسأخبرك ببعض ما تستدل به على الحال:

لما نزل على بن أسحاق على منزل باشو من الجزيرة وهو على بعض يوم من تونس سأله أهله الأمان فأمنهم، ودخل عسكره إلى المنزل المذكور فانتبهوا جميع ما فيه وسلبوا أهله حتى ثيابهم التى تواريه، وامتد أيدى العبيد وجفاة الأعراب إلى البنات فاضطر أهله إلى الفرار ففروا بأجمعهم إلى تونس ونزلوا بين سوريها، فدخل عليهم فصل الشتاء هنالك فأهلكهم البرد والماء، وأحصى من مات فيهم بتونس فكانوا اثنى عشر الفا»(٣).

---

(١) هو أبو محمد عبد العزيز بن شداد من ذرية المعز بن باديس. ومن رجال آخر القرن السادس الهجرى وقد هاجر إلى الشام ومات به وكان من أمراء العساكر فى دولة صلاح الدين وله كتاب تاريخ الفه لصلاح الدين يعرف بسيرة ابن شداد -أنظر التجانى، المصدر السابق ص ١٤ هامش/١.

(٢) قائد الثورة المعروفة بثورة ابن غانية والتى بدات باستيلائه على بجاية سنة ٥٨٠هـ.

(٣) التجانى، المصدر السابق.

وذكر التجانى أيضـاً نقلاً عن القاضى الفاضل(١) «وفى مياومة الفاضل بن البيسانى أن الخبر وصلهم فى جمادى الاخرى من سنة خمس وثمانين (٥٨٥هـ) أن يحيى بن أسحاق الميورقى(٢) وأبا زياد المغربى(٣) دخل إلى جزيرة باشو بقرب من تونس واستأصل أهلها فانتقلوا إلى تونس ودخلوا حفاة عراه فمات منهم بالجوع والبرد والانقطاع نحو أثنى عشر الفا»(٤).

نصان آخران أوردهما التجانى يدلان على أن أمراء العرب بأفريقية كانوا يسهمون فى العمران. النص الأول يذكر فيه أن بقابس «المبنى المشتهر المعروف بالعروسين الذى لا يري مثله ظرفاً وحسناً، قد استولى الخراب فى وقتنا هذا عليه، والعروسان من بناء بنى جامع الهلاليين»(٥).

النص الثانى الذى أورده التجانى يصف فيه تاجورة(٦) بقوله: هى قرية كبيرة عامرة وبها قصر متسع يشتمل على دور كثيرة، وفى وسط هذا القصر حصن أقدم بناد منه يقال أن حميد بن جارية أبا الجوارى(٧) ابتناه وشارك فيه

---

(١) هوالقاضى الفاضل أبو على عبد الرحيم بن محمد اللخم» الغسانى المعروف بابن البيسان. وكان من كبار رجال دولة صلاح الدين الايوبى.

(٢) هو اخو على بن أسحاق وقد قاد الثورة بعد وفاة أخيه. ويذكر التجانى المصدر السابق، ص ١٤-١٥ أنه لابد قد وقع الغلط فى نسبة ذلك إلى يحيى فإن على بن أسحاق كان هو قائد الثورة وقتئذ.

(٣) جاء فى هامش/١ ص ١٥. من رحلة التجانى ما يلى:
اختلفت النسخ اختلافاً لا يمكن معه ضبط هذا العلم، ولا يبعد أن تكون تلك الروايات كلها محرفة من اسم يوزيا أو بوزيا أو بوازيه الغزى الذى ذكره أبو شامة فى كتاب الروضتين جـ٢. ص ١٧١ وص ١٧٧. وكذلك ابن الاثير فى الكامل فى التاريخ جـ١١. ص٣٤٢.

(٤) التجانى، المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق، ص ٩٤-٩٥.
اما اسرة جامع الهلاليين فقد ملكوا قابس وكان آخرهم مدافع بن رشيد ومن يده اخذها الموحدون سنة ٥٥٤هـ وقد مدح مدافع بن رشيد باشعار كثيرة تدل على علو شانه ويمكن الرجوع إلى هذه الاشعار فى ملحق الشعر.

(٦) تاجورة بلدة تقع على الطريق الساحلى شرق طرابلس- أنظر خريطة رحلة التجانى الملحقة بالبحث.

(٧) الجوارى هم بنو جارية بن وشاح بن عامر من بنى سليم.

فى العمل بنفسه ليحض أهل الموضع على اتمامه، وهو الذى عمر هذه القرية ونقل أهلها إليها من أرض هنالك تعرف بأرض عبد رب وكان ابتداء عمارتها فى عام خمسين وخمسمائة»(١).

لسنا فى حاجة بعد ذلك أن نقول أن اتهام العرب بتخريب المغرب، فيه على الأقل مبالغة كبيرة، ما دمنا لا نستطيع أن نقول أنه اتهام فى غير محله.

الأثر الاجتماعى:

إذا كان الفتح الإسلامى للمغرب قد حوله إلى بلد مسلم فإن الغزو الهلالى قد حوله إلى بلد عربى. بالغزوة الهلالية قد أحدثت فى المغرب تعديلاً جنسياً، فحولته إلى شعب تجرى فى عروقه الدماء العربية، ويكتسب سكانه العادات والتقاليد العربية. فكان تأثير الهلاليين فى البربر اجتماعياً، لغوياً، جنسياً كما كان نفوذ الفاتحين دينياً سياسياً.

يقول ابن خلدون «أن المغلوب مولع أبداً بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده». لذلك بالمغلوب دائماً يتشبه بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه فى اتخاذها وأشكالها بل وفى سائر أحوالها»(٢).

وإن كان ما يقوله ابن خلدون صحيحاً إلى حد كبير، إلا أن تأثر البربر بالعرب كان أيضاً لتشابه أسلوب الحياة لديهما. فالهلاليون بداة ظواعن، والبربر فى اغلبهم ايضاً على مثل ذلك حتى قبل أن يجيئ الهلاليون. وكان لتشابه الحياتين أثره فى أن يتأثر البربر بالعرب، خاصة بعد أن اختلطوا بهم، وأن يأخذوا عنهم كثيراً من عاداتهم الاجتماعية وأخلاقهم وطباعهم.

ونعلم مما مر فى دراستنا أن عرب بنى هلال وبنى سليم لما جاءوا إلى المغرب وتم لهم الغلبة عليه، لم يؤسسوا ملكاً أو يقيموا دولة بل ظلوا على طبيعتهم يانفون حياة الاستقرار، وحافظوا ما أمكنهم على حياة الظعن حيث كان ذلك عندهم رمزاً للقوة. أما من ضعف منهم فقد استقروا بين البربر فى قراهم أو اقاموا لأنفسهم قرى جديدة. وكان لابد إذاً أن يؤثروا فيمن جاورهم من البربر سواء من البرانس أو البتر، ولم ينج من هذا التأثير إلا البربر الذين

(١) التجانى، المصدر السابق، ص ٣٠٧.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ١ ص ١٢٣.

اعتصموا فى المناطق الجبلية البعيدة عن مواطن العرب. ولقد ظل هذا التأثير على مدى قرون حتى بعد أن انتهت الغزوة الحربية ذاتها.

ونرى ابن خلدون وهو يتكلم عن بنى كهلان من بربر هواره البرانس، يقول أنهم كانوا يظعنون على عهده مع بنى سليم بأرض التلول ما بين نبسه وباجة، وأنهم صاروا يتشبهون بعرب بنى سليم فى اللغة والزى وسكنى الخيام وركوب الخيل وكسب الأبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين فى الشتاء والصيف فى تلولهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم(١).

أما عن زناته من البتر فيقول ابن خلدون «وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب فى سكنى الخيام واتخاذ الأبل وركوب الخيل والتقلب فى الأرض وإيلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية عن الانقياد للنصفة»(٢).

والاكثر من ذلك أن زناته أخذت تنكر نسبها البربرى وتحاول أن تتخذ لنفسها نسباً عربياً. يذكر ابن خلدون أن نسابة زناته ينسبونهم إلى حمير، ولكنه ينكر ذلك عليهم، ويقول: «وإنما حمل نسابة زناته على الانتساب فى حمير الترفع عن النسب البربرى، لما يرونهم فى هذا العهد خولاً وعبيداً للجباية وعوامل الخراج... وصار اسم البربر مختصاً لهذا العهد بأهل المغرم. فأنف زناته منه فراراً من الهضيمة، وأعجبوا بالدخول فى النسب العربى لصراحته.... مع ما فى العربية أيضاً من عز التوحش والسلامة من مذمومات الخلق بأنفرادهم فى البيداء. فأعجب زناته نسبهم وزينة لهم نسابتهم»(٣).

وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية(٤)، أنه كان من نتائج غزوة بنى هلال غير المباشرة، تغير جوهرى فى توزيع الأجناس فى شمال أفريقية، وأن البربر الذين اختلطوا بالعرب فى السهول والهضاب هجروا لغتهم تدريجياً وعاداتهم، وفقدوا أيضاً اسمهم القديم واستعاضوا عنه باسم شخص وصلوا به نسبهم. حتى نستطيع أن نقول أنهم استعربوا، وإن كان قد خلص من هذا بعض أقوام لم يكن الوصول إلى مواطنهم سهلاً ميسوراً كمناطق الأوراس فى الجزائر

(١) المصدر السابق، جـ٦ ص ١٤١-١٤٢.

(٢) المصدر السابق، جـ٧. ص ٢.

(٣) المصدر السابق، جـ٧. ص ٤.

(٤) مادة البربر.

وقبائل الريف فـي المغرب الأقـصى. وتسـتطرد دائرة المعـارف، أن البربر قـد تغيـروا تغيـراً عظيمـاً لاختـلاطهم بالعرب، حـتى ليستـحيل تميـزهم فى أغلب الأحـيان، فـهم لم يعودوا يذكـرون شـيئـاً عن أصلهم الحـقيـقى أو لغتـهم أو عاداتهم.

وأننا نرى هذا الأثر العـرقى الاجتماعـى فى كل أنحاء المغرب فـفى برقة وطرابلس استقر بنو سليم واندمجـوا مع الأهالى فى هذه البلاد، وامتزجوا بهم فى المعاملة والتجارة والمعايشة والمصاهرة حتى أن العديد من قبائل هذه المنطقة اليوم تجرى فى عروقـهم الدماء العربية البربرية، وخير مـثل لذلك القبائل التى تنتمى إلى قـبائل أبى الليل من بنى سليم، فـجد هذه القبـائل أبو الليل قد تزوج من زناته واستقـر هو وأبناؤه فى برقة. كما أن قبيلة بنى قـرة وقبيلة هيب بن سليم أيضاً قد استقرت هناك وامتزجـوا بأهلها امتزاجاً يجعل من الصعب علينا الآن أن نميز بـني ذريتهم وذرية أهل البـلاد الأصليين. وهكذا جعل العـرب من هذه المنطقة بلاداً عربية مسلمة لها شخصيتها العربية الواضحة(١).

أما افـريقية، أو تونس الحـالية، فقـد كانت أكـثر أقاليم شـمال أفريقـية استعراباً. وكما تقول دائرة المعارف الإسلامية(٢). وهى تتكلم عن سكان تونس «يعز علينا اليوم أن نميز القبائل العربية من القبائل البربرية بحال».

وإن كان هناك من يرى أن لهـذا الاستعراب نتائج سـياسية واقـتصادية لازالت أثاره تشاهد إلى اليوم لاسيـما فى الميدان الاقتصادى وميـدان السياسة العمرانية ويتـمثل ذلك ما يرى هذا البعض فى مشكلة القبـائل البدوية ومحاولة إدماجـهم فى حيـاة القرى والمدن(٣). وكـان الـعـرب فـقط هـم الذين لا زالوا يتمسكون بحياة البداوة ورفض حياة الاستقرار.

أما فى المغرب الأوسط، فقد انتشر العـرب فى الهضبة والسهول الداخلية تاركين الجبـال للبربر، لذلك كـان امتزاج الـعرب بالبربر واضـحاً فى الفـيافى والسهـول، فى حين استطاع البربر الذين اعتـصموا بالجبـال الاحتفاظ بلغـتهم وعاداتهم إلى الآن مثل رجال القبائل وشاوية الأوراس(٤).

---

(١) أنظر خفاجى، قصة الأدب فى ليبيا العربية ص ٨٠-٨٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، مادة برقة.

(٣) د. الحبيب الجنحانى، القيروان ص ١٠٢.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، مادة الجزائر.

وترى دائرة المعارف الإسلامية أن تقسيم سكان الجزائر الحالية إلى بربر وعرب، وهو التقسيم الذى درج عليه الباحثون، لا يطابق الحقيقة الواقعة. فقد امتزجت هذه الأجناس امتزاجاً يكاد يتعذر على المرء معه أن يفرق أو يميز بين البربر والعرب. وأنه لا اللغة ولا طرائق المعيشة يمكن أن نستخلص منها أساساً لمثل هذا التقسيم، لأن البربر المستعربة قد انصرفوا عن لغتهم وعاداتهم بل ونسوا أرومتهم فى حين أن القبائل العربية لم يبق منها سوى أسمائها، إذ أن تسرب البربر المستعربة قد غيرهم كل التغيير، حتى لم يعد بين الجنسين فرق ما هذه الأيام. وتقول دائرة المعارف أن اطلاق كلمة العرب على جميع سكان الجزائر دليل على هذا التطور.

أما فى المغرب الأقصى فإن هذا الامتزاج يتمثل فى شاوية تامسنا الذين يقطنون الآن إلى الشمال الشرقى من وادى أم الربيع. وتذكر دائرة المعارف الإسلامية(١) أن محمد بن الحسن الوزان (ليو الافريقى) يقول أن هؤلاء القوم أنحدروا من الزناتة والهوارة الذين أسكنهم بنى مرين فى تلك الجهة فاختلطوا بالعرب الذين استقدمهم من أفريقية السلطان يعقوب المنصور الموحدى، وأن هؤلاء الشاوية يختلفون عن شاوية الاوراس فى أنهم يتحدثون الآن باللغة العربية.

وهكذا نرى هذا الأثر القوى والمستمر للغزوة الهلالية، وهو أثر سيبقى ما بقيت هناك دماء تجرى فى عروق أهل هذه البلاد مؤكدة عروبتها.

الأثر اللغوى والأدبى :

من المؤكد أن أهم نتائج الغزوة الهلالية على الإطلاق أن استحكمت عروبة الألسنة فى أنحاء المغرب، وصار للعربية السيادة والهيمنة فى كل جزء من أجزائه، فساعدت بذلك على أن تكون لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة.

والمتتبع لما يذكره ابن خلدون، وهو يتكلم عن البربر، وخاصة فى الجزءين السادس والسابع، يدرك تماماً مدي الأثر الذى تركه عرب بنى سليم وبنى هلال فى لغة البربر. فابن خلدون يؤكد أن البربر قد تأثروا بالعرب حتى أنهم قد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب، حتى

---

(١) مادة الشاوية.

لا يكاد يفرق بينهم، سواء فى ذلك برب المغرب الأدنى أو بربر المغرب الأقصى، اللهم إلا بربر المناطق الوعرة الذين لم يختلطوا بالعرب مثل شاوية الاوراس(١) مثلاً.

وحتى لهجة البربر أنفسهم قد أصابها التغيير، تقول دائرة المعارف أن غزوة بنى هلال «كان لها أثر عظيم إذ اختفت بعض اللهجات، ودخل البعض الآخر كثير من الكلمات يمكن تميزها بسهولة عن الكلمات الأخرى التى دخلت اللغة البربرية فى القرون السابقة(٢).

ومع أن اللغة العربية فى المغرب قد اختلفت فى لهجتها وبعض تغييراتها عن عربية المشرق مثلاً، فإن ذلك جاء بحكم البيئة الجديدة والاختلاط بالبربر. فكما تأثر البربر بالعرب وأخذوا لغتهم، أثروا هم أيضاً إلى حد ما فى العرب ولغتهم. وإن خلص من هذا الأعراب الذين ندر اختلاطهم بغيرهم، فظلوا يتكلمون العربية الفصحى، وقد لاحظ العبدرى فى رحلته ذلك، وفسره تفسيراً دقيقاً، إذ يقول عن عرب برقة «وعرب برقة اليوم أفصح عرب رأيناهم، وعرب الحجاز أيضاً فصحاء، ولكن عرب برقة لم يكثر ورود الناس عليهم، فلم يختلط كلامهم بغيره وهم إلى الآن على عروبتهم، لم يفسد من كلامهم إلا القليل، ولا يخلون من الأعراب إلا بما لا قدر له»(٣).

إلى جانب انتشار العربية كلغة فى المغرب الإسلامى، فإن الغزوة الهلالية كان لها تأثير كبير فى الناحية الثقافية والأدبية. حقيقة أن بعض المصادر والمراجع تحمل بنى هلال وبنى سليم تبعة انكماش الحركة الفكرية فى بلد مثل القيروان نتيجة التخريب الذى لحقها. فيقول العبدرى الذى زار القيروان فى القرن السابع «لما دخلت القيروان بذلت وسعى فى البحث عمن فيها من أهل العلم، فلم أجد فيها من يعتبر سوى هذا الفقيه المحدث الراوية المعروف بالدباغ»(٤).

(١) دائرة المعارف، مادة الشاوية.

(٢) نفس المرجع، مادة البربر.

(٣) العبدرى، المصدر السابق، ص ٨٨.

(٤) المصدر السابق، ص ٦٤ والدباغ: هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصارى الأسيدى (٦٠٥-٦٩٦هـ)- مؤلف كتاب معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان.

ويقول المراكشي وهو من رجال القرن السابع أيضاً «وكانت القيروان منذ الفتح إلي أن خربتها الأعراب دار العلم بالمغرب، إليها ينتسب أكابر علمائه وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم. وقد ألف الناس في أخبار القيروان ومناقبه وذكر علمائه ومن كان به من الزهاد والصالحين والفضلاء المتبتلين كتباً مشهورة فلما استولى عليها الخراب تفرق أهلها في كل وجه، فمنهم من قصد بلاد مصر، ومنهم من قصد صقلية والأندلس وقصدت منهم طائفة عظيمة أقصى المغرب فنزلوا مدينة فاس فعقبهم بها إلى اليوم»(١).

ومع قبولنا هذه الاتهامات بحذر -إذ كما سبق وأوضحنا عند كلامنا عن الأثر الاقتصادي، أن خراب القيروان وغيرها ليس مسئولية العرب وحدهم-، فإنه من المؤكد أن انتشار العرب تبعه انتشار شعرهم. كما أن أمراءهم أصبحوا مقصداً للشعراء الذين أقبلوا على مدحهم في قصائد رائعة، بل أن كثيراً من هؤلاء الأمراء وغيرهم من رجالات العرب كانوا شعراء مجيدين. ونظرة واحدة إلى ملحق الشعر الذي يضمه البحث يبين لنا ذلك بجلاء.

ورغم أن الشعر المنسوب للهلاليين، والذي أوردنا كثيراً عن قصائده في ملحق الشعر، يختلف عن بعضه الآخر من حيث الجزالة والفصاحة، فبعضه شعر فصيح وبعضه ما يطلق عليه الشعر البدوي. إلا أن الشعر البدوي على ما يبدو قد طغى على غيره حتى كاد أن ينحصر الشعر الفصيح في الحواضر(٢).

ويدافع ابن خلدون عن ذلك النوع من الشعر فيقول «فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر، فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون، ويأتون فيه المطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه». ويرد ابن خلدون على من يتهم هذا الشعر بعدم البلاغة لأنه لا يلتزم بحركات الأعراب فيقول: «أن الإعراب لا مدخل له في البلاغة، إنما البلاغة مطابقة الكلام المقصود»(٣).

ويرى الأستاذ المرزوقي(٤) أن شعر بني هلال وبني سليم لا يختلف في الواقع عن الشعر الفصيح، فلغته عربية فصيحة اختلطت بشيء قليل من اللهجة

(١) المراكشي، المصدر السابق، ص ٤٤٠.

(٢) المرزوقي، الأدب الشعبي في تونس، ص ٥٤.

(٣) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق، جـ١ ص ٥١٠.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٤.

الدارجـة، التى لا تعدو التـحـريف الجزئى للـكلمة الفـصـيحـة فى النطق وفى الأعراب، أما موازين الشعر فبقيت هى نفسها.

ويعتبر أن شعر بنى هلال هو الحلقة التى تصل بين الشعر الفصيح وبين الشعـر الشعبى التونسى الحـديث. وبأن التغييـر الذى أدخلته الزحفة الهـلالية على الشعر فى ألفاظه وأعرابه استمر خلال العصور، ولذلك فإن الشعر الشعبى التونسى بقى بدوياً فى جملته حتى الآن لأن القبائل العربية البدوية تمثل ثمانين فى المائة من تعـداد السكان. كمـا أن الشـعر البـدوى فى تونس، وخاصـة فى الجهات الـتى يقطنها أحفاد الهـلاليين وبنى سليم، يمتاز بمحافظتـه على الصور الشعرية المعروفة فى الشعر العربى القديم(١).

ويذكر الأسـتـاذ القشاط أن ما قاله المرزوقى عن الشـعر التونسى ينطبق بدوره على الشعر فى ليبيا، فهـو أيضاً يرجع إلى القصيد الزجلى الذى قدم مع بنى هلال وبنى سليم(٢).

وما دمنا نتكلم عن أثر الهلالية فى الشعر الشعبى، فإننا يجب أن لا نغفل أثرهم فى الأدب الشعبى والسيرة الشعبية ممثلة فى السيرة الهلالية.

ونحن لن نتناول هذه السيرة بالنقد من حيث قربها أو بعدها عن الحقيقة التاريخية ولكن سنتناول أثرها بوجه عام والذى لازال مستمراً حتى اليوم.

وابن خلدون، قد يكون أول من تعرض لأحداث السيرة الهلالية وذلك فى مقـدمته وفى الجزء السـادس من تاريخه. ففى المقـدمة(٣) يورد أشعـاراً على لسـان الشريف ابن هاشم فى زوجـته الجـازية وفى عتـابه لماضى بن مـقرب الزوج الثانى للجازية. كما يورد أشعاراً للهلاليين يذكرون فيها رحلتهم للمغرب وتغلبهم على زناتة ورثائهم- على سبيل التهكـم لأبى سعد اليفرنى قائد زناتة فى حروبهم مع الهلاليين.

أما فى الجزء السادس(٤)، فإن ابن خلدون يشير إلـى هذه السيرة بقوله

---

(١) أنظر المرزوقى، المرجع السابق، ص ٥٥-٥٨.

(٢) القشاط، الأدب الشعبي فى ليبيا، ص٥٨، وص ٦٥.

وأنظر حسن سليمان محمود، ليبيا بين الماضى والحاضر ص ١٥١.

(٣) ص ٥١١ وما بعدها.

(٤) ص ١٨ - ١٩.

«ولهؤلاء الهلاليين فى الحكاية عن دخولهم إلى أفريقية طرق فى الخبر» ثم يورد قصة الشريف ابن هشام وزواجه من الجازية أخت حسن بن سرحان أحد زعماء الأثبج من بنى هلال(١). ويفهم من كلام ابن خلدون أنه لم ينكر القصة وإن أنكر الكثير من الأشعار التى قيلت على لسان الجازية فيقول «وفى هذه الأشعار كثيراً دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية، فلذلك لا يوثق به، ولو صحت روايته لكانت فيه شواهد بآياتهم ووقائعهم مع زناتة وحروبهم، وضبط لأسماء رجالاتهم، وكثير من أحوالهم، لكنا لا نثق بروايتها»، ثم يستطرد قائلاً «وهم متفقون على الخبر من حال هذه الجازية والشريف خلفاً عن سلف وجيلاً عن جيل، ويكاد القادح فيها والمستريب أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل المفرط لتواترها بينهم».

أما الإشارة الأخرى التى وردت فى المصادر التاريخية عن سيرة بنى هلال، فقد أوردها ابن أبى دينار(٢) من رجال القرن الحادى عشر الهجرى إذ يقول «والزناتيون هم الذين يثنى عليهم عدد من العمال ويذكرون كثيراً من جملة أخبارهم عندما يذكرون سيرة بنى هلال وما جرى لهم مع الخليفة الزناتى. ولأهل طرابلس اهتمام بسيرته حتى لا يذكر بينهم حديث إلا بها، وكذلك عند عوام أهل مصر لها صيت لاستماعه».

ويذكر الدكتور عبد الحميد يونس(٣) أن سيرة بنى هلال مرت بطورين، الأول الطور الغنائى قبل القرن السادس الهجرى، وكانت فى صورة قصائد غنائية. ثم بدأ الطور القصصى في القرن الثامن الهجرى أى زمن ابن خلدون. وأن هذه السيرة بهذا الوضع أخذت وقتاً طويلاً فلا نستطيع أن ننسبها إلى فرد أو أفراد معينين، إنما هى تعبير شعب عن مشاعره.

ولا يمكن -كما يقول الدكتور يونس- أن ندخل سيرة بنى هلال ضمن الأساطير، فالسيرة تسرد أحداث أناس ثبت لنا من الدراسة التاريخية أنه كان لهم كلهم أو جلهم وجود واقعى، كما أنها عرضتهم فى حالتهم الإنسانية فلم

---

(١) أوردنا ترجمة وافية عن الشريف وزواجه من الجازية وحقيقة إنجابه لولد منها اسمه محمد وذلك في الملحق الخاص بالشعر.

(٢) ابن أبى دينار، المصدر السابق، ص ٨٣.

(٣) دكتور يونس، الهلالية فى التاريخ والادب الشعبى، ص ١٣٣.

ترفعهم عن طبائعهم ولم تسبغ عليهم من الصفات ما يتنافى مع الإرادة البشرية. كما أن السيرة يمكن أن نعدها وثيقة تاريخية لا تقل فى الأهمية عن الروايات المدونة فى أمهات المصادر، وإنها كانت صادقة فى رسم الإطار العام للعالم الإسلامى الذى شهد مجالات نشاطها، وأبرزت فى هذا الإطار علاقة غير المسلمين من عجم وروم بالعالم الإسلامى، كما أوضحت علاقة اليهود بالمسلمين وكيف أنهم كانوا يعيشون أحراراً بين المسلمين لا يلقون قيداً أو اضطهاداً(١).

ولقد كان لسيرة بنى هلال تأثير كبير فى المجتمعات العربية وخاصة فى مصر والسودان. ففى مصر يرى الدكتور يونس(٢) أن البيئة المصرية عنيت بسيرة بنى هلال وغيرها من السير ليعبر الشعب عن ذاتيته العربية بعد أن أصبح حكمه فى يد غير العرب، فدفعه ذلك إلى انتخاب أحداث بعينها للترجمة عن مشاعره القومية.

ولقد ترك بنو هلال طابعاً بدوياً فى خيال الأديب الشعبى المصرى، وأن قصصهم الذى أرخوا فيه لحياتهم وتغريباتهم استهوت العامة، فأخذوا عنهم وقلدوا قصصهم فى الأسلوب والمعانى، حتى استقام لهم عدد من السير المحلية المصرية التى ليس بينا وبين سيرة بنى هلال الأصلية إلا استعارة بعض أسماء الأشخاص والقبائل والبلاد، أما الحوادث فقد أصابها تغيير أساسى(٣).

أما فى السودان فكانت لسيرة الهلاليين أثر بالغ فى حياة عرب السودان الاجتماعية والثقافية(٤)، بل لقد بلغ تأثير هذه السيرة، أن الروايات السودانية وخاصة فى غرب السودان تؤكد أن الهلاليين مروا على السودان متجهين إلى تونس، وهو تحوير نسجته الروايات حتى تصبح السودان طريقاً لتغريبه بنى هلال(٥).

---

(١) انظر المرجع السابق، ص ١١٥٨-١٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٣) انظر استاذ رشدى صالح، فنون الأدب الشعبى، جـ٢. ص ٧٣-٧٤.

(٤) عابدين، البيان والأعراب، ص ١٥١.

(٥) المرجع السابق، ص ١٥٢.

بل لقد حرص الكثير من عرب غرب السودان على الانتساب إلى الهلاليين وإلى أبى زيد الهلالى، فعشيرة دار حامد من قبيلة فزارة بكردفان(١) تذكر أن جدهم حامد أقام بهذه المنطقة بناء على مشورة أبى زيد الهلالى. كما أن الزيادية من فزارة أيضاً ينسبون أنفسهم إلى أبى زيد الهلالى. بل لقد ذهب الرواة إلى أن رزق والد أبى زيد الهلالى، هو جد قبيلة الزريقات فى غرب السودان(٢).

وهكذا نرى إلى أى حد كان لهذه السيرة الشعبية من أثر خرج عن نطاق المغرب وانتشر فى غيره من البلدان.

(١) أحد مديريات السودان الغربية.

(٢) انظر عابدين، ص ١٥١ وما بعدها.

الخاتمة :

كثيرة هى المصادر التى تعرضت لغزوة بنى هلال. وكثيرة هى المراجع الحديثة التى أرخت لها. وقد يقال أنه من العسير على الباحث أن يقدم جديداً فى موضوع طرقه غيره من المؤلفين. وردى على ذلك أن التجديد قد يكون :

فى الكيفية التى يعالج بها الموضوع.

أو فى إبراز لنواحى لم يطرقها غيره، أو مروا بها مراً خفيفاً.

أو فى الخروج برأى واضح أو شبه مرجح على الأقل فى أمور اختلفوا عليها من حيث الزمان أو المكان أو الكيفية.

وقد يكون الجديد شيئاً أغفله المؤلفون، أو لم يعطوه حقه من البحث، فيكون فى هذه الحالة جديداً فى الفكرة والموضوع.

ولاشك أن القارئ للبحث سيجد فى كل فصل من فصوله شيئاً جديداً، إما أن يكون معالجة موضوعية، أو إبرازاً لما أغفله الآخرون، أو رأياً واضحاً لقضية اختلفوا عليها، أو عملاً جديداً خالصاً.

وأبادر فأنفى عن نفسى تهمة الغرور إذ أقول ذلك، فالغرور آفة العلماء، فما بالك بطالبى العلم أمثالى. ولكنه الشعور بالسعادة إذ أمكننى بعون من الله، أن أضع لبنة ولو متواضعة فى صرح العلم الشامخ، راجية أن يوفقنى الله فى مستقبل أيامي أن أضيف لبناتٍ ولبنات.

وإذا نحن تناولنا المصادر التى أستعنت بها فى هذا البحث، نرى أنها عالجت موضوع غزوة بنى هلال مهتمة فى المقام الأول بأحداثها الحربية ونتائجها الاقتصادية وخاصة التخريب الذى لحق بالمغرب ولكننا نلاحظ أنها اختلفت فى التأريخ للأحداث كما اختلفت فى أسماء القبائل وبطونها التى اشتركت فى هذه الغزوة، كما اضطربت فى تتبع تنقل هذه القبائل فى المغرب وتوطنها فيه، هذا وأن أجمعت بل وبالغت فى مدى الخراب الذى لحق بالمغرب من جراء هذه الغزوة.

وكان علىّ فى خضم هذه المعلومات المتشابكة أحياناً، المتعارضة غالباً، أن أجد طريقى وأكتب عن أحداث هذه الغزوة ونتائجها غير متأثرة بما يقوله هذا المصدر أو ذاك، واضعة نصب عينى الحقيقة الخالصة. وأرجو أن أكون قد وفقت فى ذلك ما أمكننى. وسأتناول كل فصل من فصول هذا البحث لأبرز ما أمكننى الوصول إليه.

المدخل، وهو أشق فصول البحث بالنسبة لى، فقد تتبعت المصادر كلمة كلمة لعلي أستشف منها ما يعيننى على معرفة مواطن العرب في المغرب منذ الفتح وحتى الغزوة الهلالية، وأعترف أننى كدت أترك جانباً هذا المدخل إذ المعلومات ضئيلة، وحتى ابن خلدون كاد أن يغرر بى عندما قال أن العرب بعد قيام الدولة الفاطمية رجعوا إلي المشرق «ولم يبق لهم فى نواحى المغرب دولة، ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب».

ولكننى على قلة المعلومات التى خرجت بها تمكنت من أن أضع صورة -لا أقول واضحة- وإن كانت كافية لمعرفة مواطن العرب فى المغرب.

أما فى الأندلس فالمعلومات وإن كانت أكثر، إلا أنها كانت أحياناً متعارضة إلى حد كبير. فابن حزم فى الجمهرة، وابن الأبار فى الحلة السيراء، وابن الخطيب فى الإحاطة، والمقري فى نفح الطيب قد اختلفوا فى أسماء القبائل وفى أماكن توطنها، وكان لابد من محاولة التوفيق بين معلومات هذه المصادر جميعها حتى استطعت أن أعطى صورة واضحة لمواطن العرب وقبائلهم فى الأندلس.

أما الفصل الأول، فالمعلومات كثيرة ومتوفرة، فى المصادر والمراجع. ولكنها على كثرتها ووفرتها لم تكن مترابطة. فقد يهتم هذا المصدر بناحية معينة كبطون بنى سليم وبنى هلال، ويتعرض آخر لذكر مواطنهم أو أيامهم فى الجاهلية أو الإسلام، أو فى علاقتهم بالدولة أو بالقبائل المجاورة. وعلى هذا لم يكن من الممكن أن نخرج من أى مصدر إلا بناحية معينة. وقد كان لزماً علىّ أن أجمع هذه المعلومات المتناثرة وأعالجها لأجعل منها موضوعاً واحداً مترابطاً يتعرف منه القارئ على كل ما يتعلق بهاتين القبيلتين من حيث مواطنها وبطونها وأيامها وصلتها بقريش خاصة، وموقفها من الإسلام واشتراكهم فى الفتوحات، وعلاقتهم بالسلطة المركزية حتى قيام الفاطميين. فكان عملى إبرازاً لصورة متكاملة يخرج منها القارئ بمعلومات واضحة عن هاتين القبيلتين الكبيرتين.

بالنسبة للنقطة الثانية من هذا الفصل وهى عن علاقتهم بالقرامطة، فلا أدعى أننى جئت فيها بجديد، لأن القرامطة موضوع عولج بتوسع فى كثير من المصادر والمراجع. ولكن كان اهتمامى منصباً على إبراز علاقة بنى سليم وبنى هلال بالقرامطة وبالفاطميين.

فى حين عنيت فى النقطة الثالثة والتى تتعلق بهجرة بنى هلال وبنى سليم بتشجيع من الفاطميين إلى مصر، بأن أخرج بمعلومات وافية عن أماكن توطن هذه القبائل، وأن أحاول التوفيق بين المصادر المختلفة وخاصة ابن خلدون فى تاريخه والمقريزى فى كتابيه البيان والاعراب، واتعاظ الحنفا، والقلقشندى فى نهاية الأرب. ولقد كان التعارض بينهما واضحاً، ولكنى تمكنت من التوفيق بين معلوماتها واستعطت في موضوعية أن أبين أماكن تجمع هذه القبائل فى مصر.

يعتبر الفصل الثانى من أهم فصول الرسالة، بل هو صميمها. وقد عالجت فى هذا الفصل ثلاث نقاط. النقطة الأولى عن علاقة الدولة الزيرية بالفاطميين إلى أن خرج المعز بن باديس عن طاعتهم. والجديد فى هذه النقطة ليس فى تتبع علاقة ملوك بنى زيري بالفاطميين فقط، بل أننى أعتقد أن الأهم هو فى إبراز علاقة المعز بالفاطميين، فرغم أن هذه العلاقة هى السبب الأول فى الغزوة الهلالية، إلا أن المصادر اختلفت اختلافاً كبيراً فى تحديد التواريخ وفى عرض المعلومات. وأول هذا الاختلاف هو فى حقيقة الخطوة الأولى للمعز فى الخروج على الفاطميين وإيقاعه بالشيعة، فرغم أن المصادر اتفقت على أن ذلك كان سنة ٤٠٧هـ إلا أنها اختلفت فى تفاصيل الحدث. ولما كان عسيراً أن أخرج برأى أرجحه فقد اكتفيت بذر ما أورده ابن الأثير وابن عذاري وابن خلدون وابن أبى دينار.

لكننى بدأت أتتبع فى موضوعية تطور علاقة المعز بالفاطميين، إذ أن المصادر تفاوتت فى ذلك بصورة كبيرة، كما اختلفت فى التواريخ اختلافاً واضحاً. وأمكننى أن أقدم عملاً متكاملاً ليس فيه ثغرات حتى وصلت إلي نهاية المطاف ووصول المعز إلى نقطة اللاعودة فى علاقته مع الفاطميين فى مصر.

أما النقطة الثانية وتتعلق بأحداث الغزوة الهلالية نفسها، فنرى منذ أول لحظة اختلاف المصادر اختلافاً كبيراً سواء فى تاريخ بدء هذه الغزوة أو فى القبائل المشتركة فيها، إلى جانب اختلافها فى تواريخ وتتابع الأحداث بعد ذلك.

وقد يرجع هذا التفاوت الكبير، فى أن الأحداث استغرقت وقتاً طويلاً. وكان هدفى فى أن أرجح أولاً تاريخاً مقبولاً لبداية هذه الغزوة، كما أمكننى باستقراء المصادر أن أحدد القبائل المشتركة فيها وأخيراً تتبعت سير الأحداث حتى نهايتها بطريقة منطقية معقولة. وعلى ذلك فإن هذا الفصل بالصورة التى

اخرجته فيها، جديد سواء من ناحية المعالجة وإبراز الأحداث في إطار واضح منسق والخروج برأى سليم. كما أننى عالجت مواضيع أغفلها المؤلفون، منها مثلاً سياسة المعز الرامية للإيقاع بين العرب لولا مبادرة الفاطميين إلى رأب الصدع وإرسال أحد كبار رجال دولتهم للتوفيق بينهم.

وعن مواطن العرب في المغرب، فيعتبر من أكثر نقاط البحث تعقيداً. فهذه القبائل لم تستقر على حال بل كانت دائمة التنقل يدفع بعضها بعضاً، أو أجبرت على تغيير أماكنها تحت تأثير قوى أكبر. وإذا كان ابن خلدون في الجزء السادس قد أوفى هذا الموضوع حقه من الدراسة، وأعطى معلومات وافية عن تنقل هذه القبائل هنا وهناك، إلا أن القارئ في خضم المعلومات الكثيرة المتزاحمة التي أوردها يكاد يأخذه الدوار حتى لا يحسن تتبع ما أورده ابن خلدون، فيكاد لا يخرج بشيء واضح. وإلى جانب ابن خلدون فهناك مصادر أخرى كالتجاني، والمقريزى والقلقشندى وابن عذارى والمراكشي كل أدلى بدلوه. وأصبح من الضرورى أن يحاول الإنسان الخروج بمعلومات متكاملة عن مواطن هذه القبائل، ليس في الفترة الأولى التي كان التحرك فيها سريعاً ومتلاحقاً، ولكن في الفترة المتأخرة وعلى وجه الخصوص منذ القرن السابع وحتى القرن الثامن وهى الفترة التي كانت هذه القبائل قد جنحت فيها إلى حياة الاستقرار إلى حد ما. ولكنني مع ذلك لم أغفل عن ذكر تحركات هذه القبائل في الفترات الأولي لأوضح تغيير أماكنها المستمر.

والفصل الثالث الخاص بعلاقات العرب بدول المغرب، له أهميته الكبيرة، لذلك أبرزت هذه العلاقات بصورة جديدة فابن خلدون وإن كان قد عالج ذلك في الجزئين السادس والسابع، إلا أنه من العسير على القارئ أن يخرج بمعلومات محددة، فابن خلدون عالج القضية خلال معالجته لتاريخ القبائل العربية وبطونها المختلفة وكذلك عند تاريخه لقبائل وبطون البربر المختلفة أيضاً أو عندحديثه عن دول المغرب. وهو أمر كما قلت عسير أن يتتبعه الإنسان.

وقد حرصت على أن أعالج هذه النقطة وأحدد علاقة العرب بكل دولة من دول المغرب على حدة مستعينة بابن خلدون وغيره من المصادر. فجاء الموضوع مترابطاً متكاملاً دون استطراد ممل أو تفريط مخل. كما أبرزت أن علاقة هذه الدول بالعرب كانت تتحكم فيها مصلحة الدولة دون نظر لاستقرار المغرب

أو مصلحة شعوبه، كما كانت تتحكم فيها رغبة العرب فى تحقيق مصالحها الذاتية كذلك، فعانى المغرب من جراء هذه المصالح المتضاربة المتعارضة.

الفصل الرابع فى هذا البحث هو العمل الجدي تماماً والذى لم يوفه المؤرخون فيما عدا إشارات سريعة فى ثنايا مؤلفاتهم، اللهم إلا تركيزهم على أثر العرب المدمر على المغرب، وهو قول مبالغ فيه تعرضت لمعالجته كما سأذكر فى حينه.

تناولت فى أول هذا الفصل الأثر السياسى، وقد عالجت فيه الأثر المبكر لغزو العرب، ثم الأثر الذى استمر بعد ذلك باستمرار وجودهم فى المغرب. فأوضحت أولاً أثر هذه الغزوة على سياسة الدولة الزيرية من حيث عودة علاقتها بمصر واعترافها بالخلافة الفاطمية وهو ما أغفله الكثيرون. ثم بينت أثر وجود العرب واستيلائهم على الكثير من أملاك بنى باديس مما دفع هؤلاء إلى الاتجاه إلى البحر ليكون مجالاً جديداً لنشاطهم، مما أدى إلى احتكاكهم بالفرنجة والنورمان وقيام هؤلاء بالهجمات المضادة واحتلال بعض أجزاء شمال أفريقية.

وعنيت أن أوضح أن سياسة الدولتين الصنهاجيتين بنى زيري وبنى حماد، واستعانتهم بالعرب ضد بعضهم البعض أدى فى نهاية المطاف إلى انهيار الدولتين معاً. كما بينت عدم الاستقرار السياسى فى المغرب طوال القرون التالية، وأوضحت أن دول المغرب وكلها دول بربرية كانت العامل الرئيسى فى عدم الاستقرار هذا، نتيجة الاستعانة بالعرب ضد بعضهم البعض وأن العرب كانوا أداة تحركها مطامع هذه الدول، ولم أغفل أن العرب بدورهم كانت لهم مصالحهم الذاتية التى تتواءم وعدم الاستقرار السياسى بالمغرب فحرصوا على ذلك أشد الحرص. وخرجت من بحثى بقناعة فى أن ما تعرض له المغرب من قلاقل واضطرابات سياسية، وإن شارك فيه العرب بنصيب، إلا أن مسئولية دولة تفوق مسئولية العرب فى ذلك.

عن الأثر الاقتصادى، نرى المؤلفات العربية القديمة منها والحديثة، تكاد تتفق أو تجمع على مسئولية العرب فيما لحق المغرب من تدمير، وفى المبالغة فى تصوير ذلك.

وربما كان ابن خلدون أشد المؤلفين تحاملاً على العرب حتى أنه أفرد فصلاً خاصاً فى مقدمته تحت عنوان «فصل أن العرب إذا تغلبوا على أوطان

أسرع إليها الخراب» ويرجع ذلك فى رأيه أن العرب قوم استحكم فيهم الوحشية حتى صار عندهم خلقاً وطبعاً، وانهم لا يدينون لسلطان ولا يخضعون لنظام. فيقول «والسبب فى ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم، فصار لهم خلقاً وجبلة، وكان عندهم ملذوذاً لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة. وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له. فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومناف له... فطبيعتهم انتهاب ما فى أيدى الناس، وأن رزقهم فى ظلال رماحهم وليس عندهم فى أخذ أموال الناس حد ينتهون إليه». ثم يضرب المثل على ما يقول ببنى هلال وبنى سليم فيذكر، «وأفريقية والمغرب لما جاز إليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المئة الخامسة وتمرسوا بها الثلاثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خراباً كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومى كله عمراناً».

وقد انتهز المستشرقون هذه الفرصة واتخذوا من هذه الاتهامات ذريعة لكى يحملوا العرب منذ الفتح، وليس عرب بنى هلال فقط، مسئولية ما واجهه المغرب من أزمات أو كوارث، وأرجعوا ذلك إلى سوء سياسة العرب.

وإذا كان الميلى قد ضايقه اتهامات الكتّاب ومبالغتهم فى وصف ما ألحقه العرب بالمغرب من خراب، إلا أنه اكتفى بأن يظهر أسفه دون أن يفند أقوالهم. ولكنى عالجت ذلك بموضوعية إذ وجدت فى ثنايا المصادر العربية ما يؤكد أن صورة المغرب فى هذه الفترة تخالف صورة التدمير الذى ألصقوا تبعته بالعرب. كما أن تاريخ المغرب أيضاً فى هذه الفترة كان مليئاً بالأحداث كثورات قراقوش وبنى غانية التى استمرت حوالى نصف القرن، والصراع العنيف بين دول المغرب والحروب المستمرة بينها. كل ذلك خرجت منه بما يؤكد أنه لا يمكن تحميل الهلاليين كل المسئولية، وانه إذا كان المغرب قد لحق به الخراب الاقتصادى فإن ذلك يرجع إلى حد كبير إلى نتائج الثورات التى كان المغرب مسرحاً لها ونتيجة الصراعات بين دولة وقد أوضحت ذلك بالقرائن التى استقيتها من نفس المصادر التى أتهمت العرب.

وعلى ذلك فإننى أعتقد أن ما أوردته فى هذه النقطة بالذات هو أول عمل يحاول أن يظهر الأسباب الحقيقية للخراب الاقتصادى الذى عاناه المغرب. وإن ما قمت به ليس تعصباً ولكن توخياً للحقيقة التاريخية المجردة.

أما الأثر الاجتماعى، فإذا كان ابن خلدون قد عنى بأبرازه، كما أبرزته المراجع الحديثة وخاصة دائرة المعارف الاسلامية، إلا أن ذلك جاء فى معرض تناولها لقبائل العرب والبربر كما فعل ابن خلدون، أو أثناء معالجة مواضيع مختلفة كما فى دائرة المعارف. وهذا بالطبع يستدعى لمن يريد أن يلم بهذا الموضوع الرجوع إلى أجزاء كاملة من تاريخ ابن خلدون أو لمواضيع متناثرة فى دائرة المعارف.

وقد حرصت أن أجمع معلومات هذه المصادر والمراجع وأبلورها فى عمل متكامل مترابط فى حيز ضيق إلى حد ما حتى تكون الصورة متكاملة، وفى الوقت نفسه معطية القارئ فرصة الرجوع إلى مصادر المعلومات الأصلية إذا أراد. وقد بينت أثر العرب الكبير فى التحول الاجتماعى الذى تعرض له المغرب حتى اصبح عربياً قلباً وقالباً.

وكما عالجت الأثر الاجتماعى كانت طريقتى فى معالجتى الأثر اللغوى والأدبى، إذ استطعت أن أبرز أثر العرب فى اللغة وكيف أن العربية أصبحت لغة البربر أو كما يقول ابن خلدون «نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب». كما أن لهجات البربر أنفسهم قد دخلتها الكثير من الكلمات العربية.

أما أثر العرب فى الأدب فلازال باقياً حتى اليوم. وقد استعنت بما أوردته المؤلفات الحديثة عن الأدب فى تونس وليبيا وغيرها من أقطار المغرب. وكيف أن شعر بنى هلال وبنى سليم لازال يؤثر فى الشعر الحديث فى هذه الأقطار، حتى غلب عليه الطابع البدوى. وكيف أن هذا الشعر لازال يحتفظ بصورته الشعرية المعروفة فى الشعر العربى القديم وخاصة حيث يقطن أحفاد الهلاليين والسلميين.

إلى جانب ذلك تناولت سيرة بنى هلال والمعروف بتغريبة بنى هلال وحاولت تلمس بداية ظهورها مستعينة بما أورده ابن خلدون فى مقدمته أو فى الجزء السادس. وبينت أثر هذه السيرة فى الأدب الشعبى فى كثير من الأقطار العربية وكيف أن هذا الأثر لازال باقياً حتى اليوم.

من ذلك استطيع أن أقول أن الفصل الرابع جديد كل الجدة سواء فى معلوماته أو فى طريقة معالجته أو فى ضم المعارف المتناثرة فى المصادر والمراجع فى حيز واحد.

وملاحق البحث ليست أقل أهمية من فصول البحث نفسه. فكثير من هذه الملاحق أبرز معلومات أو حقائق لها أهميتها الكبيرة. فقد رأيت أن البحث أحتشد بذكر بطون بنى هلال وبنى سليم سواء قبل الغزوة أو بعدها. كما أن القارئ للمبحث الخاص لمواطن هذه القبائل فى المغرب قد يحتاج إلى تركيز أكثر، فأفردت جداول خاصة عن هذه البطون والقبائل قبل الغزوة وبعدها، تسهل للقارئ تتبع هذه البطون وتكاثرها فى المغرب.

أما الملحق الخاص بالشعر فهو ما أفخر به حقيقة، فقد جمعت فيه كل الأشعار المتعلقة ببنى هلال وبنى سليم من مصادر ومراجع مختلفة، قد لا يتيسر لكثير من الوصول إليها. وقد هدفت من ذلك أن أجمع هذه الأشعار المبعثرة هنا وهناك فى مجموعة واحدة يسهل الرجوع إليها، مع ذكر مصادرها حتى يمكن لمن يريد العودة إلى الأصل.

كما أنني حرصت عند إيرادى كل قصيدة أن أبين الحدث التاريخى الذى تدور حوله أو الخلفية التاريخية لها، وهو ما لم تقم به المصادر التى نقلت عنها هذه الأشعار. فقد عنيت بالتعريف بالشاعر والغرض الذي قيل فيه الشعر، والحدث التاريخى الذى دفع الشاعر إلى قول قصيدته هذه، وفى التعريف بالمدوح أو المقصود بهذا الشعر سواء كان عتاباً أو هجاء أو فخراً. وعلى سبيل المثال لا الحصر القصيدة التى أورها ابن خلدون على لسان الشريف ابن هاشم فقد رجعت إلى أكثر من مصدر حتى يمكن التعريف بهذا الشريف الذى حكم مكة والأحداث التى حدثت فى عهده، ومعالجة قضية انجابه لولد اسمه محمد قيل أنه تولى بعده. ولكنى أثبت أنه لم يكن له من الولد غير بنت تزوجها أحد أمراء مكة وأن محمدا هذا ليس له وجود، وأن أمر مكة صار بعد هذا الشريف إلى عبد له.

وعلى ذلك فإن هذا الملحق يهم المؤرخ كما يهم رجل الأدب على حد سواء، وهو عمل جديد فى بابه.

وبعد هذا هو بحثي الذى أقدمه بين يدى القارئ، وما أمكننى أن أبرز فيه من حقائق، أو أحدد من معالم. ومع ذلك فإننى أجد نفسى استعيد قول الأصفهانى «أنى رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا فى يومه إلا قال فى غده: لو غيرت هذا لكان أحسن، ولو زدت كذا لكان يستحسن ولو قدمت هذا لكان أفضل، ولو تركت هذا لكان أجمل».

والحق أقول أننى ما من مرة قرأت فيها ما كتبت إلا وتراءى لى قول الأصفهانى. وهذا دليل على أن الإنسان بطبعه ينشد الكمال دائماً. ولكنه مهما تطاولت به الأيام فسيقصر عن بلوغه فالكمال لله وحده.

وحسبى أننى بذلت جهدى وقدمت ما فى وسعى

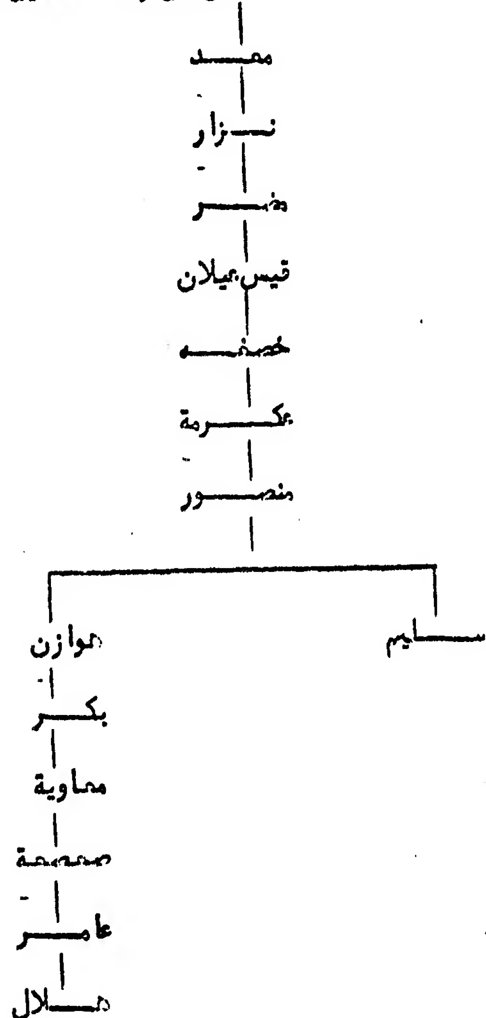
سائلة الله التوفيق والسداد

والحمد لله أولاً وآخراً

الجداول والملاحق

الجدول الأول :ـ

صلة القرابة بين بني سليم وبني هلال



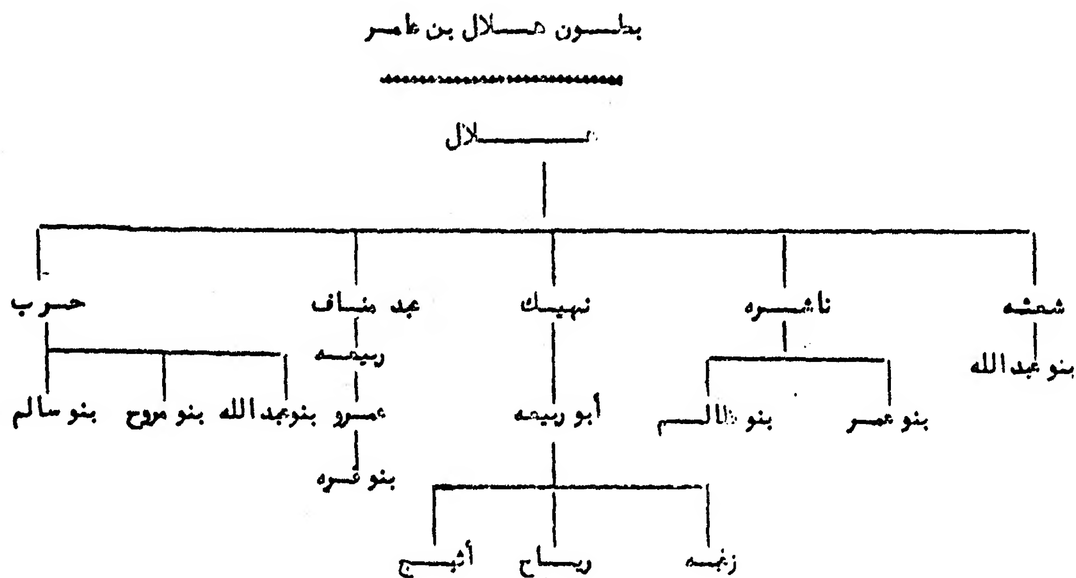
الجدول الثاني :ـ

بطون سليم بن منصور

- سليم
  - بهثة
    - الحارث
      - رفاعة
        - عبس
      - حيي
        - الحارث
          - رفاعة
            - بنو ذكوان
      - ظفر
      - كعب
    - ثعلبة
      - ذكوان
        - فالج
          - بنو عوف
      - مالك
        - ذباب
          - بنو سليمان
    - عوف
    - معاوية
    - امرؤ القيس
      - بهثة
        - بنو عوف
      - خفاف
        - عوف
          - بنو الازرق
        - نصر
          - زغب
        - بنو عصية
        - بنو عميرة
        - مالك
          - عوف
            - مالك
              - وعل

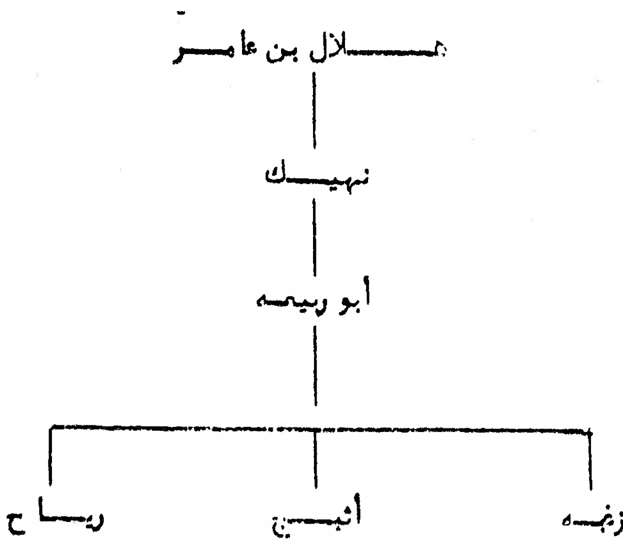
الجدول الثالث :ـ

بطون هلال بن عامر



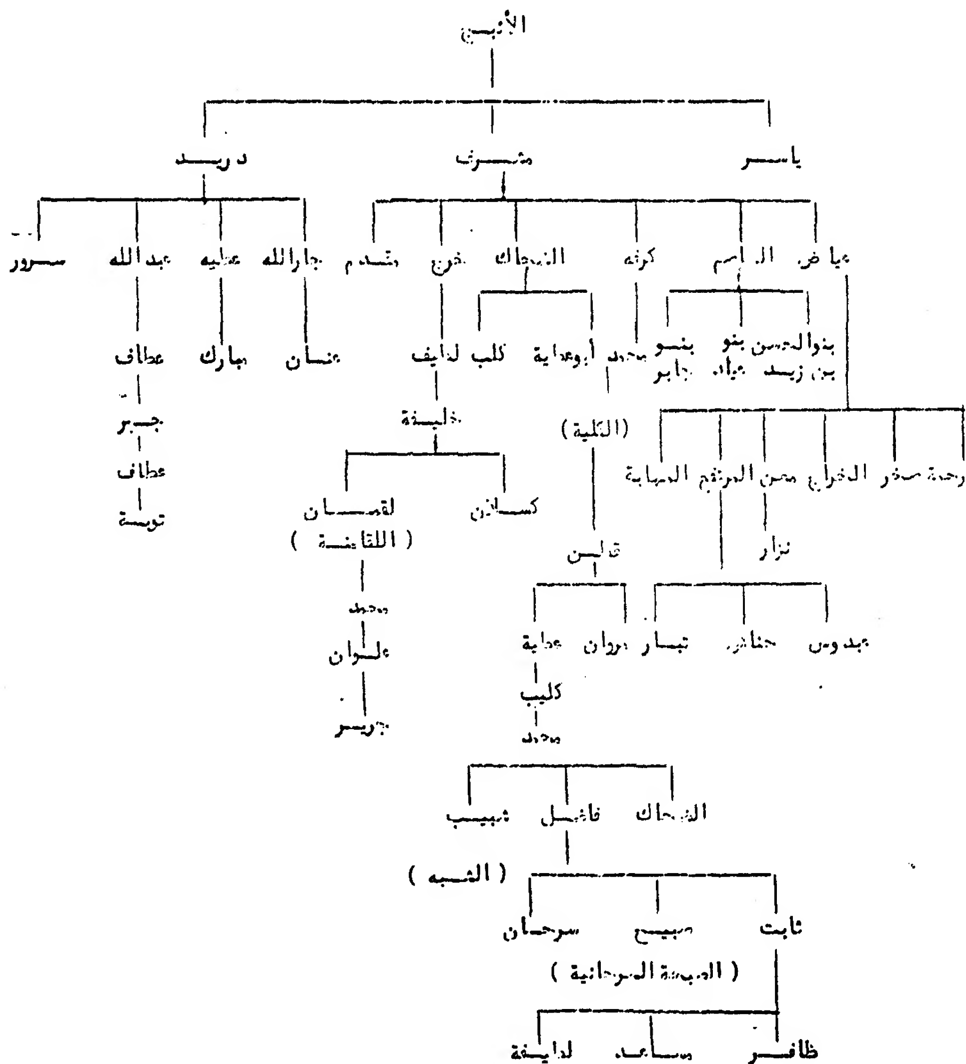
الجـــدول الرابـــــع :ــ

" القبائل الهلاليـــة عند غزوها أفريقيـــة "



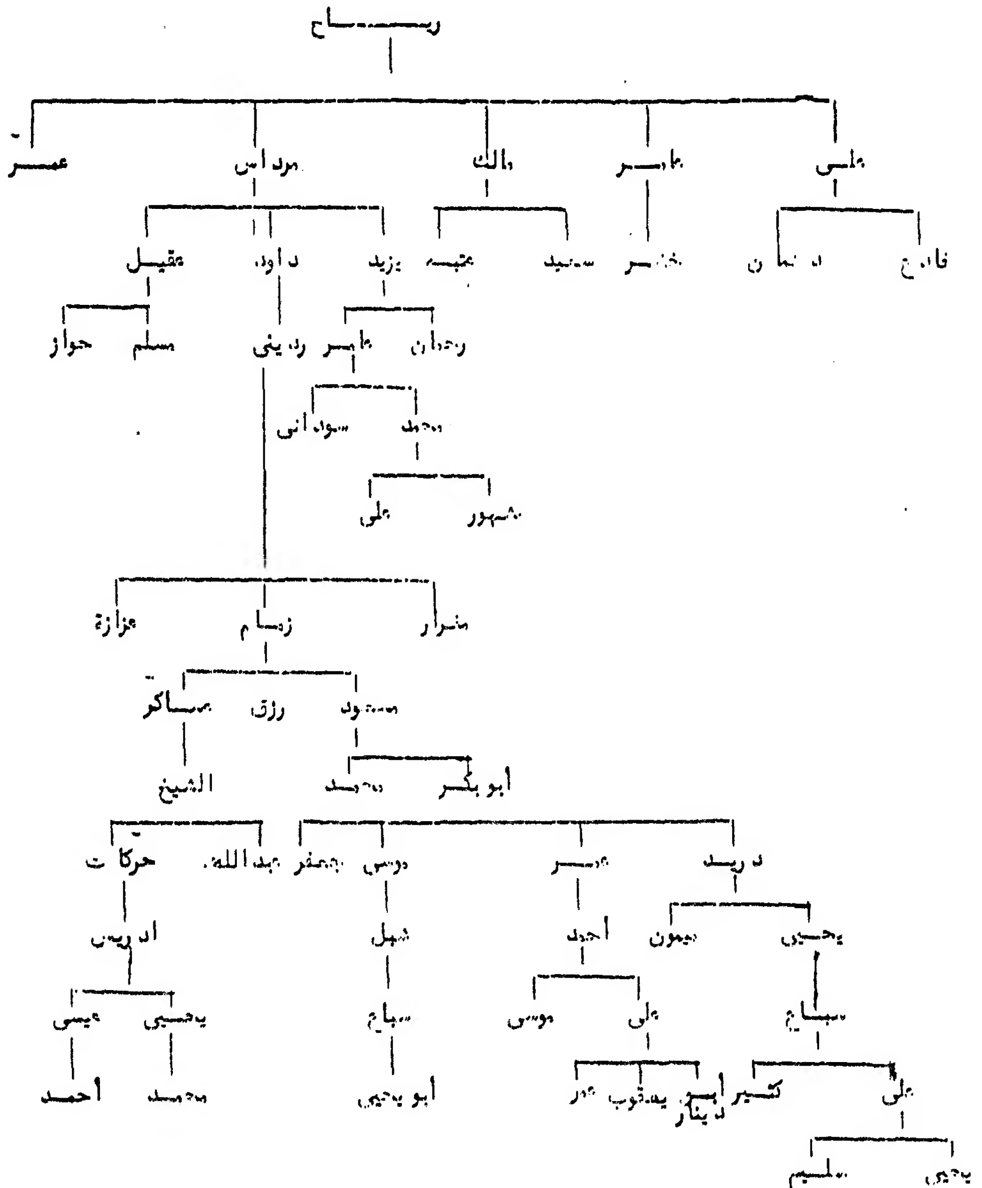
الجدول الخامس :ـ

بطون الأثبج من بني هلال حتى زمن ابن خلدون



الجدول السادس :-

بطون رياح من بني هلال في المغرب حتى زمن ابن خلدون



الجدول السابع

بطون زغبة من بني هلال في المغرب حتى زمن ابن خلدون

زغبة

عكرمة - عروة - حصين - مالك - عامر - يزيد

يزيد: مهدي - الخشنة - المرابعة - بنو موسى - بنو كرز - حيان - واب

مهدي - عبد الله - محمد - سعيد - عبد الله - عبد القوي - المك - محمد

محمد: رزق - بنو منصور

رزق: بنو ماض - بنو وهل

عامر: بنو يعقوب - بنو حميد - بنو شافع

بنو حميد: بنو عبيد - بنو شاوة - بنو مارن

بنو عبيد: المحارز - بنو يعفار - بنو عقيل

عروة: خميس - النضر

خميس: يقظان - قرة - عبد الله

قرة: بنو قاتل

حصين: خراش - جندل

خراش: السابعة - أولاد مسعود

جندل: أولاد سعد

مالك: سويد - عامر

النضر: المحارز - أولاد سلطان - الخاصة - أولاد خليفة - شريحة

سويد - ذوي زيان

ذوي زيان: دياب - شمس - مجاهد

مجاهد: عيسى - شافع - بنو سليمان - ثور

الدياليم - الحساسنة - ...

بنو زيادة - أولاد نايلة - بنو نوال - السكارنة

ثور: بنو كامل - بنو رحمة - حمدان

الجدول الثامن :

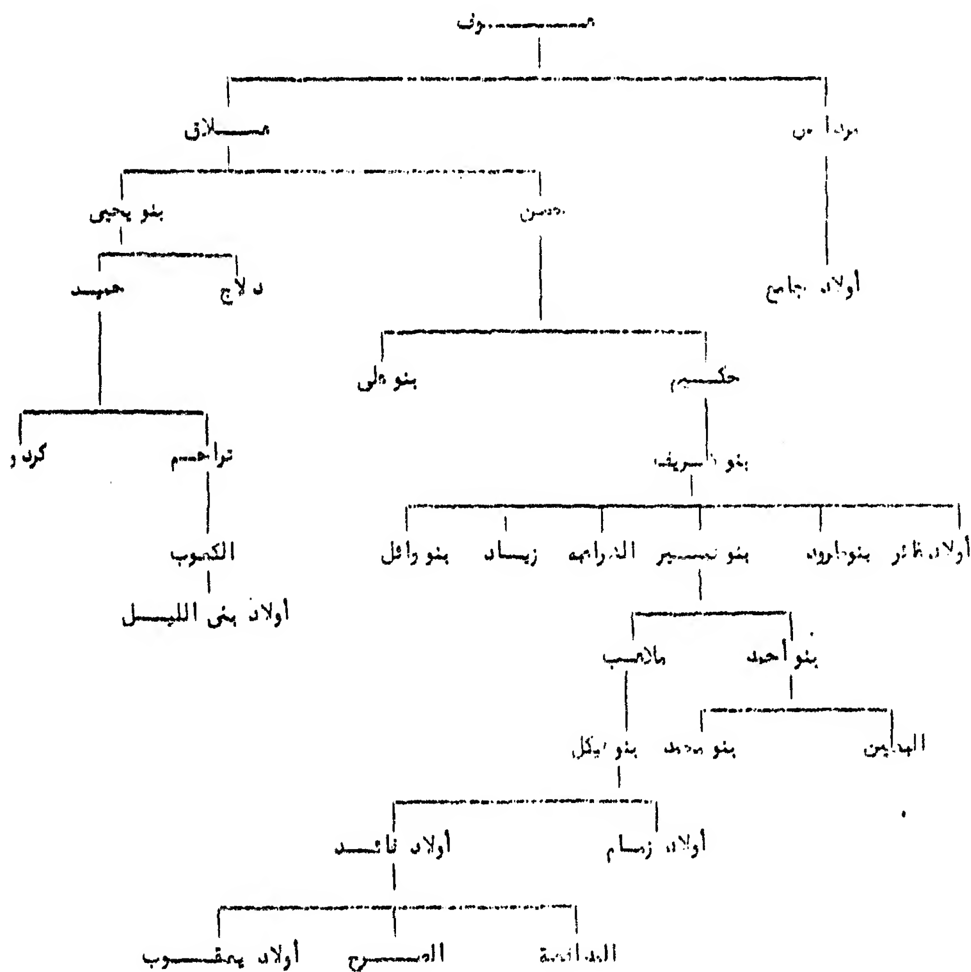
بطون ذباب من بني سليم في المغرب حتى زمن ابن خلدون

ذباب

- زيان
- بنو زيد
- بنو حمدان
- سباك
- لبيد
  - الموالك
  - الراعية
  - الجبلة
  - الموالم
  - الملاوية
  - الصبوت
  - الحوتة
  - الصرابرات
  - الحزازير
  - الزياد
  - الجرانات
  - أولاد سلام
  - أولاد مقدم
    - أولاد التركية
    - أولاد تائد
  - أولاد سليمان
  - النوالة
  - المبركات
  - النبيلة
  - البحرة
  - الندوة
  - البلابين
  - بنو قاساب
  - البواسنة
  - الحدادوه
  - المدروع
- بنو وشاح
- بنو حميد
- بنو حمز
- محارب

الجـــدول التاســـع :ـ

بطون عوف من بني سليم في المغرب حتى زمن ابن خلدون



الجـــدول العاشـــر :ـ

بطون دباب من بني سليم في المغرب حتى زمن ابن خلدون

دبـــــاب

بنو أحمد | أولاد وشــاح | أولاد ســنان | رافـــع | الصهب | الحمارنــه | الخرجه | الأصابعه

(الوشــــاحيـون): المحاميد | الجـواري | الجواوبه | النعور

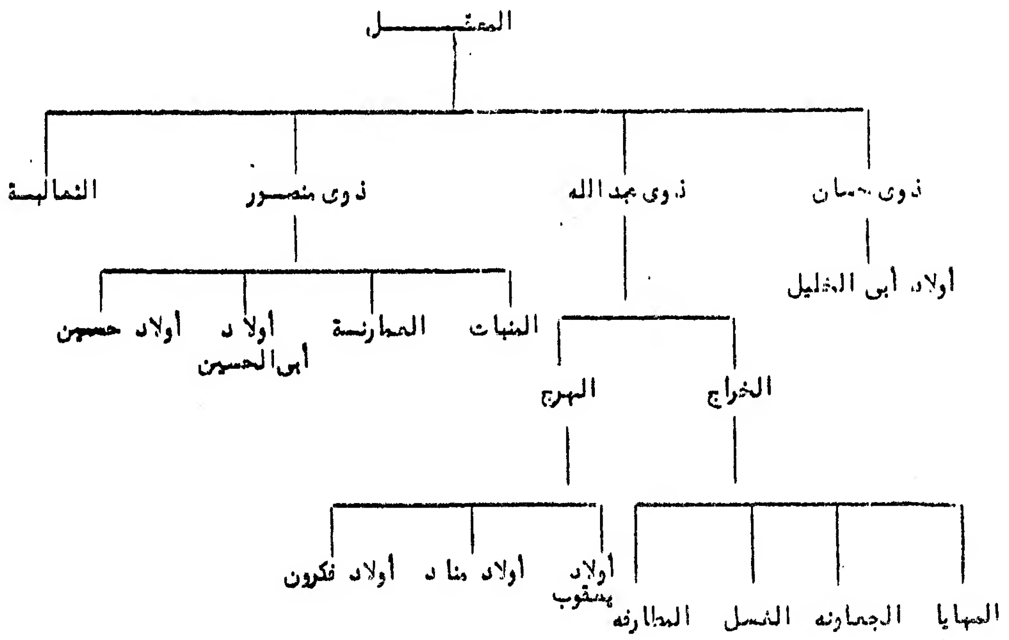
رافـــع ← نائـــل ← جابـــر ← عامـــر ← النوائـــل



يلحق عليهم بنو يزيـــد
على سبيل الزيادة وليس انتسابا لشخـــص
اســـــمه يزيـــــد

الجدول الحادى عشر :ـ

(١)
المعقل أحلاف بني هلال بالمغرب حتى زمن ابن خلدون



(١) يرى ابن خلدون أنهم من عرب اليمن .

الجدول الثانى عشر:

بنو زيرى الصنهاجيون

الأمير	الولاية
يوسف بلكين بن زيرى	٣٦٢هـ
منصور بن يوسف	٣٧٣هـ
باديس بن منصور	٣٨٧هـ
المعز بن باديس	٤٠٦هـ
تميم بن المعز	٤٥٣هـ (١)
يحيى بن تميم	٥٠١هـ
على بن يحيى	٥٠٩هـ
الحسن بن على	٥١٥-٥٤٣هـ(٢)

(١) هناك خلاف فى تاريخ وفاة بن باديس أنظر الفصل الثانى ص ٨٨.
(٢) سقطت الدولة بسقوط المهدية فى يد روجر النورماندى ملك صقلية سنة ٥٤٣هـ حتى استردها الموحدون سنة ٥٥٤هـ.

الجدول الثالث عشر:

بنو حماد الصنهاجيون

الأمير	الولاية
حماد بلكين بن زيرى	٣٩٨هـ(١)
القائد بن حماد	٤١٩هـ
محسن بن القائد	٤٤٦هـ
بلكين بن محمد بن حماد	٤٤٧هـ
الناصر بن علناس بن حماد	٤٥٤هـ
المنصور بن الناصر	٤٨١هـ
باديس بن المنصور	٤٩٨هـ
العزيز بن المنصور	٤٩٨هـ
يحيى بن العزيز	٥١٥هـ
سقوط الدولة فى يد الموحدين	٥٤٧هـ

(١) اخترنا ذلك التاريخ لأن فيه اختط حماد قلعة بنى حماد، الذى يعتبر بناؤها بداية مرحلة جديدة هى استقلال دولة بنى حماد عن دولة بنى زيرى.

الجدول الرابع عشر:

خلافة الموحدين

الأمير	الولاية
عبد المؤمن بن على	٥٢٤هـ
ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن	٥٥٨هـ
المنصور أبو يوسف يعقوب بن يوسف	٥٨٠هـ
الناصر محمد بن يعقوب	٥٩٥هـ
المنتصر يوسف بن محمد	٦١٠هـ
عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن	٦٢٠هـ
العادل أبو محمد عبد الله بن يعقوب المنصور	٦٢١هـ
المعتصم يحيى بن الناصر	٦٢٤هـ(١)

(١) بدأ عصر الاضطراب فى خلافة الموحدين، وبدأ ظهور الدولة الحفصية فى أفريقية لذلك نكتفى بذكر هؤلاء الخلفاء من الموحدين.

الجدول الخامس عشر :

بنو حفص فى افريقية
حتى منتصف القرن الثامن الهجرى

الأمير	الولاية
ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن ابى حفص	٦٢٥هـ
ابو عبد الله محمد بن ابى زكريا المستنصر	٦٤٧هـ
ابو زكريا يحيى بن محمد الواثق	٦٧٥هـ
ابو اسحق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد	٦٧٨هـ
عمر بن يحيى بن عبد الواحد	٦٨٣هـ(١)
ابو عصيدة محمد الثانى بن الواثق	٦٩٤هـ
خالد بن يحيى بن إبراهيم	٧٠٩هـ
زكريا بن احمد بن اللحيانى	٧١١هـ
أبو ضربه محمد بن زكريا بن أحمد	٧١٧هـ
ابو يحيى ابو بكر بن يحيى بن إبراهيم	٧١٨هـ
عمر بن أبى بكر بن يحيى	٧٤٧هـ
الفضل بن ابى يحيى ابى بكر	٧٥٠هـ(٢)
ابو اسحق إبراهيم بن ابى يحيى ابى بكر	٧٥١هـ(٣)

(١) كان هناك فترة اضطراب بين سنتى ٦٨١ و ٦٨٣ هـ لظهور الدعى. انظر الفصل الثالث، ص ١٣٦.

(٢) فى الفترة من ٧٤٨-٧٥٠ هـ استولى أبو الحسن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المرينى على تونس، فكانت فترة انقطاع للدولة الحفصية، إلى أن عادت سنة ٧٥٠هـ بطرد أبى الحسن المرينى وعودة الفضل.

(٣) أكتفينا فى ذكر خلفاء الحفصيين حتى أبى اسحاق. علماً أن الدولة الحفصية ظلت حتى سنة ٩٨١هـ.

الجدول السادس عشر:

بنو مرين فى المغرب الأقصى
حتى منتصف القرن الثامن الهجرى

الولاية	الأمير
٦٥٧هـ	يعقوب بن عبد الحق
٦٨٥هـ	يوسف بن يعقوب
٧٠٦هـ	عامر بن عبد الله بن يوسف
٧٠٨هـ	سليمان بن عبد الله بن يوسف
٧١٠هـ	عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
٧٣١هـ	أبو الحسن على بن عثمان
٧٤٩هـ	أبو عنان فارس بن على

الجدول السابع عشر:

ملوك بني زيان حتى نهاية القرن الثامن الهجري

الأمير	الولاية
يغمراسن بن زيان	٦٣٣هـ
أبو سعيد عثمان الأول بن يغمراسن	٦٨١هـ
أبو زيان محمد الأول بن عثمان	٧٠٣هـ
أبو حمو موسى الأول بن عثمان	٧٠٧هـ
أبو تاشفين عبد الرحمن الأول بن موسى	٧١٨هـ
استيلاء بني مرين الأول على تلمسان	٧٢٧هـ
أبو سعيد عثمان الثاني بن عبد الرحمن	٧٤٩هـ
الاستيلاء الثاني لبني مرين	٧٥٣هـ(١)
أبو حمو موسى الثاني بن يوسف عبد الرحمن	٧٦٠هـ
أبو تاشفين عبد الرحمن الثاني بن موسى	٧٩١هـ
أبو ثابت بن عبد الرحمن بن موسى	٧٩٥هـ
أبو الحجاج يوسف بن موسى	٧٩٥هـ
أبو زيان بن موسى	٧٩٦-٨٠١هـ

(١) في سنة ٧٢٧هـ دخل بنو مرين تلمسان حتى استردها عثمان الثاني سنة ٧٤٩هـ ثم استولى عليها أبو عنان فارس المريني مرة أخرى سنة ٧٥٣هـ حتى استردها أبو حمو موسى الثاني سنة ٧٦٠هـ.

ملحـــق :

سجل (١)

صادر من المستنصر الفاطمي إلى عليّ بن محمد الصليحي

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

من عبد الله ووليه: معد أبي تميم، الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين. إلى سيف الإمام، المظفر في الدين، نظام المؤمنين، عليّ بن محمد الصليحي سلام عليك. فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلى على جده محمد، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين، ويسلم تسليماً.

اما بعد: فالحمد لله الذي أرسل سماء جوده على ساحات أمير المؤمنين مدراراً، وجعل فلكها يتضاعف عزة واقباله دوارا، وملائكتها أعوانا لنصره وأنصارا، المنتقم من كل عدو ولد فاجرا كفارا، الهاتك ستره وقد هتك لحرمة الصنيعة عنده استارا، المدير دائرة السؤ عليه أن أتخذ دار البغي على مصطنعه دارا، وسالبة النعمة أن لم يحسن للمنعم بها عليه جوارا، ذلكم الله لا آله غيره الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا.

يحمده أمير المؤمنين الها واحدا قهارا، ويشكر له جزيل نعمه اعلانا واسرارا، ويساله أن يصلي على جده الذي بعثه من بين الأنام مختارا، محمد الداعي الى الحق أعذارا وأنذارا، الواضع بهدايته عن الخلق أغلالا وآصارا، وعلى وصية في أمته السامي منارا، وسيف نبوته الماضي غزارا -عليّ ابن أبي طالب- العالي شرفا ومقدارا، وعلى الأئمة من ذريته الحامين جارا، الزاكين نجارا، الذين جعلهم الله لمساجده عمّارا، وبلطائف هممهم في ملكوت السماء سفارا. وقد كان انتهى اليك من حضرة أمير المؤمنين خبر ابن باديس اللعين في التياث أموره عليه لما أصبح جسم طاعته للدولة لتاثا، وانتكاث مرائر سعادته لما ثبت عهدها، فكان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، وان أمير المؤمنين رماه من كنانة رأيه بنبال أصابت مقاتله، وضربه بنصال بتت مفاصله، وأطلق نحوه من أعنة قبائل الرياحية والزغبية من منعه أن يبل ريقا، وسد لأنفاسه

(١) أنظر ماجد، السجلات المستنصرية، سجل رقم ٥ ص ٤٢ وما بعدها.

طريقا، ورمى به فى أسر حصار لا يكاد يكون منه طليقا، وملك جميع دياره التى كان بها يذل، ونال منه النيل، الذى هو على وشك بواره باذن الله تعالى يدل، وسير الأمير، أمين الدولة ومكينها -حسن بن على- بوصلهم إلى أعمال أفريقية ليؤلف بين قلوب العرب المقدم ذكرهم على الطاعة تاليفا يذعن له جموعهم، ويمنعهم من أن يتنازعوا فيفشلوا وتذهب ريحهم، ولتكون كلمتهم على استئصال الكفر للنعمة متفقة، وأراؤهم فيما يؤدى إلى كشف الغمة بمكانة موفقه، ولما كان فى هذا الوقت ورد كتاب إلى حضرة أمير المؤمنين يذكر تصبحه فى وجهته بوجه الأقبال، وفوزه فى نهضته ببلوغ الآمال، وأنه لم يذر غلا فى الصدور إلا نزعه، ولا شملا من صلاح الجمهور إلا جمعه، وأن أصناف العرب دانت له دين الأمم لربها، ودارت على قضايا أمره ونهيه دور الرحى على قطبها، سار فيهم بجيش يغص بهم البر، وجحافل كأنهم فى صفحات البر والبحر، وبنود أمير المؤمنين ظللت على رأسه من النصر غماما وطلعت أعلامه أرته من طوالع السعد أعلاما، حتى أحدقوا بحصن الخائن الذى لا يكاد من بأس الله يحصنه، ولا من أخذه الأليم يؤمنه، فأطل عليهم اطلال من يجد فى قلبه من وقع سيف المنايا رجيفا، ومن وقوع سهامها حفيفا، وخرج إليه ابن بلكين صهره على أخته، وابن يلمو الذى هو مقدم قومه، وابن حماد الذى هو أخو صاحب قلعة كتامه مستأمنين، وبعفو أمير المؤمنين لائذين، وعلى بابه ترسلا فى مثله عن صنهاجة وافدين، ثم فتح حصن قابس واقام على منابره الدعوة النبوية، وصرف العين والورق على السكة المستنصرية، وولى عليه ابن يلمو المذكور، وسار بالبناقين إلى الباب، وأنه لم يبق فى حصون البحر، وضواحى البر، إلا ما ألقى الله إلى أمير المؤمنين مقاليده، ومكن منه أنصاره وعبيده، وأطلع فيه من سعادة النداء بشعاره نجوما، جعلها للشياطين رجوما، وأستصحب من مشايخ تلك الأعمال قوما رغبوا فى الشرف بالهجرة إلى الحضرة، والمشافهة بالشكر والدعاء لما نجاهم الله تعالى منه من الغمرة، وكشف عن وجوههم بأضلال ذلك الخائن من الحيرة، والتماس تدبير أمورهم مما يؤذن بتمام صلاحها بعد أن كساهم الله برحمته رونقا، ونفى عن مشاربهم بحمد الله رنقا، فديارهم بالمسار مشمولة، وعراصهم بالتهانى ماهولة، وهو وارد قريب المسافة وصحبته خلق من الحجيج، يذكر أنهم لا يطأون للبدو والحضر إلا موطئ الطاعة موطئا،

ولا يصادقون إلا مذعنا لهـا ولصفقته(١) معطيـا، وأنه خلف ابن باديس اللعين محصوراً فى مثفاة(٢) من الأرض، محصولا على شفا جرف الأخذ والقبض، قد فغـر الردى له فمه، ولن يبعـد بعون الله أن يلتقـمه، وأميـر المؤمنين يسأل الله جلت عظمته معونته، على شكر نعمـه التى هو عن القيام بواجب أقلها مـحصـور، ولسانه عن الوفاء بأيسـره مقصور ويقول: «الحـمد لله الذى أذهب عن الحزن. إن ربنا لغفور شكور»(٣).

أعلمك أمير المؤمنين نبأ هذه العارفـه الطارفه لتنشره على المنابر، وتذيعه فى البوادى والحواضر، أنشأ الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب فى شهر رمـضان سنة ٤٥٥ خمس وخمسـين وأربعـمائة. والحمد لله وحده، وصلى الله على المصطفى محمد خاتم النبيين، وسـيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين المهـديين وسلم تسليما، وحـسبنا الله ونعم الوكـيل، ونعم المولى، ونعم النصير.

---

(١) صفق يده بالبـيعه، أى وضع يده فى يد الخليـفة، ويريد أن يقول: أن هؤلاء الأشـخاص دانوا بالطاعة للخليفة.

(٢) المثفاة هى المنفى.

(٣) سورة فاطر آية ٣٤.

المصادر والمراجع

أ - المصادر:

(١) ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى):

ت ٦٥٩هـ. «كتاب الحلة السيراء» جزءان، تحقيق دكتور حسين مؤنس. طبع القاهرة ١٩٦٣م.

(٢) ابن الآبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر القضاعى):

«التكملة لكتاب الصلة» تحقيق السيد عزت العطار الحسينى. طبع القاهرة ١٣٧٥هـ.

(٣) ابن أبى دينار (أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم الرعينى القيروانى- المعروف بابن أبى دينار):

من أواخر القرن الحادى عشر الهجرى، «المؤنس فى أخبار أفريقيا وتونس» تحقيق وتعليق محمد شمام، طبع تونس ١٣٨٧هـ.

(٤) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى):

ت ٦٣٠هـ «الكامل فى التاريخ» طبع بيروت ١٩٦٥-١٩٦٦م.

(٥) ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد ابن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى):

«اللباب فى تهذيب الأنساب» ثلاثة أجزاء. طبع بغداد دون تاريخ.

(٦) ابن أياس (محمد بن احمد):

«بدائع الزهور فى وقائع الدهور» طبع القاهرة، ١٣١١هـ.

(٧) ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغرى بردى الأتابكى):

ت ٨٧٤هـ. «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»، الجزء الخامس، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.

(٨) ابن حزم الأندلس (ابو محمد على بن أحمد بن سعيد):

ت ٤٥٦هـ «جمهرة أنساب العرب»، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، طبع القاهرة ١٣٩١هـ.

(٩) ابن الخطيب (الوزير لسان الدين بن الخطيب):

ت ٧٧٦هـ «الإحاطة فى أخبار غرناطة»، المجلد الأول، حققه وقدم له محمد عبد الله عنان، طبع القاهرة ١٩٥٥هـ.

(١٠) ابن الخطيب (الوزير لسان الدين بن الخطيب):

«تاريخ المغرب العربى فى العصر الوسيط» القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام. تحقيق وتعليق د. أحمد مختار العبادى. والأستاذ محمد إبراهيم الكتانى، طبع المغرب ١٩٦٤م.

(١١) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمى المغربى):

ت ٨٠٨هـ «تاريخ ابن خلدون» أجزاء ٧,٦,٤,١، طبع بيروت، دون تاريخ.

(١٢) ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ابن أبى بكر):

ت ٦٨١هـ «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» تحقيق د. إحسان عباس، طبع بيروت ١٣٩٧هـ.

(١٣) ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن):

ت ٣٢١هـ «الاشتقاق»، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، طبع القاهرة ١٣٧٨هـ.

(١٤) ابن سعيد المغربى:

ت ٦٧٣هـ «المغرب فى حلى المغرب» الجزء الثانى، تحقيق د. شوقى ضيف، طبع القاهرة، الطبعة الثانية.

(١٥) ابن عبد البر (ابو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى):

ت ٤٦٣هـ «الانباه على قبائل الرواه»، ملحق مع كتاب القصد والأمم فى التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، طبع القاهرة، ١٣٥٠هـ.

(١٦) ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله ابن عبد الحكم بن اعين القرشى المصرى):

ت ٢٥٧هـ، «فتوح مصر والمغرب»، تحقيق عبد المنعم عامر، طبقع القاهرة، دون تاريخ.

(١٧) ابن عبد الحكم:

«كتاب فتوح مصر واخبارها» طبع ليدن ١٩٢٠م.

(١٨) ابن عذارى المراكشى:

«كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب»، الجزء الأول، تحقيق ج.س. كولان وليفى بروفنسال، طبع بيروت دون تاريخ.

(١٩) ابن العماد الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى):

ت ١٠٨٩هـ، «شذرات الذهب فى أخبار من ذهب» جزء ٣، طبع لبنان، دون تاريخ.

(٢٠) ابن قتيبه (أبو محمد عبد الله بن مسلم):

ت ٢٧٦هـ، «كتاب المعارف»، صححه وعلق عليه محمد اسماعيل عبد الله الصاوى، طبع بيروت، ١٣٩٠هـ.

(٢١) ابن القلانسى (أبو يعلى حمزه):

ت ٥٥٥هـ، «ذيل تاريخ دمشق»، طبع بيروت ١٩٠٨م.

(٢٢) ابن ميسر(محمد بن على بن يوسف بن جلب):

ت ٦٧٧هـ، «أخبار مصر» الجزء الثانى، طبع القاهرة ١٩١٩م.

(٢٣) ابن أبو عبيد البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى):

ت ٤٨٧هـ، «المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب»، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، طبع الجزائر ١٨٥٧م.

(٢٤) أبو محمد الحجارى (وآخرون):

«المغرب فى حلى المغرب» الجزء الأول، تحقيق د. شوقى ضيف، طبع القاهرة، الطبعة الثانية.

(٢٥) الازرقي (ابو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد الأزرقي):

ت ٢٤٧هـ، «أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار»، تحقيق رشدي الصالح ملحس، جزء واحد، طبع مكة ١٩٧٨م.

(٢٦) التجاني (ابو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني):

«رحلة التجاني» قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي ٧٠٦-٧٠٨هـ، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، طبع تونس ١٣٧٨هـ.

(٢٧) الجهشياري (ابو عبد الله محمد بن عبدوس):

ت ٣٣١هـ، «كتاب الوزراء والكتاب»، تحقيق مصطفى السقا (وآخرون)، طبع القاهرة ١٣٥٧هـ.

(٢٨) الدباغ (ابو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي):

ت ٦٩٦هـ، «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان»، الجزء الأول، طبع القاهرة، ١٩٦٨م.

(٢٩) الروزراوري (الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين الملقب ظهير الدين):

ت ٤٨٨هـ، «ذيل تجارب الأمم»، أعتني بالنسخ والتصحيح هـ.ف. أمدروز، طبع القاهرة ١٩٢٦م.

(٣٠) السمعاني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي):

ت ٥٦٢هـ، «الأنساب»، أعتني بنشره المستشرق د.س. مرجليوث، طبع بغداد ١٩٧٠م.

(٣١) السمهودي (نور الدين علي بن أحمد):

ت ٩١١هـ، «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، أربع أجزاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، طبع بيروت ١٩٧١م.

(٣٢) السيوطي (جلال الدين):

«حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة»، جزءان، طبع مصر، ١٢٩٩هـ.

(٣٣) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري):

ت ٣١٠هـ، «تاريخ الرسل والملوك»، المعروف بتاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبع القاهرة، الجزء الثاني

الطبعة الثانية، الجزء الثالث ١٩٦٢م، الجزء الرابع ١٩٧٠م، الجزء الخامس الطبعة الثانية، الجزء السادس ١٩٦٤م، الجزء السابع ١٩٧٢م، الجزء التاسع الطبعة الثانية.

(٣٤) العبدرى (أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الحيحيى):

«رحلة العبدرى المسماه الرحلة المغربية» بدأها ٢٥ ذى القعدة ٦٨٨هـ، حققه وقدم له وعلق عليه محمد الفاسى، طبع الرباط ١٩٦٨م.

(٣٥) العماد الأصفهانى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد):

ت ٥٩٧هـ، «خريدة القصر وجريدة العصر»، القسم الرابع-الجزء الأول، تحقيق عمر الدسوقى وعلى عبد العظيم، طبع القاهرة ١٩٦٤م.

(٣٦) الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد الحسنى الفاسى المكى):

ت ٨٣٢هـ، «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين»، الجزء الثامن، تحقيق محمود محمد الطناحى، طبع القاهرة ١٣٨٨هـ.

(٣٧) القلقشندى (أبو العباس أحمد):

ت ٨٢١هـ، «نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب»، تحقيق إبراهيم الأبيارى، طبع القاهرة ١٩٥٩م.

(٣٨) الكندى المصرى (أبو عمر محمد بن يوسف):

ت ٣٥٠هـ، «كتاب الولاه وكتاب القضاه»، طبع بيروت ١٩٠٨م.

(٣٩) مجهول (كاتب مراكشى مجهول من كتاب القرن السادس الهجرى):

«كتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار»، نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد، طبع الأسكندرية ١٩٥٨م.

(٤٠) المراكشى (عبد الواحد):

ت ٦٧٤هـ، «المعجب فى تلخيص أخبار العرب»، من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق محمد سعيد العريان، طبع القاهرة ١٩٦٣م.

(٤١) المقرى (الشيخ احمد بن محمد المقرى التلمساني):

ت ١٠٤١هـ، «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، ثمانية مجلدات، تحقيق د. إحسان عباس، طبع بيروت ١٣٨٨هـ.

(٤٢) المقريزى (تقى الدين ابو العباس أحمد بن على):

ت ٨٤٥هـ، «كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» المعروف بالخطط المقريزية، جزءان، طبع بيروت دون تاريخ.

(٤٣) المقريزى (تقى الدين ابو العباس احمد بن على):

«البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب»، مع دراسات فى تاريخ العروبة فى وادى النيل، تحقيق وتأليف د. عبد المجيد عابدين، طبع القاهرة ١٩٦١م.

(٤٤) المقريزى (تقى الدين ابو العباس أحمد بن على):

«اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا»، الجزءالأول، تحقيق د. جمال الدين الشيال، الجزء الثانى تحقيق د. محمد حلمى محمد أحمد، طبع القاهرة ١٣٩٠هـ.

(٤٥) المكتبة العربية الصقلية:

جمعها المستشرق ميخائيل أمارى، طبع ليبسك ١٨٥٧م.

(٤٦) الهمداني (لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمدانى):

ت ٣٣٤هـ، «صفة جزيرة العرب»، تحقيق محمد بن على الأكوع الحوالى، طبع القاهرة ١٣٩٧هـ.

(٤٧) ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت ابن عبد الله الحموى الرومى البغدادى):

ت ٦٢٦هـ، «معجم البلدان»، خمسة أجزاء، طبع بيروت ١٣٧٤هـ.

ب - المراجع:

(٤٨) إبراهيم حركات:

«المغرب عبر التاريخ»، المجلد الأول، طبع المغرب، ١٣٨٤هـ.

(٤٩) إحسان حقى:

«تونس العربية»، طبع بيروت، دون تاريخ.

(٥٠) أحمد بن أبى الضياف:

«أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»، طبع تونس ١٣٩٦هـ.

(٥١) أحمد توفيق المدنى:

«المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا»، طبع سيركوز ١٣٦٥هـ.

(٥٢) أحمد رشدى صالح:

«فنون الأدب الشعبى»، الجزء الثانى، طبع القاهرة ١٩٥٦هـ.

(٥٣) أحمد السعيد سليمان (الدكتور):

«تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة»، الجزء الأول، طبع القاهرة ١٩٧٢م.

(٥٤) أحمد مختار العبادى (الدكتور):

«دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس»، طبع الأسكندرية ١٩٦٨م.

(٥٥) جواد على (الدكتور):

«المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام»، الجزء الأول ١٩٧٦م، الجزء الرابع ١٩٧٧م، الجزء السادس ١٩٧٨م، الجزء السابع ١٩٧١م، الجزء الثامن ١٩٧١م، الجزء التاسع ١٩٧٨م.

(٥٦) الحبيب الجنحانى (الدكتور):

«القيروان» عبر عصور ازدهار الحضارة الإسلامية فى المغرب العربى، طبع تونس ١٩٦٨م.

(٥٧) حسن إبراهيم حسن (الدكتور) وطه أحمد شرف (الدكتور):
«المعز لدين الله»، طبع القاهرة ١٩٦٤م.

(٥٨) حسن إبراهيم حسن (الدكتور) وطه أحمد شرف (الدكتور):
«تاريخ الإسلام السياسى»، الجزء الثالث، طبع القاهرة ١٩٤٩م.

(٥٩) حسن إبراهيم حسن (الدكتور):
«الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص»، طبع القاهرة ١٩٣٢م.

(٦٠) حسن إبراهيم حسن (الدكتور):
«تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب ومصر وسوريا وبلاد العرب»، طبع القاهرة ١٩٥٢م.

(٦١) حسن حسنى عبد الوهاب:
«خلاصة تاريخ تونس»، طبع تونس ١٩٧٦م.

(٦٢) حسن سليمان محمود (الدكتور):
«ليبيا بين الماضى والحاضر»، طبع القاهرة ١٩٦٢م.

(٦٣) حسين مؤنس (الدكتور):
«فجر الأندلس»، دراسة فى تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى إلى قيام الدولة الأموية، طبع القاهرة ١٩٥٩م.

(٦٤) حمد بن إبراهيم الحقيل:
«كنز الانساب ومجمع الآداب»، الطبعة الثالثة ١٣٩٣هـ.

(٦٥) ساطع الحصرى (ابو خلدون):
«دراسات عن مقدمة ابن خلدون»، مكتبة الخانجى بالقاهرة، دار الكتاب العربى بيروت.

(٦٦) سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور):
«كتاب تاريخ المغرب العربى»، طبع الاسكندرية ١٩٦٥م.

(٦٧) السيد عبد العزيز سالم (الدكتور):

«المغرب الكبير»، العصر الإسلامى، طبع القاهرة ١٩٦٦م.

(٦٨) سيدة إسماعيل كاشف (الدكتورة):

«مصـر فى فجر الإسـلام»، من الفتح العربى إلى قـيام الدولة الطولونية، طبع القاهرة ١٩٧٠م.

(٦٩) شكيب أرسلان (الأمير):

«الحلل السندسية فى الأخبار والآثار الأندلسية»، الجزء الأول، طبع بيروت، دون تاريخ.

(٧٠) الطاهر أحمد الزاوى:

«تاريخ الفتح العربى فى ليبيا»، الطبعة الثالثة.

(٧١) عاتق غيث البلادى (المقدم):

«معجم قبائل الحجاز»، طبع مكة ١٣٩٩هـ.

(٧٢) عـارف تـامر:

«القرامطة»، أصلهم- نشأتهم-تاريخهم-حروبهم، طبع بيروت دون تاريخ.

(٧٣) عبد الحميد يونس (الدكتور):

«الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى»، طبع القاهرة ١٩٥٦م.

(٧٤) عبد الرحمن باغى (الدكتور):

«حـيـاة القـيـروان ومـوقف ابن رشـيق منهـا»، طبع بيـروت ١٩٦١م.

(٧٥) عبد الرحمن الرافعى وسعيد عاشور (الدكتور):

«مصـر فى العصور الوسطى»، من الـفتح العربى حـتى الغزو العثمانى، طبع القاهرة ١٩٧٠م.

(٧٦) عبد الرحمن الحجى (الدكتور):

«التاريخ الأندلسى»، من الفتح الأسلامى حتى سقوط غرناطة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

(٧٧) عبد العزيز الأهوانى (الدكتور):
«ابن خلدون وتاريخ فنى التوشيح والزجل»، مستلة من أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد فى القاهرة سنة ١٩٦٢م، طبع القاهرة.

(٧٨) عبد القدوس الأنصارى:
«بنو سليم»، طبع بيروت ١٣٩١هـ.

(٧٩) عبد الله خورشيد البرى (الدكتور):
«القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة»، طبع القاهرة ١٩٦٧م.

(٨٠) عبد المنعم ماجد (الدكتور):
«الإمام المستنصر بالله الفاطمى»، طبع القاهرة ١٩٦١م.

(٨١) عبد المنعم ماجد (الدكتور):
«ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر»، التاريخ السياسى، طبع القاهرة ١٩٧٦م.

(٨٢) عبد المنعم ماجد (الدكتور):
«الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه»، طبع القاهرة ١٩٥٩م.

(٨٣) على إبراهيم حسن (الدكتور):
«تاريخ جوهر الصقلى»، طبع القاهرة ١٩٣٣م.

(٨٤) عمر رضا كحالة:
«جغرافية شبه جزيرة العرب»، طبع دمشق ١٣٦٤هـ.

(٨٥) عمر رضا كحالة:
«معجم قبائل العرب القديمة والحديثة»، ثلاثة أجزاء، طبع بيروت ١٣٨٨هـ.

(٨٦) عمر الصالح البرغوثى:
«الوزير اليازورى»، طبع دار الفكر العربى.

(٨٧) فاروق خورشيد:

«أضواء على السير الشعبية»، طبع القاهرة ١٩٦٤م.

(٨٨) فؤاد حسنين على (الدكتور):

«قصصنا الشعبى»، طبع القاهرة، ١٩٤٧م.

(٨٩) مبارك بن محمد الهلالى الميلى:

«تاريخ الجزائر فى القديم والحديث»، الجزء الثانى، طبع لبنان ١٩٦٣م.

(٩٠) محمد أبو الفضل إبراهيم وعلىّ محمد البجاوى:

«أيام العرب فى الأسلام»، طبع القاهرة ١٣٨٨هـ.

(٩١) محمد أحمد جاد المولى، وآخرون:

«أيام العرب فى الجاهلية»، طبع بيروت ١٣٦١هـ.

(٩٢) محمد جمال الدين سرور (الدكتور):

«سياسة الفاطميين الخارجية»، طبع القاهرة ١٣٩٣هـ.

(٩٣) محمد جمال الدين سرور (الدكتور):

«النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق»، فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، طبع القاهرة ١٩٦٤م.

(٩٤) محمد حمدى المناوى (الدكتور):

«نهير النيل فى المكتبة العربية»، طبع القاهرة ١٩٦٦م.

(٩٥) محمد حمدى المناوى (الدكتور):

«الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى» طبع القاهرة ١٩٧٠م.

(٩٦) محمد حمدى المناوى (الدكتور):

«مصر فى ظل الإسلام»، الجزء الأول، طبع الأسكندرية ١٩٧٠م.

(٩٧) محمد سعيد القشاط:

«الأدب الشعبى فى ليبيا»، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ.

(٩٨) محمد عبد الله عنان (الأستاذ):

«الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية»، طبع القاهرة ١٩٣٧م.

(٩٩) محمد عبد المنعم خفاجي (الدكتور):

«قصة الأدب فى ليبيا العربية من الفتح الاسلامى إلى اليوم»، الجزء الأول، طبع القاهرة، دون تاريخ.

(١٠٠) محمد المرزوقى:

«الأدب الشعبى فى تونس»، طبع تونس ١٩٦٧م.

(١٠١) محمد الهادى العامرى:

«تاريخ المغرب العربى»، طبع تونس ١٩٧٤م.

(١٠٢) محمود شيت خطاب (اللواء الركن):

«قادة الفتح الاسلامى»، المغرب العربى، الجزء الثانى، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ.

(١٠٣) مصطفى غالب:

«تاريخ الدعوة الإسماعيلية»، من أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر، طبع بيروت، الطبعة الثانية.

جـ - المؤلفات المعربة :

(١٠٤) دائرة المعارف الاسلامية:

«الطبعة العربية.

(١٠٥) دوزى:

«تاريخ مسلمى أسبانيا»، الجزء الأول- الحروب الأهلية، ترجمة د. حسن حبشى، طبع القاهرة ١٩٦٣م.

(١٠٦) زامباور:

«معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى»، جزءان، ترجمة د. زكى محمد حسن ود. حسن أحمد محمود، طبع القاهرة ١٩٥١ و ١٩٥٢م.

(١٠٧) كارل بروكلمان:

«تاريخ الشعوب الاسلامية»، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكى، طبع بيروت، الطبعة السادسة.

د – القصص الشعبى :

(١٠٨) قصة جابر وجبير:

(١٠٩) تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتى خليفة.

(١١٠) عمر أبو النصر:

تهذيب تغريبة بنى هلال ورحيلهم إلى بلاد المغرب وحروبهم مع الزناتى خليفة.

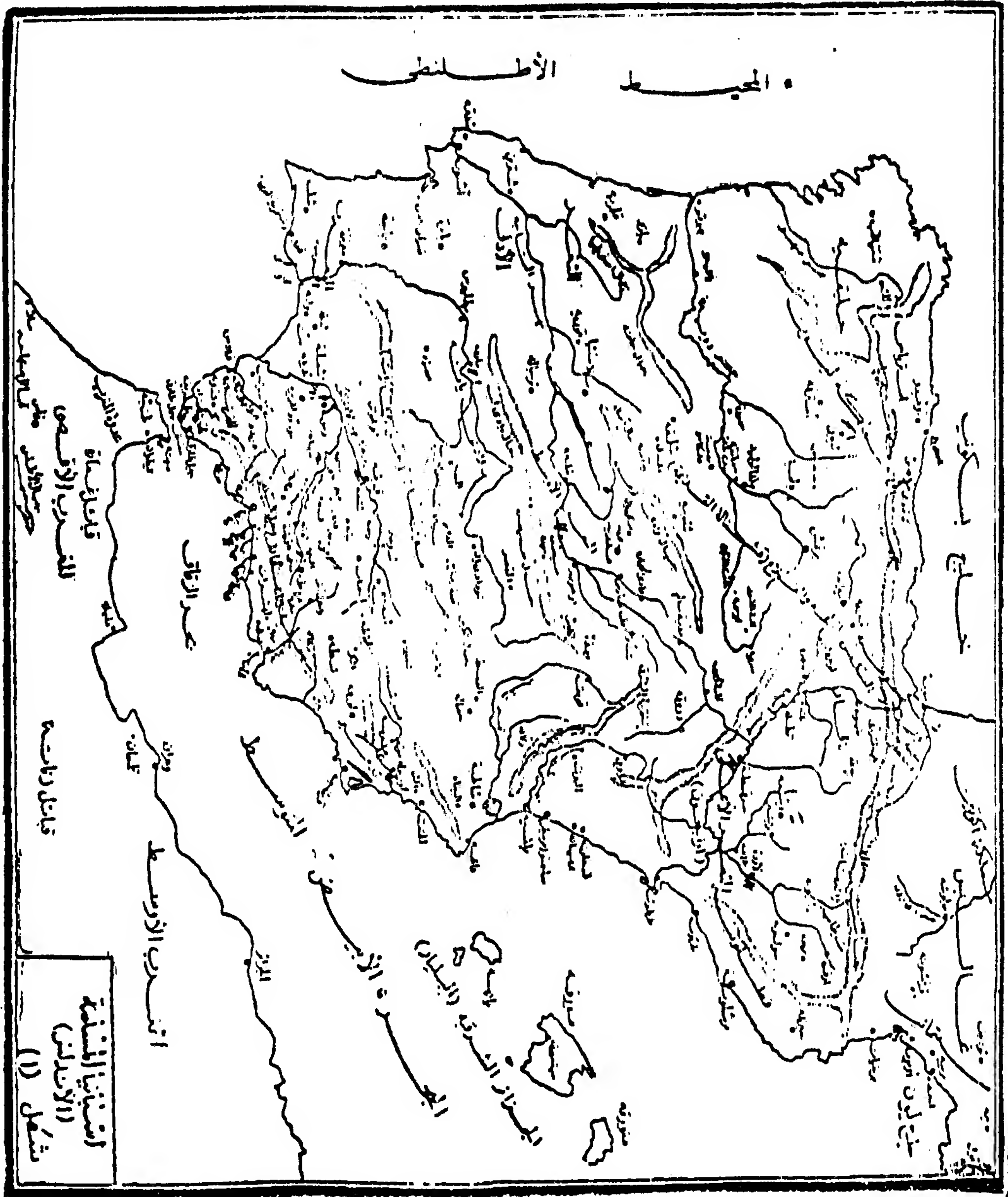
هـ - المراجع الأجنبية :

(١١١) Bernard Lewis, Egypt and Syria to the end of the Fatimid Caliphate. The cambridge History of Islam, Vol I A 1970.

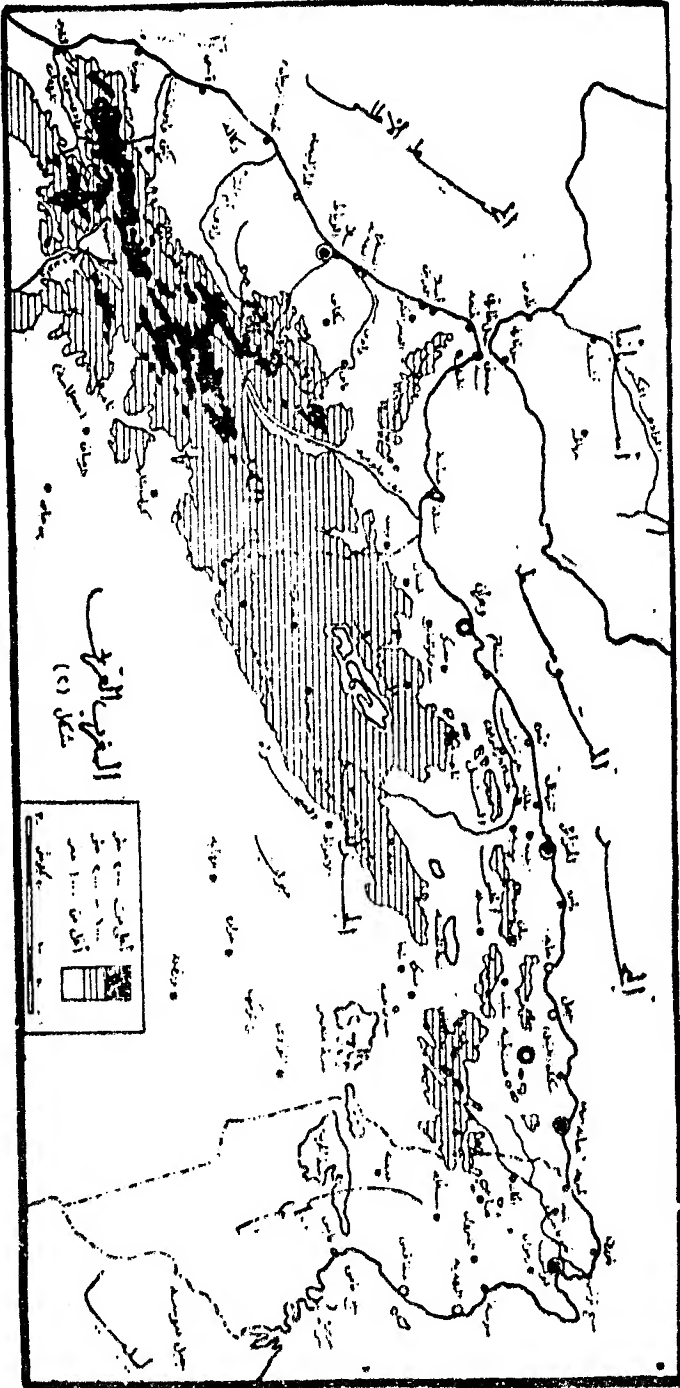
(١١٢) Standey Lone Poole, M. L, History of Egypt in the middle ages. London, 4 th ed.

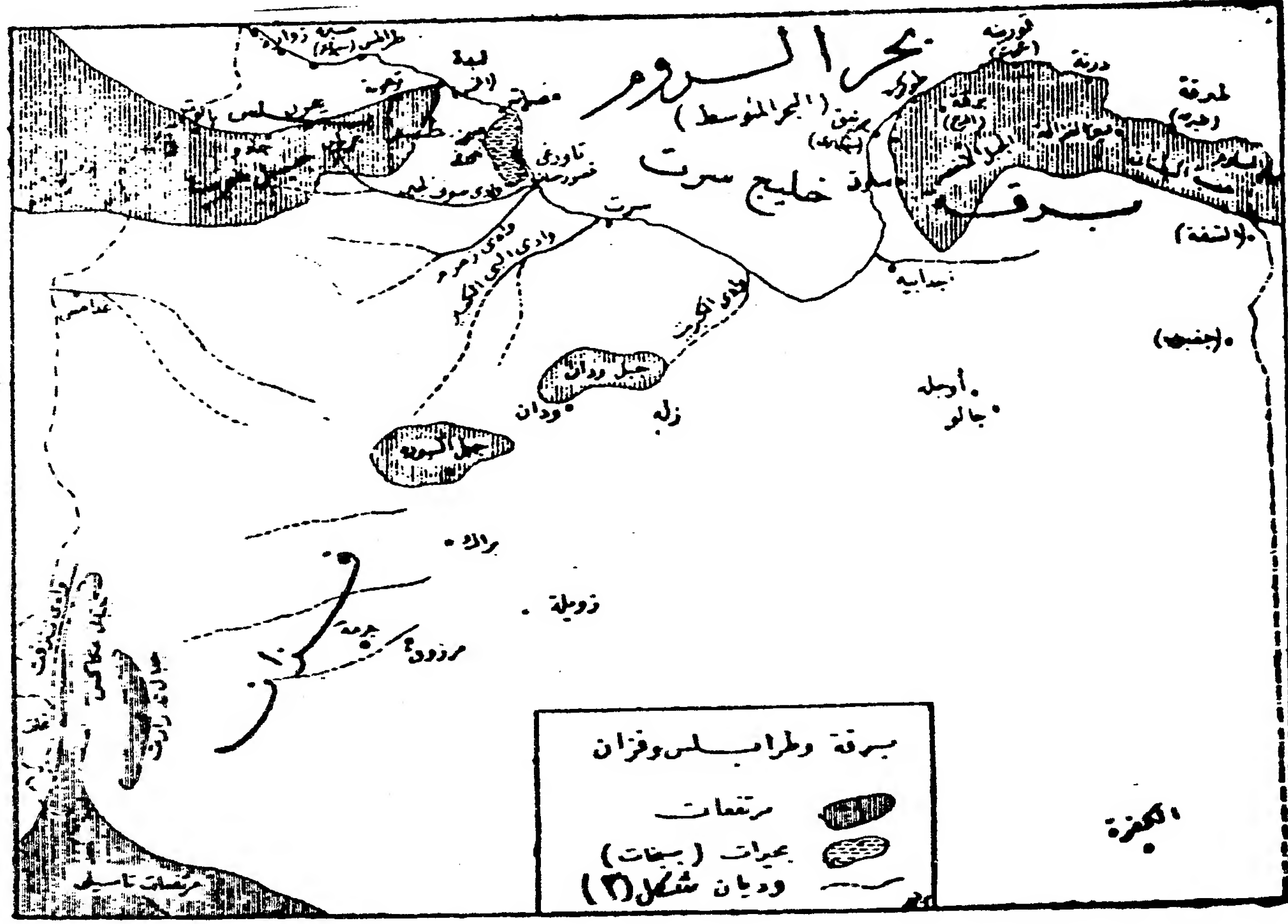
الخرائط

فهرس الخرائط



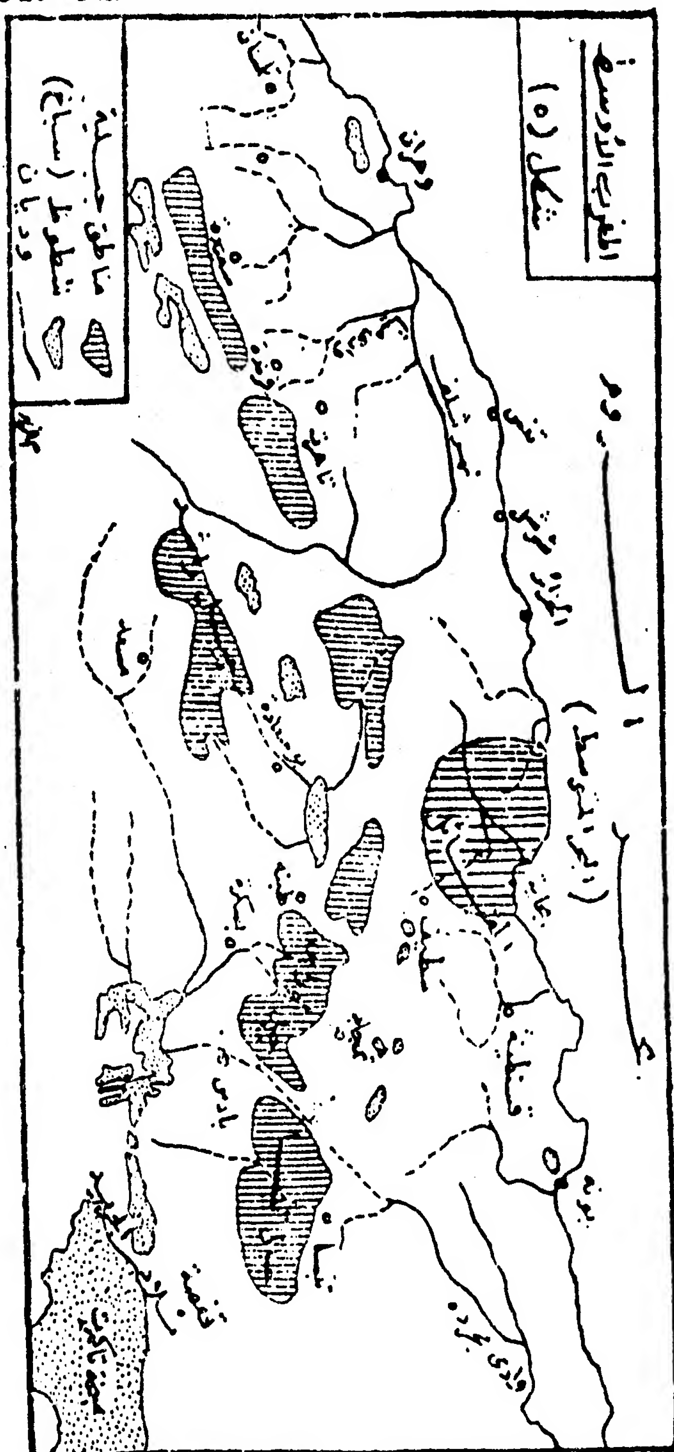
شكل (1) اسبانيا المسلمة (الأندلس)


المغرب الأوسط
شكل (٢)


بحر الروم
(البحر المتوسط)
خليج سرت
برقة
سرت
اجدابية
أوجلة
جالو
زلة
ودان
جبل ودان
جبل السوداء
براك
زويلة
مرزوق
جرمة
فزان
الكفرة
غدامس
درنة
طبرقة
لبدة
مصراتة
برقة وطرابلس وفزان
مرتفعات
بحيرات (سبخات)
وديان
شكل (٣)

أفريقية وطرابلس

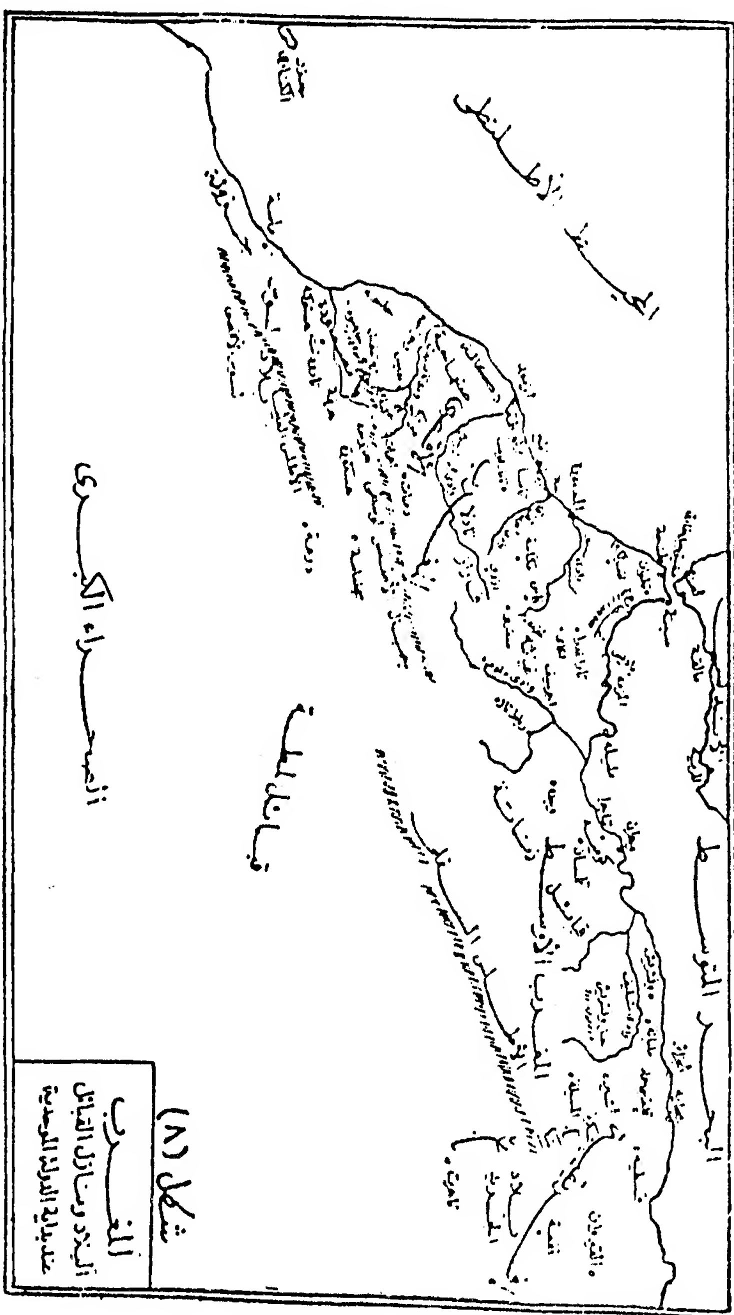
شكل (٤)


المغرب الأوسط
شكل (٥)
بحر الروم
(البحر المتوسط)
بونه
قسنطينة
بجاية
سطيف
وادي مجردة
الجزائر
تنس
نهر شلف
وهران
تاهرت
تبسا
طبنة
بسكرة
بادس
قفصة
الجريد
سبخة تاكمرت
مسعد
مناطق جبلية
شطوط (سباخ)
وديان

المغرب الأقصى

شكل (٦)

شكل (٧)
المغرب سنة ٥٠٠هـ



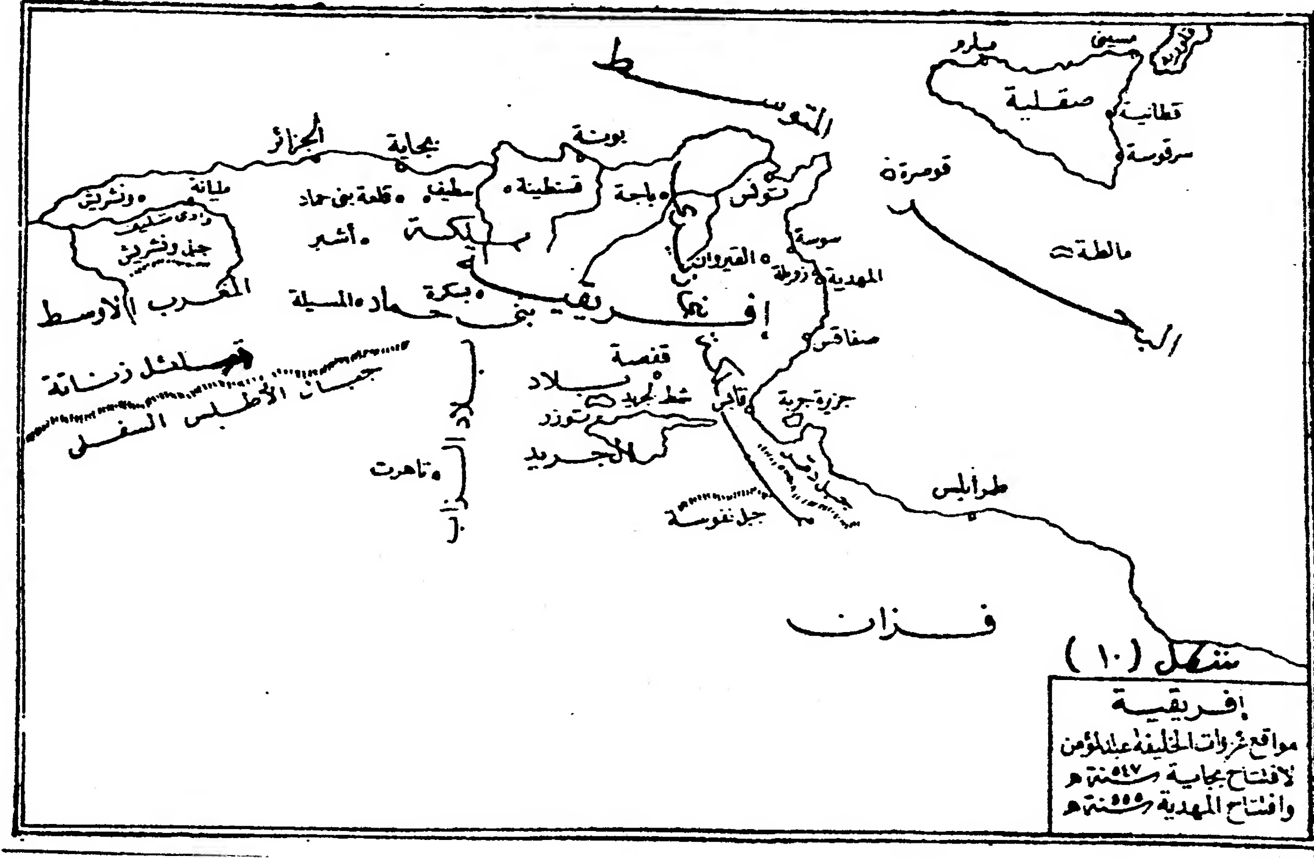
شكل (٨)
المغرب
البلاد ومنازل القبائل
عشية الدولة الموحدية

شكل (٩)

المغرب

مواقع غزوة عبد المؤمن الكبرى

سنة ٥٣٥ - ٥٤٠ هـ


شكل (١٠)
إفريقية
مواقع غزوات الخليفة عبدالمؤمن
لافتتاح بجاية سنة ٥٤٧ هـ
وافتتاح المهدية سنة ٥٥٥ هـ
صقلية
مسينى
بلرم
قطانية
سرقوسة
قوصرة
مالطة
البحر المتوسط
الجزائر
بجاية
بونة
مليانة
ونشريش
جبل ونشريش
المغرب الأوسط
قسنطينة
سطيف
قلعة بنى حماد
أشير
باجة
تونس
سوسة
القيروان
المهدية
زويلة
صفاقس
إفريقية
المسيلة
بكرة
قفصة
بلاد
شط الجريد
توزر
الجريد
قابس
جزيرة جربة
جبل نفوسة
طرابلس
تاهرت
بلاد الزاب
قبائل زناتة
جبال الأطلس السفلى
فزان

رحلة التجاني

طريق الذهاب ———

طريق الرجوع ......

شكل (١١)

وطن طرابلس

ملحق الشعر

تقديـــــم

هذا الملحق، جمعت فيه ما أمكننى العثور عليه من أشعار تدور حول بنى هلال وبنى سليم، سواء كانت هذه الأشعار قد قيلت فيهم أو لهم، أو صدرت عن شعرائهم.

وهدفت من ذلك أمرين:

الأول : محاولة ضم هذه الأشعار المبعثرة فى أكثر من مصدر فى مجموعة واحدة، حتى يسهل الرجوع إليها لمن يريد. وهو عمل لم يسبقنى إليه أحد على ما أظن.

الثاني: محاولة بيان الحدث التاريخى الذى دارت حوله هذه القصيدة أو تلك. فهذه الأشعار صدرت فى مناسبات مختلفة. ولذلك حرصت ما أمكننى- على إلقاء الضوء على تلك الأحداث، سواء عند التعريف بالمادح أو الممدوح أو بالإحالة إلى صلب البحث نفسه. وأعتقد- دون غرور أن لهذا العمل أهميته الكبيرة، بالنسبة للمؤرخ أو لرجل الأدب على السواء. وفى ذلك يصدق القول أن الشعر ديوان العرب.

أما أهم المصادر التى جمعت منها هذه الأشعار فهى:

العماد الأصفهانى: خريدة القصر.

التجانـــــــى: رحلة التجانى

ابـن الأثيـــــر : الكامل فى التاريخ

المراكشـــــــى : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب

ابن خلـــــدون: المقدمة

ويلاحظ أمران :

الأول : أن هناك اختلافاً فى بعض القصائد التى اشترك العماد الأصفهانى والتجانى فى أيرادها. وقد أوضحت هذا الاختلاف الذى يهم رجال الأدب فى المقام الأول.

الثاني: اختلاف نوعية الشعر الذى أورده العماد والتجانى والمراكشى عن الشعر الذى أورده ابن خلدون فى مقدمته، من حيث الجزالة اللفظية وحسن السبك والالتزام بقواعد الاعراب. فالأشعار التى أوردها

ابن خلدون تكاد تقرب من الشعر الشعبى وإن كان ابن خلدون يدافع عن ذلك بشدة وبلاغة فيقول(١): «فأما العرب أهل هذا الجيل المستعجمون عن لغة سلفهم من مضر فيقرضون الشعر لهذا العهد فى سائر الأعاريض على ما كان عليه سلفهم المستعربون، ويأتون فيه المطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه من النسيب والمدح والرثاء والهجاء ويستطردون فى الخروج من فن إلى فن فى الكلام، وربما هجموا على المقصود لأول كلامهم وأكثر ابتدائهم فى قصائدهم باسم الشاعر، ثم بعد ذلك ينسبون. فأهل أمصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالأصمعيات نسبة إلى الأصمعى رواية العرب فى أشعارهم، وأهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من الشعر بالبدوى... ولهؤلاء العرب فى هذا الشعر بلاغة فائقة وفيهم الفحول، والمتأخرون والكثير من المنتحلين للعلوم لهذا العهد وخصوصاً علم اللسان يستنكر هذه الفنون التى لهم إذا سمعها، ويمج نظمهم، إذا أنشد، ويعتقد أن ذوقه إنما نبا عنها لاستهجانها وفقدان الأعراب منها، وهذا إنما أتى من فقدان الملكة فى لغتهم، فلو حصلت له الملكة من ملكاتهم لشهد له طبعه وذوقه ببلاغتها إن كان سليماً من الآفات فى فطرته ونظره. وإلا فالأعراب لا مدخل له فى البلاغة، إنما البلاغة مطابقة الكلام للمقصود ولمقتضى الحال من الوجود فيه سواء كان الرفع دالاً على الفاعل، والنصب دالاً على المفعول أو العكس، وإنما يدل على ذلك قرائن الكلام، فالدلالة بحسب ما يصطلح عليه أهل الملكة، فإذا عرف اصطلاح فى ملكه واشتهر صحت الدلالة، وإذا طابقت تلك الدلالة المقصود ومقتضى الحال صحت البلاغة، ولا عبرة بقوانين النحاة فى ذلك وأساليب الشعر وفنونه موجودة فى أشعارهم، هذا ما عدا حركات الأعراب فى أواخر الكلم، فإن أغلب كلماتهم موقوفة الآخر، ويتميز عندهم الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر بقرائن الكلام لا بحركات الأعراب.

وها أنا بدورى أورد هذه الأشعار، دون الدخول فى محاولة نقدها لغوياً، فهذا أمر لا أدعى العلم به. ولكن همى أن أوضح دلالتها التاريخية.

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ١ ص ٥١٠.

القصيــدة [١]

الشاعر : الأمير أبو محمد جعفر بن الطيب الكلبى.

الغرض : مـــدح

مدافع بن رشيد بن كامل صاحب قابس.

التعريف بالشاعر :

من شعـراء جزيرة صـقلية وهو من أسرة الـكلبيين التى حكمت صـقلية نحو مائة عام بدأت سنة ٣٣٦هـ، وكـان أول حكام هذه الأسرة الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى الذى كان مـواليا للفاطميين ويتلقى مـعوناتهم واستطاع أن يخمد الفتن القائمة فى جزيرة صقلية.

أثنى مصنف كتاب «الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزية» وهو أبو القاسم على بن عـبد الرحمن بن جعـفر بن على السعـدى المعروف بابن القطاع المتوفى بالقاهرة سنة ٥١٥هـ على شاعرنا هذا ووصفه بالفضائل الكثيرة وذكر أن بينهما مكاتبات، وسرد منها طرفاً وطرفا(١).

التعريف بالممدوح :

مدافـــع بن رشــيد بن مـدافع بن كامل بن جـامع الهلالى، آخـر من ملك قـابس من بنـى جـامع، ومـن يده أخـذها الموحـدون سنة ٥٥٤هـ. وقـد كـان عبـدالمؤمـن بن على الخليفـة الموحـدى لاطفه واستـدعاه بأشـعار خاطبـة بها، وتلوم عليـه فـامتـنع من جوابه. فلـمـا وصل عبـد المؤمـن لحصـار المهـديـة سنــة ٥٥٤هـ أنفذ إليه عـسكراً قائده ابنه عبد الله، فلما علم علم مـدافع بإقباله جمع أهلـه وعشيـرته ومن انحاش إليـه وفر. ولقـيه عسكر عـبد الله فـاتبعـته شرذمـة من جـيش عبد اللـه فانهزم مـدافع وقتل جمـاعة من أهله وعشـيرته، وملك الموحـدون قابس. وتوغل مـدافع فى الهرب فـاستـجار بأعـراب طرابلس فأجاروه.

---

(١) أنظر العماد الأصفهانى، خريدة القسر، القسم الرابع الجزء الأول، ص ٥١، ٩٢، ١٣٤.

وكان مدافع شاعراً حافظاً للسيرة والاخبار، عالماً بالانساب وبعد أن مضى عليه عامان وهو طريد، استشار عشيرته فى اللحاق بعبد المؤمن فأشاروا عليه بذلك فسار إليه فلقيه بمدينة قابس فرضى عنه وأسكنه هناك، فتوفى بها وقد ناهز التسعين(١).

القصيدة(٢) :

أراها للرحيل مثوّرات ... جمالاً بالجمال محملات
تتيه على الركائب فى سراها ... باقمار عليها طالعات
ولو نظرت لمن تسرى إليه ... لصدت عن وجوه الغانيات
وسارت والفلاة لها ركاب ... كما كانت ركابا للفلاة
ولم تعلن بشىء غير شعر ... منابتة بافواه الرواة
تمر على المياه ولم تردها ... كان الرى فى زجر الحداة
اقول لها وقد علقت ذميلا ... باجفان لزجرى سامعات
سانزل عنك فى مرعى خصيب ... وماء بارد عذب فرات
بارض مدافع ماوى الامانى ... وقتال السنين المجدبات
فيجعل عنك همى فوق طرف ... سبوق من خيول سابغات
اغر تخاله ريحا أعيرت ... قوائم باللجين محجلات
كساه الليل اثوابا ولكن ... تراها بالصباح مرقعات
وحسبك ما تفرّق من نوال ... بايد للمكارم جامعات
فقد اطمعت فى جدواك حتى ... سباع الطير من بعض العفاة

---

(١) انظر التجانى، المصدر السابق، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢) نقلنا القصيدة عن العماد الأصفهانى، المصدر السابق، ص ١٣٤ وما بعدها.

القصيــــدة [٢]

الشاعر : ابـن فرحـان القابسـى

الغرض : مـــدح

مدافع بن رشيد (السابق ذكره).

التعريف بالشاعر :

هو سلام بن أبى بكر بن فـرحان، من قابس مـدينة من أعمال القـيروان، فكان جليسـاً ووزيراً لأميرهـا مدافع بن رشيـد، وقتل ابن فرحـان يوم خروج الأمير مدافع من قابس واستيلاء الموحدين عليها.

يقول التجانى أن ابن فرحان بذل نفسه دون الأمير مدافع يوم خروجهم من قابس، وقاتل عنه إلى أن قتل.

وهذه القصيدة أنشدها ابن فرحان فى تهنئة الأمير مدافع بشهر رمضان سنة ٥٥٣هـ(١).

القصيــــدة :

بربـع رامـــة رام الـركب المـامـــا ... فغاضى صبرى وفاض الدمع تسجاما(٢)

وقـل لــلـربــع منـــا أن نـلـم به ... وأن نحـيـى به رسـمـا وأعـلامـا(٣)

سقـيا لعصـر الصبـا لو كان متصلا ... مـا كـان أطيب ذاك الـعيش لو داما

ولو كـتـمت الهـوى جـهـدى لنم به ... دمــعى ومــازال دمع الـعين نمامـا

فــاخلع عــذارك فى راح وفى رشـا ... طاوى الوشـاح ولا تحـفل بمن لامـا

للـه ريم رمى قلـبى فــاقـصـده ... واضـرم النار فى الأحشاء إضرامـا

---

(١) أنظر العماد الأصفهانى، المصدر السابق، ص ١٤٥ وما بعدها.

(٢) تسجاما: يعنى مدرارا.

(٣) جاء فى حاشية صفحة ١٤٥: فى الأدب التونسى لحسن حسنى عبد الوهاب ورد البيت كما يلى:

وقل إلـى الركـب منـا أن يلـم به ... وأن يحـيى به رسـمـا وأعـلامـا

بخصره هيف أهدى النحول إلى جسمي واهدى بسقم اللحظ أسقاما
ذرني أكف عن التطوف راحلتي ملت جيادى أسراجا والجاما
مازلت أفرى أديم الأرض منفردا أطوى المفاوز غيطانا وأعلاما(١)
حتى حططت رحالي في ذرى ملك غمر المواهب للقصاد بساما
فى متن أدهم ما ينفك يقحمه على أعاديه يوم الروع اقحاما
ما أبصرت مقلتى من قبل صافنه طرفا غدا حاملا فى الحرب ضرغاما(٢)
فى عصبة كاسود الغاب قد جعلت سمر الرماح وبيض الهدن آجاما
يهنى المدافع أن الله خوله عزا ينال به كل الذى راما(٣)
إذا رآه العدا فى يوم ملحمة غشى عيونهم نورا واظلاما
وقبلوا الترب تعظيما لطلعته كما رأت فارس كسرى وبهراما
يايها الملك المرهوب جانبه شملت هذا الورى فضلا وانعاما
سمت الرعايا وصنت الملك فامتنعا بصارم ذكر تفرى به الهاما
قم فافتح الأرض فالأملاك كلهم سواك أضحوا عن العلياء نوام
فهاكها يا أبا الحملات نظم فتى مازال فى مدحكم للدر نظاما
يشدو بافنان اغصان الثنا على علاك فى صوار المدح ترناما

(١) الغيطان: الأراضى المنخفضة، والأعلام: الجبال.
(٢) الصافنة: الجواد الواقف على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر كأنه متحفز للجرى.
الطرف : الكريم من الخيل.
(٣) جاء فى التجانى، المصدر السابق، ص ١٠١ البيت كما يلى:

بشر مدافع أن الله خوله سعدا ينال به كل الذى راما

في بلدة بك مثل الخلد قد جمعت   برا وبحرا وحيتانا وأراما
كما جمعت خلالا كلها حسن   تقى وحلما ومعروفا واقداما
لازلت تغنى زمان بعده زمن   مؤئل المجد وهابا وغناما

قال الشاعر على ما يذكر التجانى(١) البيتين التاليين يوم قتله:

أكذا أموت وما بلغت مرادى   بين الصوارم والقنا المياد
حيث العيون لوامح وطوامح   ما بين أحباب وبين أعادى

(١) التجانى، المصدر السابق، ص ١٠١.
وانظر العماد، المصدر السابق، ص ١٤٧ حاشية (٣).

القصيـــدة [٣]

الشاعر : يحيى بن التيفاشي القفصي

الغرض : مـــدح الأمير مدافع (السابق ذكره).

التعريف بالشاعر :

من قفصة مدينة بالقيروان، انتقل إلى قابس وسكن بها ومدح بني هلال، وقتله الأفرنج بصقلية بعد سنة ٥٥٠هـ عند فتكهم بالمسلمين(١).

القصيـــدة :

رأى البـرق فازدادت جوانـحه جـمرا ... وبات يراعي الـنجم يرتقب الـفـجـرا
مـا البـرق مما هاجـه غـيـر أنه ... تذكـر من يهوى فـمـا ملك الصـبـرا
خليـلي عـوجـا نندب الـربرب الذي ... غـدا بعـدهم من بعـد سكانـه قـفـرا
ديارا بهـا قـدمـا مـلأن جـوانحي ... عـيون المهـا جـمرا كـمـا ملئت سحـرا
كـأن لم أجل فـيهـا بمعـترك الـصبـا ... ولم أرتشف ثـغـرا ولم أنتـشق زهرا
ولم أدع فـيـهـا الفـاتـنات مـجـيـبـة ... بكلة أغـصـان تميـس بهـا خـضـرا
بـأبـي ذات الوشـــاح إذا بـدت ... كشمس الضحى وجها وجنح الدجا شطرا
تميس لـنا غـصـنا وترنوا غــزالة ... وتعـبق كـافـورا وتبـدو لـنا بدرا
أتتنـي وقلب البـرق ترعـد غـيـرة ... عليـهـا وعين الـنجم تنظرها شـذرا
وقـد هجـمت عنا الوشـاة واسـبلت ... علينا الـدياجي من مـلابسـهـا سـتـرا
فـبـتنا إلى وجـه الـصبـاح كـأننا ... قـضـيبـان لا صدا نخـاف ولا هجـرا

---

(١) العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص ١٥٠.

وأنظر القصيدة بنفس المصدر ص ١٥٠ – ١٥١.

إلى أن رأيت الـفـجــر عـند طلوعـه قـد التـاح فى اثر الـدجنة وافـتـرا
كـان مـحـيـاه مـدافـع قـد بدا بغـرته فـى النقع يسطو بهـا قـهرا
رضـيع الندى ثديا، حليف العـلاوفـا شـقيق الحـيـا بذلا نقـيب الورى طرا
هو الغـيـث فى بـذل النوال إذا طمـا هو الـليث فـى يوم النـزال إذا كـرا
يريك الردى سخطا ووجـه المنى رضا وصوب الحـيا بذلا وحكم القضـا امرا
ولولاك مـا اوحشت اهـلى ولا الحمـا ولا اصـبحت يومـا يدى منهم صِفـرا
فلى مـهجـة تهـفـو بقـابس لوعـة وقلب إذا فـارقـتـه يـالف الضـرا

القصيــدة [٤]

الشاعر : السكدلى(١)

الغرض : تهنئة مدافع بن رشيد بعيد النحر

القصيــدة :

خليلى عوجا لى بتلك المرابع   لنفسخ بالسفحين در مدامعى
ولا تبخلا بالدمع عل الذى بنا   يبرده سح الدموع الهوامع
منازل ساداتى ومغنى أحبتى   وموضع اطرابى وخير مواضعى
بها قد جنيت العيش غضا وملبسى   شبابى، ومن اهواه غير ممانعى
الا قاتل الله اللوى من محلة   وقاتل دهرا باللوى غير راجع
يكاد فؤادى من تذكره الحمى   وأهل الحمى ينقد بين الأضالع
لقد ملكت روحى كما ملك العلى   وحاز الندى جود المليك مدافع
فما انت إلا جوهر قام بذاته   بنور هدى من جوهر العدل ساطع
وراجيك موفور وثانيك هالك   وأيامك الدنيا بغير مضارع

---

(١) لم يزد العماد الأصفهانى، المصدر السابق، ص ١٥٣ عن التعريف به بقوله الكسدلى من أهل قفصة.

القصيــــدة [٥]

الشاعر : أبو الفضل بن الفقيه عبد الله بن نزار

الغرض : مــــدح الأمير محمد بن رشيد الهلالى.

التعريف بالشاعر :

أبو الفضل بن الفقيه عبد الله بن نزار الهوارى القابسى يقول العماد الأصفهانى: انه حى إلى الآن(١). اى إلى زمن العماد، علما أن العماد توفى مستهل رمضان سنة ٥٩٧هـ.

التعريف بالممدوح :

هو محمد بن رشيد من بنى جامع الهلاليين ملك قابس بعد خروج رافع بن كامل منها سنة ٥١١هـ(٢). وغلب على دولته مولاه يوسف واتفق أن خرج محمد من قابس لحرب عدو له، وترك أحد بنيه نائبا عنه، فطرده يوسف مولى أبيه منها واستولى على المدينة ودخل فى طاعة روجر ملك صقلية فقام عليه آل قابس ودفعوه إلى العرب فعذبوه عذاباً شديداً(٣).

القصيــــدة :

لم يبق لى بعد الرحيل عزاء ... بان الخليط وشتت الأهواء

فاصرف عنان اللوم عن قلق الحشا ... مغرى، فإن ملامه اغراء

فعلت به أحبابه يوم النوى ... والبين ما لا تفعل الأعداء

ساروا ولما يسمحوا بوداعه ... فكان خالص وده شحناء

اتراهم خالوا الوداع محرما ... أم أجمعوا الا يكون لقاء

رقت مياه الحسن فوق خدودهم ... وقست قلوبهم فبان جفاء

---

(١) أنظر العماد الأصفهانى، المصدر السابق، ص ١٤٨.

(٢) أنظر صفحة ١٠٨، ١٠٩ من البحث.

(٣) التجانى، المصدر السابق، ص ١٠٠.

يا ويح من عبث الهوى بفؤاده وتحكمت وقضت عليه ظباء
من كل من فى القلب من لحظاتها نفثات سحر ما لهن دواء
للبدر سنة وجهها وقوامها للغصن، مخطفه الحشا هيفاء(١)
إن امتداحى ما يلم من الورى إلا بمن دانت له العلياء(٢)
مثل المليك ابن الرشيد، فإنه بهز الملوك وحل حيث يشاء
وتشابهت آراؤه وسيوفه كل بما يهوى له ضمناء
ليس الجلالة حلة أعلامها حلم يزين ثوبها وحياء
فهو القريب تطولا وتجملا وهو البعيد محله الجوزاء
ولها المهابة فى النفوس- وإن غدا متواضعا- والعزة القعساء
يا من شكا جور الزمان وظلمه وأصابه من مسه الضراء
لذ بالمليك محمد، فبجوده يحيى السماح وتكشف الغماء
سله تقد، واقصد تجد، واشرع ترد عذب النمير، وما به أقذاء
هذا العيان يريك من أوصافه فوق الذى أهدت لك الأنباء
لو نظم الأملاك سلكا لاغتدى -لسناد- وهو الدرة الغراء

---

(١) للبدر سنة وجهها: صورته، والسنه: الوجه
(٢) يلم: ينزل
والمعنى أن مدائحى لا تتجه لأحد من الورى إلا هذا الأمير الذى خضعت له المعانى..

القصيـــدة [٦]

الشاعر : التراب السوسى

الغرض : مـــدح الأمير جباره بن الكامل صاحب سوسه

التعريف بالشاعر :

من أهل سوسة وهى مدينة بالقرب من المهدية وتوفى بسوسة(١).

التعريف بالممدوح :

هو أميـر سوسـة، جبـارة بن كامل بن سـرحان بن أبى العنين الـفادغى البعـيد الصيـت المشتهـر بالجود. ومن يده أخذ النـصارى سوسـة حين أخذوا المهدية من يد الحسن بن علىّ بن يحيـى من تميم بن المعز بن باديس، واستولوا على سائر بلاد الساحل. ولما وصل عبد المؤمن إلى أفريقية واستعاد المهدية سنة ٥٥٤هـ رحل إليه الأمير جباره بن كامل(٢).

القصيـــدة(٣) :

سـلـم عـلـى ذى سـلـم تغنى الهـوى المسـتـغنم(٤)

وقـف عليـه سـائلا عن قـاصـرات الخـيم(٥)

واسـتـمطر العين بـه صـوب دمـوع ودم

(١) لم يذكر العماد الأصفهانى، المصدر السابـق ص ١٥٤ فى ترجمته غير ذلك كما لم يذكر تاريخ وفاته.

(٢) التجانى، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٣) نقلنا القصيدة عن العماد، المصدر السابق، ص ١٥٤ وما بعدها مع مطابقتها مع ما أورد التجانى، المصدر السابق ص ٤٤ وما بعدها ويقول التجانى أن هذه القصيدة أولع أعراب زماننا بانشادها وكثرة تردادها ولاجل ذلك ذكرناها بكمالها وإن كان فيها بعض طول فمان الحسن غير مملول.

(٤) ورد البيت فى التجانى:

سـلـم عـلـى ذى سـلـم مـغنى الهـوى المسـتـغنم

(٥) أورد التجانى البيت كما يلى:

وقـف بهـا مـسـائلا عن سـاكن والخـيم .

فـــهـــذه إطـلالـة مـنـدرسـات الأرسـم
وهـذه عـراصـة مـسـتـوحـشـات المعلم
كـشـيـبـة فـى حـالـة الـ منـفـرد المتـيـم(١)
لم يبق منهن الصـبـا ومـفـرقـات الـديم
سـوى ثلاث صـائـمـات قـائـمـات جـثـم(٢)
واشـعـث مـعـفـر فـى بونـهـا المهـدم(٣)
اضـحـت خـلاء بلـقـعـا بـواليـا كـالـرمم
لا تـسـمـع الأذن بـهـا إلا نـعـيـب الأسـحـم
إلـى صـريـر جـنـدب إلـى عـواء ديـسـم(٤)
وطال مـا عـهـدتـهـا خـضـر الربـا والأكـم
مـا هـولـة فـى زيـنـة مـن نـعـم وأنـعـم
ولـلـقـيـان حـولـهـا بـمـفـصـحـات الـنـغـم
تـغـاتـغ مـا خـلـقـت إلا لـقـتـل المـغـرم(٥)

---

(١) لم يورد التجانى هذا البيت وأورد مكانه البيت التالى:

كـانـهـن أسـطـر فـى كـتـب لـم تـفـهـم

(٢) صائمات: صامتات. ومن معانى الصوم: الصمت.
(٣) البون: أعمدة الخباء- وقد أورد التجانى البيت:

واشـعـث مـطـرح بـربـعـهـا المهـدم

(٤) هذا البيت والذى قبله أوردهما التجانى فقط.
(٥) التغتغة: صوت الحلى أو صوت الضحك. والمعنى أن للقيان بأنغامها المفصحة الحان جميلة كوسوسة الحلى وترديد الضحكات وهذه الالحان ما وجدت إلا للتاثير على المحب المغرم.

والـغـــانـيـــات كـــالدمـى	نســـــجـن كـل مـــــعـلـم
مـن أبـيـض مـــــغـــــضـض	واخـــــضـــــر مـنـمـنـم
مـن كـل خـــــود كـــــحـلـت	مـــقـلـتـــهـــا بـالســـقـم(١)
جـــيـنـهـــا مـن قـــمـــر	وفـــرعـــهـــا مـن ظـلـم
تـريـك فـى بـنـانـهـــا	وكـــفـــهـــا والمعـــصـم
رقـــمـــا مـن الـوشـى حـكـى	رقـــم اهـــاب الأرقـــم(٢)
يـغـــتـــر عـن مـــفـلـج	عـــذب الـثـنـايـا شـــبـم(٣)
حـــلـــو الـلـمـى وأنـمـا	لحـظـى جـنـاه، لا فـــمـى
ســـقـــيـــا لأيـامـى (بـهـا)	وعـــيـــشـنـا المنـصـــرم
أيـام غـــصـنـى اخـــضـــر	ولمـتـى كـــالحـــمـم(٤)
وقـــامـــتـى قـــويـمـة	شـــبـــابـهـــا لـم يـهـــرم
ولـلـهـــوى فـى خـلـدى	ســـرائـر لـم تـعـلـم
والـدهـــر لـم يـخـــط إلـى	مـــســـاءتـى عـن قـــدم
ولا لـهـــانـى صـــاحـــبـى	ولا نـهـــانـى لـومـى
ثـم انـقـــضـت عـن ســـرعـــة	أيـــام ذاك المـــوســـم

(١) الخود: الشابة الجميلة المنعمة.

(٢) الأهاب: الجلد. والأرقم: الحية التى فيها سواد وبياض.

وقد أورد التجانى البيت كما يلى:

رقـم مـن الـوشـــــمـى	ســـلـــخ أديم الأرقـــم

(٣) الفلج فى الأسنان: تباعد ما بين الثنايا والرباعيات وهو من علامات الجمال.

شبم : بارد.

(٤) معن يالبيت شعرى أسود لم يظهر فيه الشيب.

كـــــــانـنـي كـنـت أرى   عـــيـــشـي بـه فـي الحلم
يارسم أحــــبـــــاب نـاوا   عـن عـــاشق مـــتــيـم
تـنـاثـرت دمــــوعـــــه   عـن مـــــسـلـكـه الـمـنـظـم
انـعـم صـــبـــاحـــا واسـلـم   ســـقـــيـت نوء المـرزم(١)
إن لـــم أمــت عــن اســف   وحــــســــرة عـلـيــهـم
كــذبـت في دعـــوى الـهـــوى   لــسـت لـهـم بـمـغــــرم
كـــــانـنـي بـالـوصـل من   نـعـــمـــان لـم انـعـم
ولـــم أبـــت ريـــان مــن   رشف عــقــار المبـــسم(٢)
فـي فــــرش وثـيــــرة   لـم تفــتـــرش لمحـــرم
حـــتـى تـولـى الـلـيـل فـي   خــمــيــســة المنـهـــزم
واقـــبل الـصـــبـــاح فـي   جـــحـــافـلـه الـعـــرمـــرم
كـــــانـه لمـا بـدا   يـشـــــرق تحـت الـظـلـم
وجـــه الأمـــيـــر بـن الأمـــيـــر   الأكـــــرم بـن الأكـــــرم
جـــبــــارة بن كـــامـل   كــــهـف الـنـهـي والـكـرم(٣)
الـعـــــــارض الـذي إذا   اخـلـف صـــــوب الـديم(٤)
وسـل كـل مـــــرهــف   وســل كـل لـهــــــذم

(١) النوء: المطر. ونوء المرزم: يطلق على مطر الشتاد البارد.
(٢) العقار: الخمر، ويعني بها هنا الرضاب.
(٣) ورد البيت في التجاني:

جـــبـــارة بـن كـــامـل   ســـيـف الـنـدى والـكـرم

(٤) ورد البيت في التجاني :

الـفـــــارس الـذي إذا   اســرج كل شـــيظم

واضطرمت نار الوغى ... وفر حامى الحرم
واشفق الأبطال من ... وقع القنا المقوم
وحشرجت نفس الجبا ... ن من كريه المقدم(١)
وافى على طاوى الحشى ... عبل الشوى مسوم(٢)
من الهلال مسرج ... من الثريا ملجم
تراه ان صاح بهم ... تحت وطيس قد حمى
تراكبوا من خوفه ... بعضا على بعضهم
حتى إذا الليل دما ... وانهل صوب الديم(٣)
ووعوع السرحان من ... طول الطوى المخيم
وجئت معترا إلى ... منزلة فى العتم
ألفيته خير فتى ... طرقته فى الظلم
يلقاك من قبل الندى ... بالبشر والتبسم
إلى كريم خيمه ... سمح وفى الذمم
آراؤه فى الحادثات ... نفذ كالاسهم
وحلمه امنع من ... رضوى لكل مجرم
وخلقه أحسن من ... برء بائر السقم
غاية إلى الفما ... ل والمقام الأعظم
صيد من العرب الأولى ... كانوا ملوك الأمم

(١) هذا البيت والبيت قبله لم يردا فى العماد وأوردهما التجانى.
(٢) عبل الشوى: ضخم الأطراف- مسوم: معلم
وقد أورد التجانى البيت كما يلى:
وافى على ظامى الحشا ... عبل الشواء مقرم
(٣) من هذا البيت حتى نهاية القصيدة لم يوردها العماد ولكن ذكرها التجانى.

وكـــــانـت الأرض أرتـوت   مـنـهـم بـجــــــود ودم
من دير ســـمـــعـــان إلـى   نجـــــد بـوادى اضـم(١)
بجـــانـبى وادى القــــرى   فـــالدوح مـن ذى سـلـم
ثـم انقـــضـوا وذكـــرهـم   كـــالشـــهـــد فـى كل فـم
من بـعـد مـا اوصــوا نبـيـ   ـهـم مكرمــــا عـن مكـرم
بالصـــبـــر فى وقت الوفى   والـكـف عـنـد المـغـنـم
فـجـاء يقـفـو مـجـدهم   وحـــسن تلـك الشـــيـم
يا حـاسـديه انتـبـهـوا   من رقـــدة التـــوهـم
اتطمـــعـــون فى عـــلا   قـــد حــــازها او هـمـم
كـــلا ولـو رقـــيـــتـم   إلى الســـمـــا بسـلـم
ابـا عـنـان زد عـــــلا   علـى مـــــحـل الانجـم
اقـــســمـت بالبـيت الحــرا   م والصـــفـــا وزمــزم
لأنت من بـعــــد الـنبى   المـصــطــفـى المـكـرم
وآلـه وصــــحـــبـــه   اهـل الوفـــــا والـذمم
لـو كـنـت يـا بن الأكـــرمين   فى الزمـــان الأقـــدم
لا نـزلـت فـى فـــضـلـك الـ   مـكـمـل المتـــمـــم
مـــفـــصــلات ســـور   من الـكـتـــاب المحـكـم

---

(١) دير سمعان: موضع بالشام. وفيه مات الخليفة عمر بن عبد العزيز ودفن به.
وادى أضم: لم أجد هذا الاسم فى معجم البلدان لياقوت أو صفة جزيرة العرب للهمدانى. ولكن وجدت أدم بضم الألف والدال وقد يكون ذلك هو الأصح. يقول ياقوت، معجم البلدان أنها من قرى الطائف. ويعلق محمد بن عبد الله بلهيد فى صحيح الأخبار جـ٥ ص ٢٤٣ على ذلك قائلاً لو أن ياقوت قال أنها هضبة فى الطائف لأصاب، لأن هذا الاسم مختصة به هضبة لا قرية.

أنــت الــذى لــو لــم أكــن ... مـن عـــــزه فـى حــــرم
مـــــا قـلـت لـلـدهـر الظـلـو ... م الجـــــائـر المحــــتـكـم
يـا دهران شـــــئـت فـــصـل ... حـــبـلى او شـــئـت أصـــرم
وان تنشـــا لم واســـتـقم ... وان تـشـــا جـــروا ظـلـم
فـــمـــا أبـا لـيـك ولا ... الـقـــاك كـــالمســـتـلم
أنـى مــن ابـن كـــامـل ... ذى الـبـــــاس والـتـكـرم
فـى ظل ســـيـف مـــرهـف ... ونـــائـل مـنـســـــجـم
وعـــزة قـــد خـــيـــمـت ... بـين الســــــهـى والمرزم
قـــد رفـــعت من الـثـــرى ... إلـى الـثـــريـا قـــدمـى
فـــالـنـجـم لى مــجـــالـس ... كـــــانـه من حــــرمـى
والســـعـــد لـى مـســـاعـد ... كـــــانـه من خـــدمـى
هـــو الـذى لـــو أمـــــه ... كـل الـورى لـم يســــام
ولـو ســـخـــا بـنـفــســه ... لســــائـل لـم يـنـدم
عـلـمـنـى الجـــود بمـا ... قـــلـدنـى مــن أنـعـم
فـــــرحـت والـديـنـار فـى ... يـدى مـــــثـل الـدرهـم
فـــان غـــدوت مـــادحـــا ... لـغـــيـــره من عـــدم
فـــجـــائـز ضـــرورة ... عـلـى حـــدود الحـــرم
كـــالمـاء ان عـــدمـــتـــه ... صـلـيـت بـالـتــــيـــمم
لاجــعـلـن مـــا حـــيـــيـ ... ت ذكـــره شـــغـل فـــمـى
وان أمــت فـــــشـكـره ... فى الـقـــبـــر شـــغل أعـظم
لازال طـول عـــــمـــره ... مـــؤيـدا بـالـعـــصـم

مستمسكا من سعده   بعروة لم تفصم
ربوعه مساهولة   بسابغات النعم
وسمره محمرة   من العداة بالدم
ما أومضت بوارق   في جنح ليل مظلم
وما شدت حمائم   على فروع السلم

القصيـــدة [٧]

. قصيدة أخرى للتراب السوسي في مدح الأمير جبارة أيضاً.

القصيـــدة (١):

بات الأبـرق برقٍ يتــــســـــامي	فــجـفـــا الجــفـن لمرآة المنامـــا
طلـعت رايتـــه خـــافــــقــــة	خـفـقـان القلب أمسى مسـتـهـامـا
يســـحب الحب بـه في أفــقـهـــا	مــصــفــات من جنوب ونـعــامي
تحت لـيل كـــســــواد البـين في	عين مـن ذاب من البين ســقـامــا
فـــاعـــارته كـــراها مـــقلتي	واستـعـارت منه للدمع انسجاما
ثم بـتنـا نتـــبـــاري لـوعــة	وبكـاء ونرى الـنوم حـــرامـــا
فـــإذا شب ضـــرام فـي الدجى	قـدح الشـوق على قلبـي ضـرامـا
وإذا حـي بـغـــــيث دمـنـه	جـدت بالدمع فـاسـبلت الرهامـا(٢)
فــتـشـــابهنا بكاء واضطرامـــا	وتخـــالـفـنا اهتـمـــامـا وهيـامـا
أيهـــا البـــارق قـــد هجـت إلى	ســاكن الأبـرق شـوقـا وغـرامـا
وأذعـت الســـــر بـالدمـع الذي	لم أطق-إذا فـاض لـلحب اكـتـتـامـا
بذمــــام الحـب يا بـرق عـــسى	لك علـم: حـيـــهم اين اقـــامـا(٣)

---

(١) يقول العماد، المصدر السابق، ص ١٥٨ أن الشاعر يعارض في هذه القصيدة قصيدة لمهيار الديلمي.

بكر العارض يحدوه النعامى

(٢) الرهام : المطر الخفيف.

(٣) ورد هذا البيت في التجاني:

بذمـــام الحب يا برق عـــسى   لك علم حـبـهم أعـيـا الأنامـا

وعــــسى فى الخب من مـــاء ثووا حــوله من جـرعـة تبـرى سقـامـا(١)
انســـوا عـــامـــا فلـمـــا ملكوا رق قلبى أوحـــشـوا عـامـا وعــامـا
واسـتـمـالونى بوصل فى الهـوى فكـمـا ملت راو وصلى حــرامـا
بعـثـوا الـعـرف فـاذكنى لوعـتى وسنا البـرق فـابكانى سـجـامـا
فكـان البــرق ســيف ضـــارب وكـان الديم دمـعـى حين دامـا(٢)
وإذا هبـت صـــبـــا قلت لـهـــا بلغـى ياريح من نهـوى السـلامـا
عج سـواحى الحب تحـدوه الصـبا مثل مـا تحدو يد الحادى السـواما(٣)
واسق أوطـانا بعـليـاء الحــمى وابل الودق وجـيـرانا كـرامـا(٤)
دمنـا حــررت أذيال الـصــبى والتـصـابى فى مـغـانيـهـا غـلامـا
وعليـهـا قـام لى عـذر الهـوى فى عـذارى كـاليـواقيت اليـتـامى
كـبـدور التم حــسنا وبهــاء وغـصـون البـان لـينا وقـوامـا
يتـدلـلن فـيـورثـن الضنا ويواصلـن فـيـشـفين السـقـامـا
خل أوصـاف التـصـابى والصـبى والمغـانى والغـوانى والندامى
وانقـل الهـزل إلـى الجـد، ولا تله عـن أوصـاف من سـار الأنامـا
من إذا أبصـرتـه أكـبـرتـه وإذا خـاطبـت خـاطبـت هـمـامـا
وإذا اسـتـصـرخـتـه فى حـادث فـعلى الحـادث جـردت حـسـامـا
مـقـبل القلب على سـبل الهـدى مـعـرض عن كل مـاجـر الأثامـا

(١) الخب : الخابية.
(٢) الديم: دوام المطر.
(٣) يسأل السحب العالية التى يحملها ريح الصبا أن تسقى أوطان الاحباب.
السوام : الماشية التى ترعى الكلا.
(٤) الوابل : المطر الشديد.
الودق : المطر.

ليس يدرى مــــا المزامــــيـــر ولا يسمع الصنج ولا ذاق المداما[1]
لا ولا تحـــمله الأطمــــاع أن ينقض العهد إذا أعطى الذماما
بيـــتـــه كـعـبـة بشـر نصبت يفصم العسر عن الناس انفصاما
ركنهـــا يمنى يديه فـــاجـــعلوا بدل الركن بيمناه استـــلامــــا
لذوى الحــاج زحـــام حـــولهـــا زحمة الحجاج قد زاروا المقام
كل ورد هكذا مـــســتـــعـــذب يكثر الناس حواليه الزحاما

(١) الصنج: آلة نحاسية يضرب فيها صنجة على الأخرى، أو آلة بأوتار يضرب بها.

القصيـــدة [٨]

الشاعر : أبو الحسين بن الصبان

الغرض : مـــدح الأمير جباره

التعريف بالشاعر :

هو الشيخ أبو الحسين بن الصبان المهدوى، يقول العماد الأصفهاني، ورد الشام، واشتم بارق الفضل وشام ولقى دولة نور الدين محمود وتوفى بدمشق سنة ٥٦٠هـ(١).

القصيـــدة:

أرى دمع عـيـنـيك فـاض انهـمـالا	أظن الأحـــبـــة رامـــوا زيالا
أعــدوا الجـمــال ليــوم الرحــيل	فـزدت اشــتـيــاقـا وزادت جــمـالا
وبين الـســـجـــوف هلالـيـــة	تحل النـقـــاب فـتـبــدى الهـلال
وتبـــــدى أنـامل مــــثـل اللجين	كـسين من الوشى سـحـرا حــلالا
بعـيـدة مـهـوى مجـال الشنوف	وفي الجيد أدمت بذى القـرط خالا(٢)
من البـدويـات تهـوى البـروق	إذا هبت الريح عـنهـا شــمـــالا
وتنتــجع الغــيـث حـيث استــهل	فـتـطلب ســهــلا ســقى أم ثلالا
تشـــد ســحـــيـرا لـغـاراتهــا	فـتلزم ســرجــا وتلقى حـــلالا

---

(١) أنظر العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص ١٦١-١٦٢ وقد نقلنا عنه القصيدة.

(٢) الشنوف: جمع شنف هو القرط.

وبعيدة مهوى القرط، كناية عن طول الجيد.

ذو القرط : هو سيف خالد بن الوليد.

والخال : علامة فى الخد. أو بمعنى الرجل الخلى من الحب.

وفى البيت تورية: والمعنى أن قرطها المتحرك جرح خدها، أو جرح السيف المنسوب إلى خالد الرجل الخلى

منازلنا بالحمى بحواشي الكثيب   سقيت الغوادى غنارا بلالا
فكيف عهدت الصبى ناسيا   تناجى غزالته والغزالا
ويا رب بيداء عند الهجير   قطعت سباسبها والرمالا(١)
بعيرانه اجد عرمس   تجد فتجذب عنها الافالا(٢)
إذا ونيت قمت فى غرزها   اقول لها سوف تنسى الكلالا(٣)
سالقى زمامك فى منزل   يشد الرجال إليه الرحالا
بحيث (جباره) مستمطرا   يجود على معتفيه نوالا
فتى للعشيرة عزلها   غدا لجميع البرايا ثمالا(٤)
إذا ما العشيرة فى حادث   شكت مرضا طب منها اعتدالا

(١) السباسب: جمع سبسب وهى المفازة أو الأرض البعيدة.
(٢) العيرانة: الناقة الصلبة المتحركة فى نشاط.
الأجد: الناقة القوية.
العرمس: الناقة الشديدة السلسة القياد.
تجد : تقطع الجدد وهو الأرض الغليظة المستوية.
تجذب الفصيل: تقطعه عن الرضاع، والافال جمع أفل وهو الفصيل.
(٣) الغرز : ركاب من جلد يوضع فوق الناقة.
(٤) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه.

القصيــــدة [٩]

الشاعر : أبو شاكر عامر بن محمد بن عسكر الهلالى

الغرض : الحنين إلى وطنه قابس وهو مقيم بدمشق.

التعريف بالشاعر :

ترجم له فى الخريدة، أبو شاكر عامر بن محمد بن عسكر الهلالى. وذكر أنه بدوى وأمير سرى.

فى حين يذكر التجانى فى ترجمته أنه أبو ساكن عامر بن محمد بن مكى بن كامل بن جامع. وأنه كان من رجال الأمير مدافع بن رشيد صاحب قابس(١). وأنه فر من قابس يوم دخلها الموحدون سنة ٥٥٤هـ وهرب إلى دمشق حيث أقام بها(٢).

القصيــــدة(٣):

ياحـــاد طرفى غـــيـــر هـاجع	والـدمع من عــــينى هامع(٤)
ولقـــد أرقت مــــســامـــرا	نجـمــا بدا فـى الشـرق طـالع
مــتــذكــرا لـصــروف دهر	أصــبــحت فـــينا قــواطع
أنـــى مـــن الـــشـــم الألـــى	أهـل العـلـى أبـنـاء جـــامـع(٥)
أهـل المـراتـب والـكـتـــا	ئــب والمـواهـب والـصـنـائـع
يتـــســابقـــون إلى المعـــا	لى كـلهـم فـــينا مـــســـارع

(١) أنظر ترجمته فيما سبق.

(٢) أنظر العماد الأصفهانى، المصدر السابق، ص ١٦٤.
التجانى، المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٣) نقلنا القصيدة من خريدة القصر ص ١٦٤ مع معارضتها مع ما أورده التجانى ص١٠٢.

(٤) وردت فى التجانى: يا جار طرفى غير هاجع.

(٥) ورد الشطر الثانى فى التجانى: شادوا العلى.

ولـقــــد أحـلـوا قـــــابســــــا بالمشــــرفـــيــــات القــــواطع[1]
تـســــــعين عـــــامــــــا لـم يكـن خلـق لنــا فـــيـــهــــا مـنازع[2]
كـم من عــــــزيـز كـــــان يـا تى نـحــــونا بالـرغم خـــاضع
كـم قـــــاصـــــــد أو طـالـب لـنـوالنـا يـاتـيـــــه طـامـع[3]
وجـنـابـنـا لـلـمـــعـــــتـــفـين بـزهـرة المـعـــــروف يـانـع
وإذا شـــهـــدنا مـــجـــمـــعـــا يـومـى إلـيـنـا بـالأصـــــابـع
فـى كـل يـوم عـــــــــروبـة تدعـــــو لنا زمـــر الجـــوامع[4]
عـــبـــثـت بـنـا أيـدى الزمـــا ن وأحـــدثـت فـــيـنا الـبـــدائع

(١) ورد الشطر الأول فى التجانى: ولقد ملكنا قابسا.
(٢) ورد الشطر الثانى فى التجانى: فيها لنا أحد منازع.
(٣) هذا البيت والبيت قبله لم يوردهما التجانى.
(٤) لم يورد التجانى هذا البيت.
ويقصد بيوم العروبة يوم الجمعة.

القصيـــدة [١٠]

الشاعر : أبو عمران شاكر بن عامر الهلالى(١).

الغرض : الغـــزل

التعريف بالشاعر :

هو ابن الشاعـر السابق عامر الهلالـى. وقد ترجم له العماد الأصـفهانى بقوله: أصله من عـرب بني هلال بأفريقية وهو مغنـى الفضل ورد إلى دمشق. وأن الشــريف الادريسى(٢) ذكـر له (أى للـعـمـاد) أنه مـقـيم بهـا فى سنة ٥٧١هـ(٣)، وأنه هو الذى أنشد الأدريسى قصيدة ابن فرحان القابسى فى مدح الأمير مدافع(٤).

القصيــــدة :

إذا مـــر من أهوى أغـض له طـرفى   واخفى الذى بى من سقام ومن ضعف(٥)

واكـتم عن سـرى هـواه صـيـانة   ولو كـان فى كـتمـانه أبدا حـتـفى

مـخـافـة أن يشـكو فـؤادى تحـرقى   إلى مقلتى يوما فـتهدى الذى أخفى(٦)

---

(١) العماد الأصفهانى، المصدر السابق، ص ١٦٣.
وقد أورد التجانى، المصدر السابق، ص ١٠٢.
ساكن بن عامر.

(٢) الشريف الادريسى: هو المؤرخ الجغرافى المشهور صاحب نزهة المشتاق.

(٣) ذكر التجانى، المصدر السابق، ٥٩١هـ

(٤) أنظر ترجمته فيما سبق.

(٥) أورد التجانى الشطر الاول كما يلى:

إذا عز من أهوى أغض له طرفى

(٦) ورد الشطر الأول فى التجانى:

مخافة أن يشكو فؤادى صبابتى

القصيـــدة [١١]

الشاعر : الأمير عبد الرحمن بن زيرى الصنهاجى.

الغرّض : كتب إلى الأمير ساكن بدمشق وقد وعده بكتاب.

التعريف بالشاعر(١) :

لم يترجم له العماد ولم يورد غير اسمه المذكور.

الأمير ساكن :

لم يترجم له العماد وإن ورد فى حاشية رقم (١) ص ١٦٥ أنه من أسرة بنى جامع الهلاليين.

وغالباً أنه الأمـير ساكن بن عامر أو شاكـر بن عامر(٢) الذى ترجمنا له فيما سبق.

القصيـــدة:

سـرى البرق من عليـا مـعالم قـابس ... وفى القـلب من لمع البـروق كـوامن
يذكـرنى عـهـدى بهـا ومـثـارتى ... بسـاحـتـهـا والحـادثات سـواكن
فـويحـيى على تلك المواطن والصـبـا ... ظـليل ووشـك البـين بالـوصل بـائن
أخـادع عن سكـانهـا الدهر وحـده ... كـأنى لما يـاتى به الـدهر ضـامن
فـمن لى بتـبلـيغ السـلام إليـهم ... فكيـف وقـد شـاقـتك تلك المواطن
ولما سـرى البـرق الذى ذكـر الصبى ... تاوهت شـوقـاً والدمـوع هواتن
وناديت مـن عليـا هلال بن عـامـر ... فـتى صـادق الدعـوى إذا مـان مـائن

---

(١) لم أجد له ترجمة فى معجم الادباء لياقوت، ومعجم الشعراء للمرزبانى، وفوات الوفيات للكتبى، وفيات الأعيان لابن خلكان، الوافى بالوفيات للصفدى.

(٢) أنظر العماد الاصفهانى، المصدر السابق، ص ١٦٥.
التجانى، المصدر السابق، ص ١٠٢-١٠٣.

نمتــه ريــاح من صــيــابــه فــادع   لآل علــى وهو للــمـــجـــد صـــائن
وحلــت بنو دهــمـــان منه بقـــوة   وعــــزبه ثـاو وناضـل ظاعـن[1]
فــمـا هو إلا فى ذرى عــسكر (العــلا)   لعـــامـــرهم نجل وذلـك ســـاكن

(١) معناه أن قبيلة بنى دهمان أعتزت بقوته فاعتز با المقيم وناضل باسمه المسافر. ودهمان من عرب رياح. يقول أن عذارى، المصدر السابق ص ٣٠٧ أن شيوخ دهمان اقتسموا البلاد (أفريقية) بينهم، وذلك فى عهد على بن يحيى بن تميم (٥٠٩/٥١٥).

القصيـــدة [١٢]

الشاعر : أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت.

الغرض : قصيدة فى مدح حسن بن يحيى بن على بن تميم ابن المعز بن باديس وقد كثر الأرجاف بخروج أسطول صقلية النورمندى إلى افريقية وقصده المهدية سنة ٥١٧هـ ويذكر فيها مساندة العرب له(١).

التعريف بالشاعر :

هو الأديب الحكيم أمية بن عبد العزيز بن أبى الصلت كان أوحد زمانه وأفضل أقرانه متبحراً فى العلوم وافضل فضائله انشاء المنثور والمنظوم، وكان قدوة فى علم الأوائل، ذا منطق فى المنطق بذ سحبان وائل. من أهل المغرب وسكن الاسكندرية. ويستطرد العماد قائلاً أنه وقع له ديوان أبى السلط فى دمشق فانتخب منه(٢).

القصيـــدة :

للفلك يهجر الروض البهيج ... ودون ثيابك المسك الاريج
وانت الشمس مطلعها ذراها ... وليس سوى الدسوت لها بروج(٣)
وإن قدحت زناد الحرب يوما ... وكان لنار معركة أجيج
تركت برأيك الأبطال فيها ... ومن تحت العجاج لها عجيج(٤)
نماك بنو المعز فظلت فرعا ... كذى الخطى ينميه الوشيج(٥)
وأم جنابك العافون طرا ... كما يتيم الركن الحجيج

---

(١) يحيى بن على آخر ملوك أسرة بنى زيرى.

(٢) أنظر العماد الاصفهانى، المصدر السابق، ص ٢٢٣ وما بعدها.
والقصيدة ص ٢٤٥ وما بعدها.

(٣) الدسوت: جمع دست. وهى كلمة فارسية بمعنى الديوان.

(٤) العجاج: غبار الحرب- والعجيج الصياح. والمقصود هنا صياح الذعر.

(٥) الخطى : الرمح المنسوب إلى البحرين.
الوشيج : الشجر الذى يؤخذ منه الرماح.

وأعـداهم سـمـاحك فـاسـتـمـيـحـوا ... ولولا الـبـحـــر لم يـفض الخلـيج
ولمـا أن توعــدك الـنـصــارى ... كـمـا يـتـوعـد الأسـد المـهـيج
أتتـك غـزاتهـا بالـقـرب تتـرى ... لينـتـقض مـا تعـالجـه الـعلوج
وحـولـك من حـمــاتك كل ذمـر ... له فى كـل مـشـتـجـر ولوج(١)
ومـقــربة تـفـرج كـل كـرب ... إذا ملـئت من الـركض الفـروج(٢)
إذا كـســيت دم الأبـطال عـادت ... ودون لبـوسـهـا الذهـب النسيج(٣)
وقـد ريعـت قلوب الشـرك حـتى ... كـان لهـام أندلس ضـجـيج(٤)
فـبلغـهـم رسـولك كى يقـروا ... فـإن الأمـر بينـهم مـريج
وأنـا الـداخـلـون إلـى (بلـرم) ... إذا مـا لـم يكن منـهم خـروج(٥)
لأنا الـقـوم تـرضـيـنا المذاكى ... إذا صـهـلت وتؤنسـنا الـرهوج(٦)
بقـيـت لنـا وللأسـلام ركـنا ... تجـافـيـه الخـطوب ولا يعـيج(٧)
ولا غـمـدت لنـصـرتك المـواضى ... ولاحطت عن الخـيل السـروج
شـاى الدر الـقـريض بكـم، وتاهت ... عـلى أدراجـه هذى الـدروج(٨)

---

(١) معنى البيت والبيت السابق: توافدت القبائل العربيـة بالمغرب على المهدية من بنى هلال واستماتوا مع جنود الحسن فى الدفاع حتى هزموا المغيرين.
- أنظر ما ذكرناه عن ذلك فيما سبق.
العلج: أى العير أو حمار الوحش ثم أطلق على الرجل القوى الضخم من كفار العجم- الذمر: الشجاع.

(٢) مقربة: فرس فتية- الفروج: ما بين القوائم.

(٣) اللبوس: الثياب- والنسيج: المنسوج.

(٤) اللهام: الجيش الكثير العدد. ولعله يقصد أن جيوش الكفر بالأندلس داخلها الرعب من انتصار المسلمين فى أفريقية.

(٥) يهدد أن المسلمين سيستولون على بلرم عاصمة صقلية.

(٦) المذاكى والمذكيات: الخيل التى تم سنها وكملت قوتها.
الرهوج: سحب الغبار المثار فى الحرب.

(٧) يعيج: يكترث أو يبالى.

(٨) شأى: فاق.
الأدراج: الطرائق.
الدروج: الصحف.

القصيـــدة [١٣]

قصيدة كتبها على بن أسحق الميورقى قائد ثورة ابن غانيه التى قامت ضد الموحدين(١) إلى عرب بنى سليم يعيب عليهم انضمامهم إلى قراقوش الارمنى، ويستدعيهم لمناصرته.

القصيـــدة(٢):

يا أيهـا الركـب السـارى لطيتـه	على عـذافـرة تشـقى بـهـا الأكم
بلغ سليـمـا على بعـد المزارى لهـا	بينى وبينكم الرحـمن والـرحم
يا قـومنا لا تشبـوا الحرب إن خـمدت	واستمسكوا بعرى الإيمان واعتصموا
يقـودهـم أرمنـى لا خـلاق له	كـانـه فـيـهم من جـهلهم علم
الله يعلم أنـى مـا دعـوتكم	دعـاء ذى تزة يومـا فـينتـقم
ولا لجـات لأمـر يسـتـعـان به	من الأمـور وهذا الحـق قـد علمـوا
لكـن لأمـر رسـول الله عـن رحم	ينـمى إلـيـه وتـرعى تـلكم الذمم
فـإن أتيـتم فـحـبـل الود متـصل	وإن أبيـتم فـعند السـيف نحـتكم

---

(١) تعرضنا لهذه الثورة فى الفصل الثالث.

(٢) أنظر التجانى، المصدر السابق، ص ١٣٥.

القصيـــدة [١٤]

قصيدة تميم بن المعز يحرض العرب بعضهم على بعض:

هو تميم بن المعزب بن باديس (٤٥٤-٥٠١هـ) الذى تولى الملك بعد وفاة والده المعز بن باديس.

وقد رأى تميم أن يقوم الخلاف بين القبائل العربية لأن هذا أجدى لسياسته، وكان رجل من عدى قتل رجلاً من رياح، فخشى أن يتم الصلاح بين الجانبين، فارسل يحرض رياحا قائلاً(١):

متى كانت دماؤكم تطل   اما فيكم بثأر مستقل
اغانم ثم سالم أن فشلتم   فما كانت أوائلكم تذل
ونمتم عن طلاب الثار حتى   كأن العز فيكم مضمحل
وما كسرتم فيه العوالى   ولا بيض تفل ولا تسل

(١) ابن الاثير، المصدر السابق، جـ ١٠ ص ٤٥٠.

القصيـــدة [١٥]

القصيـــدة :

أبيات أرسل بها الخليفة الموحدى عبد المؤمن بن على (٥٢٤-٥٥٨هـ) إلى العرب يستنفرهم إلى الخروج معه للجهاد فى الأندلس(١).

أقيموا إلى العلياء هوج الرواحل	وقودوا إلى الهيجاء جرد الصواهل
وقوموا لنصر الدين قومة ثائر	وشدوا على الأعداء شدة صائل
بنى العم من عليا هلال بن عامر	وما جمعت من باسل وابن باسل
تعالوا فقد شدت إلى الفزونية	عواقبها منصورة بالأوائل

الكاتـــب :

أبــو عبــد الله محمــد

الغـــرض :

رسالة إلى أمراء العرب، كتبها عن السلطان يحيى بن عبد العزيز الحمادى عند فراره من بجاية أمام جيوش عبد المؤمن بن على الخليفة الموحدى سنة ٥٤١هـ.

التعريف بالكاتب :

أبو عبد الله محمد الكاتب المعروف بابن دفرير أحد كتاب الدولة الحمادية وكان مختصاً بالرسائل السلطانية.

الكتاب(٢) :

«كتابنا ونحن نحمد الله على ما ساء وسرّ رضى بالقسم، وتسليما للقدر، وتعويلا على جزائه الذى يجزى به من شكر، ونصلى على النبى محمد خير البشر، وعلى آله وصحبه ما لاح نجم بسحر، وبعد: فإنه لما أراد الله أن يقع

(١) المراكشى، المصدر السابق، ص ٢٩٤/٢٩٥.
(٢) أنظر العماد الاصفهانى، المصدر السابق، ص ٢١١.

ما وقع، بقبح آثار من خان في دولتنا وضبع، أستفز أهل موالاتنا الشيطان وأغرى من أصطفينا وأنعمنا عليه الكفران. فأتوا من حيث لا يحذرون ورموا من حيث لا ينصرون، فكنا في الاستعانة بهم والتعويل عليهم كمن يستشفى من داء بداء ويفر من صل خبيث إلى حية صماء. حتى بغت مكرهم[1] وأعجل عن التلاقى أمرهم ورد وبال أمرهم إليهم فعند ذلك اعتزلنا محلة الفتنة إلى مظنة الأمنة، وبعثنا في أحياء هلال نستنجد منهم أهل النجدة ونستنفر من كنا نراه للمهم عدة، وأنتم في هذا الأمر أول من يليهم الخاطر ويثنى عليه الحاضر.

(١) أي ظهر مكرهم بغتة.

القصيــدة [١٦]

الشاعــــر :

الشريف ابن هاشم.

الغـــرض :

يبكى فيـها زوجـته الجازية بنت سـرحان ويذكر ظعنـها مع قومـها إلى المغرب.

التعريف بالشاعر :

هو شكر بن أبى الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد ابن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن الحسن ابن على بـن أبى طالب(١). من أمـراء بنى مـوسى الذين حكمـوا مكة من سنة ٣٥٠هـ إلى سنة ٤٥٣هـ (٢)وكان أبوه أبو الفتوح الحسن قد خرج على طاعة الحكم بأمـــر الله الفـاطمى سنة ٤٠١هـــ، وتلقب بالراشـد بالـله، وأيده عـرب فلسطين من آل الجراح أمراء طيئ، وأقيمت لـه الخطبة فى مكة والكثير من مدن الشام، حتى قضى الحاكم على حركته سنة ٤١٤هـ(٣).

وشكر هذا، هو الذى يزعم بنو هلال أنه تزوج الجازية بنت سرحان أخت الامير الحسن بن سرحان أمير الاثبج(٤). ويذكـر ابن خلدون أن شكر رزق من

---

(١) ابن حزم، المصدر السابق، ص ٤٧.
الفاسي، المصدر السابق، جـ٥ ص ١٤.
ابن خلدون: المصـدر السـابق، جـ٦ ص ١٨- وقـد ترجم له ابن خـلدون: شكر ابن أبى الفتـوح الحسن بن أبى جـعفر بن هاشم مـحمـد بن موسى بن عبـد الله أبى الكرم بن موسى الجون بن عبد الله ابن أدريس.

(٢) دكتور أحمد سعيد سليمان، المرجع السابق، جـ١ ص ٢٦٣.

(٣) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق.
الفاسي، المصدر السابق، جـ١ ص ١٧٠.
المناوى، الوزارة والوزراء، ص ١٩٨-١٩٩.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق.
الفاسي، المصدر السابق، جـ٥ ص ١٥.

الجازية بولد اسمه محمد(١)، وأنه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة، وأجمعوا الرحلة عن نجد إلى أفريقية، وتحيلوا عليه فى استرجاع أختهم الجازية، فطلبت إليه الجازية زيارة أهلها فصاحبها شكر إلى مضارب أهلها، ثم صحبوه للصيد فى الوقت الذى كانت فيه القبيلة قد أمعنت فى الرحلة حتى بعدت عن ديار شكر، ولم يعد له من القوة عليها. ففارقوه ورجع هو إلى مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل، وبادلته الجازية نفس الشعور، وكلفت به مثل كلفه إلى أن ماتت من حبه على قول ابن خلدون(٢). هذا مع العلم أن الجازية تزوجت بعد ذلك من ماضى بن مقرب زعيم دريد، ولكنها تركته مغاضبة إلى أخيها حسن بن سرحان الذى أبى أن يعيدها إليه، مما أوقع الخلاف بين بطون الأثبج(٣).

ويذكر ابن خلدون أن الناس يتناقلون من أخبار شكر والجازية ما يعفى عن خبر قيس وكثير ويروون كثيراً من أشعارها. ولكن ابن خلدون(٤) يستدرك فيقول «وفى هذه الأشعار كثير دخلته الصنعة وفقدت فيه صحة الرواية، فلذلك لا يوثق به. ولكنهم مع ذلك متفقون على الخبر عن حال هذه الجازية والشريف خلفا عن سلف وجيلا عن جيل، ويكاد القادح فيها والمستريب أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل المفرط لتواترها بينهم».

وقد أورد ابن خلدون القصيدة التى نذكرها، يبكى فيها فراق زوجته الجازية. ويبدو أن ابن خلدون يشك فى نسبة هذه القصيدة لشكر، وإن لم

---

(١) يذكر ابن حزم، المصدر السابق، أن شكر مات ولم يعقب، وأن أمر مكة صار إلى عبد له. يقول الفاسى، المصدر السابق، ص ١٦، ما ذكره ابن حزم فيه نظر لأن صاحب المرآة- يقصد سبط ابن الجوزى وكتابه مرآة الزمان وهو مخطوط- يذكر أن أبا جعفر محمد بن أبى هاشم الحسينى أمير مكة كان صهر شكر على ابنته. وكلام الفاسى الذ ينقله عن صاحب المرآة وأن ذكر أن لشر ابنة إلا أنه لم يرد ذكر محمد الذى قيل أنه ابن شكر من الجازية.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ١٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٢،١٩.

تعرضنا للصراع بين بطون الأثبج فى الفصل الثانى.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ص ١٨.

يصرح بذلك، إذ يقول: «فمن أشعارهم على لسان الشريف ابن هاشم يبكى الجازية بنت سرحان»(١).

وأننى مع عدم ادعائى المقدرة على النقدالأدبى، أشك فى صدور هذه القصيدة عن شكر، وذلك إذا قسناها بأبيات أخرى لشكر أوردها الفاسى(٢) وربما كانت فى الجازية.

وصلتنى الهموم وصل هواك وجفانى الرقاد مثل جفاك

وحكى لى الرسول إنك غضبى يا كفى الله شر ما هو حاك

القصيدة(٣) :

قال الشريف ابن هاشم على ترى كبدى حرا شكت من زفيرها

يعز للاعلام اين ما رات خاطرى يرد اعلام البدو يلقى عصيرها

وماذاشكاه الروح مما طرا لها عذاب ودائع تلف الله خبيرها

بحسن قطاع عامرى ضميرها طوى وهند جافى ذكيرها

وعادت كما خوارة فى يد غاسل على مثل شكوك الطلح عقدوا يسيرها

تجابدوها اثنين والنزع بينهم على شول لعة والمعالى جريرها

وباتت دموع العين ذارفات لشانها شبيه دوار السوانى يديرها

تدارك منها الجم حذرا ورادها مروان يحيى متراكبا من صبيرها

لصب من يعلن من جانب الصفا عيون ولمحان البرق فى غديرها

ها أيقنى من سنابلت غدوه بغداد ناحت منى حتى فقيرها

(١) المصدر السابق، جـ١ ص ٥١١.

(٢) الفاسى، المصدر السابق، جـ٥ ص ١٥.

(٣) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ١ ص ٥١١.

وناد المنادى بالرحيل وشددوا ... وعرج غاربها على مستعيرها
وشد لها الأدهم دياب بن غانم ... على يد ماضى وليد مقرب ميرها
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا ... وسوقوا النجوع إن كان تاهو نميرها
ويد لص وسده سها بالتسامح ... وباليمين لايجحدوا فى صغيرها
غدرنى زمان السفح من عابس الوفى ... وما كان يرمى من حمير وميرها
غدرنى وهو زعما صديقى وصاحبى ... وناليه ما من درمى ما يديرها
ورجع يقول لهم بلاد ابن هاشم ... الخير البلاد المعطشة ما يخيرها
حرام على باب بغداد وأرضها ... داخل ولا عائد له من بعيرها
فصدق درمى من بلاد بن هاشم ... على الشمس أو حول الغطا من هجيرها
وباتت نيران العذارى قوادح ... فجروا بجرحان قيبر وأسيرها

القصيــــدة [١٧]

ومن قـولهم على لسان الشـريف بن هاشم يذكـر عتـابا وقع بينه وبين ماضى بن مقرب.

وماضى بن مـقرب هو زعيم دريد أحد بطون الأثبج الهـلالية، وهو الذى تزوجته الجازية بنت سـرحان بعد مفارقتهـا الأمير شكر. يقول ابن خلدون(١): «ومن مـزاعمـهم (أى الهـلالية) أن الجـازية لما صارت إلـى أفريقـية وفـارقت الشـريف خلفه عليـهـا منهم ماضى بن مـقـرب من رجالات دريد. ويقـول ابن خلدون أيضاً(٢) وهو يتكلم عن الحسن بن سـرحان، أن أخته الجـازية غاضبت زوجهـا ماضى بن مقرب ولحـقت بأخيها، فـمنعها منه. فكان ذلك من أسـباب الفتن بين بطون الأثبج التى استمرت حتى ضعف أمرهـم.

القصيــــدة (٣):

تبدى لى مـاضى الجـيـاد وقـال لى	أيا شكر مـــا أحناشى عليـك رضــاش
أيا شـكر عـــدى مـــا بـقى ود بينـنـا	ورانا عـــريب عــربا لابـسين نماش
نحن عـدينا فـصـادفوا مـا قـضى لنا	كـمـــا صــادفت طعم الزنــاد طشــاش
باعـدنا يا شكـر عـدى لبـر سـلامـة	لنجـــد ومن عـــمـــر بـلاده، عـــاش
إن كـــانت بنت سيـــدهم بارضـــهم	هى العـــرب مـــا ردنا لـهن طيـــاش

(١) المصدر السابق، جـ٦ ص ١٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢.

(٣) المصدر السابق، جـ١ ص ٥١٢.

القصيــدة [١٨]

ومن قولهم فى رحلتهم إلى الغرب وغلبهم زناته عليه.

القصيـــدة(١) :

وای جـمـيل ضـاع لـی فی ابن هاشم   وای جـمـيل ضـاع قـبلـی جـمـيلهـا
انا كـنت انا واياه فـى زهو بيـــتـنا   عنانى لـحـــجـــه مـا عــنانى دليلهـــا
وعــدت كـانــى شـارب مـن مـدامـة   من الخـمـر قـهـره ما قـدر من يميلهـا
او مثـل شمطا مـات مضـيون كبـدها   غـريبـا وهـى مـدوخـة عـن قـبـيلهـا
اتاها زمـــان الســوء حـــتى ادوخت   وهـى بين عــرب غـافـلا عن نزيـلهـا
وكـــذلك انا مما لحـــانى من الهـــوى   شـــاكى بـكبـــد باد يـا من عليـلهـــا
امــرت قـــومى بالـرحــيل وبكروا   وقـووا وشـــداد الحــوايا حـمـيـلهـا
قـعدنا سبـع أيام مـحـبـوس نجـعنا   والبـدو مـــا ترفع عـمـــود يقـيلـهـا
تظل عـلى أحـــداث الثنـايا ســـوارى   يضل الحـر فوق التصــاوى نصيلـهـا

(١) ابن خلدون المصدر السابق.

القصيـــدة [١٩]

من قولهم فى رثاء أمـير زناتة أبى سعـدى اليفرنى مـقارعهم بأفريقـيا وأرض الزاب ورثاءهم له على جهة التهكم.

تعريـــف :

تعرضنا فى الفصل الثالث عن الـصراع بين بنى هلال وزنانة ومقتل أبى سعدى فى الزاب.

القصيـــدة(١) :

تقـول فتـاة الحى سـعـدى وهاضهـا ... لهــا فى ظعــون البـاكــيين عــويل
أيا سـائلى عن قـبـر الزنـاتى خليـفـة ... خــذ الـنعت مــتـى لا تكون هبـــيل
تراه الــعـــالى الـواردات وفــوقـــه ... من الربـط عـيــســاوى بنـاه طويل
وله يميـل الـغـــور من ســائر النقـــا ... به الـواد شـــرقـــا والـيـــراع دلـيل
أيا لهف كـبـدى على الزناتى خليـفـة ... قـد كـــان لا عـقـــاب الجـيـــاد سليل
قـتـيل فتـى الهيـجـا دياب بن غـانم ... جـــراحـــة كـــافـــواه الزاد تـــســيل
يا جــارنا مـــات الزنـاتى خليــفـــة ... لا تــرحـل إلا أن يريـد رحـــــــيـل
وبـالأمس رحـلنـاك ثلاثـين مـــرة ... وعـــشـرا وســتــا فـى النهـــار قليل

(١) المصدر السابق.

القصيــــدة [٢٠]

الشاعــــر :

سلطان بن مظفر بن يحيى.

الغـــرض :

يذكر ابن خلدون أن سلطان من الزواوده أحـد بطون رياح وكان من أهل الرياسة فـيهم. وقد اعتـقل بالمهدية وسجن فى عـهد الأميـر أبى زكريا بن أبى حفص أول ملوك الحفصيين.

القصيــــدة(١) :

يقـول وفـى نوح الدجـا بعـد ذهبة — حـرام على اجــفـان عـينى منـامـهـا
أيا من لـقى حـالف الوجـد والأسى — وروحـا هيامى طال مـا فى سقـامهـا
حـجـازية بدوية عــربـيــة — عــداوية ولـهـا بعـيـدا مـرامـهـا
مـولعــة بالبــدو لا تـالف القـرى — سـواعا بل الـوعسا بوالى خـيـامها
عـمـان ومـشـتـهـيـا بهـا كل سـرية — ممحـونة بها ولهى صـحيح غـرامها
ومـر باعـهـا عش الأراضى من الحيـا — لو أنى من الحـور الحلا يا حـسامـها
تســوق بســوق العين ممـا تداركت — عليهـا من السحب السـوارى غمامـها
ومــاذا بـكت بالما ومــاذا تبلـحطت — عـيون عـذارى المزن عـذبا جـمـامها
كــان عـروس البكر لاحـت ثيـابهـا — عليـهـا ومن نور الاقـاحى حـزامـها
فـــلاة ودهنـا واتســـاع ومـنة — ومرعى سـوى ما فى مـراعى نعامـها
ومشـروبها من مـخض البان شـولها — عليـهم ومن لحم الحـوارى طعـامهـا

(١) المصدر السابق.

تعاتب على الأبواب والموقف الذى | يشيب الفتى مما يقاسى زحامها
سقى الله ذا الوادى المشجر بالحيا | وبلا ويحيى ما بلى من زمامها
فكافاتها بالود منى وليتنى | ظفرت بايام مضت فى ركامها
ليالى أقواس الصبا فى سواعدى | إذا قمت لا تخطى من أيدى سهامها
وفرسي عديدا تحت سرجي مسافة | زمان الصبا سرجا وبيدى لجامها
وكم من رداح أسهرتنى ولم أر | من الخلق أنهى من نظام ابتسامها
وكم غيرها من كاعب مرجحنة | مطرزة الأجفان باهى وشامها
وصفقت من وجدى عليها طريحة | بكفى ولم يغنى جداها زمامها
ونار بخطب الوجد توهج فى الحشا | وتوجج لا يطفى من الما درامها
أيا من وعدتى الوعد هذا إلى متى | فنى العمر فى دار عمانى ظلامها
ولكن رأيت الشمس تكسف ساعة | ويغص عليها ثم يبرى غمامها
بنود ورايات من السعد اقبلت | إلينا بعون الله يهفو علامها
أرى فى الغلا بالعين أظعان عزوتى | ورمحى على كتفى وسيرى أمامها
بجزعا عناق النوق من عوذ شامس | أحب بلاد الله عندى حشامها
إلى منزل بالجعفرية للذى | مقيم بها ما لذ عندى مقامها
وتلقى سراة من هلال بن عامر | يزيل الصدى والغل عنى سلامها
بهم تضرب الأمثال شرقاً ومغربا | إذا قاتلوا قوماً سريع انهزامها
عليهم ومن هو فى حماهم تحية | من الدهر ما غنى بقية حمامها
فدع ذا ولا تاسف على سالف مضى | ترى الدنيا ما دامت لا حد دوامها

القصيـــدة [٢١]

الشاعـــــر :

خالد بن حمزة بن عمر

الغـــــرض :

يجيب شبل بن مسكيانه بن مهلهل من أولاد مهلهل.

التعريف بالشاعر :

خالد بن حمـزة بن عمر شيخ الكعـوب من أولاد بنى الليل من بنى سليم وكان بينهم وبين أولاد مهلهل من الكعوب أيضاً عداء، وكان شبل يفاخر بقومه.

ويقول ابن خلدون أن هذا من شعر المتأخرين من العرب.

والعـداء بين أولاد أبى الليل وأولاد مـهلهل تبدأ مـن أوائل القرن الثـامن الهجـرى، وسبب العـداء أن أولاد مهلهل نفـثوا على أحـد أولاد أبى الليل، وهو قاسم بن مرا علو منزلته، ومحاولته تغيير المنكر وإلزام العرب الجادة، حتى ذاع أمره وأصبح له أنصـار يدعون دعوته يسمون الجـنادة حتى ساد الأمن وأمنت السابلة بأفريقية ما بين تونس والقيروان وبلاد الجريد.

فـعمـد أولاد مـهلهل إلى قـتله غـيلة، فـقام أولاد أبى الـليل بطلب ثاره، وعظمت الفتنة بين الحيين منذ سنة ٧٠٦هـ، فافترقت أحياء بنى كعب من يومئذ بعد أن كـانت جميـعا. وانقـسمت عليهم أحـياء بنى سليم وصـاروا يتعاقـبون الخلاف والطاعة على الدولة. يقول ابن خلدون وهم على ذلك لهذا العهد(١).

القصيـــدة(٢) :

يقـول وذا قــول المصـاب الذى نـشـا	قـوارع قـيـعـان يعـانى صـعـابهـا
يربح بهـا حـادى المصـاب إذا انتـقى	فنونا من انشـاد القـوافى عـرابهـا
مـحـبـرة مـخـتـارة من نشـادنا	تحـدى بهـا تام الوشـا ملتـهـابهـا

(١) انظر ابن خلدون، المصدر السابق جـ٦ ص ٨١.

(٢) المصدر السابق، جـ١ ص ٥١٤.

مـغـربلة عن ناقـد في غـضـونـهـا   مـحـكـمـة القـيـعـان دابي ودابـهـا
وهيض تذكـاري لهـا يا ذوي الندى   قـوارع من شـبل وهذي جـوابهـا
أشـبل جنينـا من حـبـاك طرائفـا   فـراح يريح الموجـعين الـغنا بهـا
فـخـرت ولم نقـصـر ولا أنت عـادم   سوي قلت في جمـهورها مـا أعابهـا
لقـولك في أم المتـين بن حـمـزة   وحـامي حـمـاها عـاديا في جـرابهـا
امـا تعلـم انه قـامـهـا بعـد مـا لقي   رصـاص بني يحـيي وعـلاق دابهـا
شـهـابا من أهـل الأمـر يا شل خـارق   وهل رايت من جاللو في واصطلي بها
شـواهد طفـاها أضرمـت بعد طفـيـه   واثنا طـفـا حـاسـرا إلا أهابـهـا
واضـرم بعد الـطفيـتين التي صحت   نعـاسـا إلي بيت المنى يفـتـدي بهـا
كم كـان هـو يطـلـب عـلـي   رجـال كـعـب الذي يلتـقـي بهـا
وليـدا تعـاتبـتـوا انا اغنـي لانني   غنيت بـعـلاق الثنا واغـتـصـابـهـا
علي ونـا ندفع بهـا كل مـبـضـع   بالأسـيـاف ننتـاش العـدا من رقابهـا
فـإن كـانت الأمـلاك بنت عـرائس   علينـا باطراف القنا اخـتـضـابهـا
ولا نـقـرهـا الأرهـاف ودبـل   وزرق الـسـبـايا والمطايا ركـابهـا
بنـي عـمنـا مـا نـرتضي الذل عـلة   تسـيـر كـالسنـة الحناش انسـلابهـا
وهي عـالما بان المـنايا تقـيلهـا   بلا شك والدنـيـا سـريع انقـلابـهـا
بطعن قطوع البـيد لا تختـشي العداء   فـثـوق بـحـريات مـخـوف جـنابهـا
تري العين فـيـهـا قل لشـبل عـرائف   وكل مـهـاة مـحـتظيـهـا ربابـهـا
تري اهلـهـا غـب الصـبـاح بفلهـا   بكل حلـوب الجـوف مـا سـد بـابهـا
لهـا كل يوم في الأرامـي قـتـائل   ورا الفـاجـر المؤوج غـنوا صبـابهـا

القصيـــدة [٢٢]

الشاعـــر :

شبل بن مسكيانة بن مهلهل.

الغـــرض :

فى عتاب إخوانه لموالاتهم شيخ الموحدين أبى محمد بن تغراكين المستبد بحجابة السلطان بتونس على سلطانها مكفولة أبى اسحق بن السلطان أبى يحيى.

التعريـــف :

ذكرنا فى الفصل الثالث من البحث(١) أن العرب عاونوا السلطان أبا أسحق إبراهيم بن أبى يحيى بن أبى بكر (٧٥١-٧٧٠هـ) ضد الغزو المرينى الذى قام به أبو عنان فارس بن على واستولى على تونس سنة ٧٥٨هـ. وتمكن العرب من هزيمة الجيش المريني عند تبسه واضطروه للعودة إلى المغرب.

وأبو أسحاق هذا، غلب على دولته شيخ الموحدين أبو محمد ابن تغراكين الذى استعان على الوصول إلى مكانته برؤساء العرب من أولاد أبى الليل من الكعوب من بنى سليم. واصبح ابن تغراكين وصياً على العرش، ووضع أبا أسحق تحت كفالته، وحكم البلاد حكماً مطلقاً.

ولكن ابن تغراكين حاول أن يضعف من قوة العرب بعد أن تمكن من الدولة، واستطاع أن يجعلهم يتخلون عن بعض البلاد كالقيروان وسوسة والاريس وباجة كما أخذ يحصن أرياض تونس خوفاً من غارات العرب، وأخذ بعد ذلك فى كبح جماحهم ومنعهم من التعدى(٢).

ويبدو أن قصيدة شبل هذه كانت السبب فى قصيدة خالد ابن حمزة والتى ذكرناها وربما كانت رداً على قصيدة شبل هذه. وربما كانت قصيدة شبل

---

(١) ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) العامرى، المرجع السابق، ص ١٠٧-١٠٨.

أيضاً السبب فى تجمع العرب ضد ابن تغراكين، مما شجع أبا عنان المرينى على حملتـه التى ذكرناها آنفاً. ولكن بعد نجـاح الحملة المرينية شعـر العرب بالخطر المرينى على نفـوذهم، فـاجـتمـعـوا حول أبـى أسحق وابن تغـراكين وهزمـوا المرينيين.

القصيـــدة(١) :

يقـول بلا جـهـل فـتى الجـود خـالد   مـــقـــالة قـــوال وقـــال صـــواب
مــقـــالـة حــيـــران بذهن ولـم يكن   هريجـــا ولا فـــيـــمـــا يقـــول ذهاب
تهـجـــست مـعنانا بهـــا لا لحـاجـة   ولا هرج يـنقـــاد مـنه مـــعـــاب
ولبت بهـا كبدى وهـى نعم صاحـبة   حـــزيـنة فكر والحـــزين يصـــاب
تفـوهت بادى شـــرحـهـا عن مـآرب   جـرت من رجـال فى الـقـبـيل قـراب
بنـى كـــعـب أدنى الأقـــربين لدمـنا   بنى عـم منهم شـــايب وشـــبـــاب
جـرى عند فتح الوطن منا لبـعضـهم   مـصـــافـــاة ودوا اتســـاع جـنابى
وبعـضـــهم ملنا له عن خـصـيـمـة   كـمـا يعلمـوا قـولـي يقـينة صـواب
وبعـضـهم مـرهوب من بعـض ملكنا   جـزاعـا وفى جـو الضـمـيـر كـتـاب
وبعـضـهم جـانا جريحـاً تسـمـحت   خــــواطر مـنـا للـنزيل وهـاب
وبعـــضـهـــمـوا نزار فـــينا بســـوة   نقـــهـناه حـــتى مـــا عنـا به ســاب
رجع ينتـهى ممـا سـفـهنا قـبـيـحـة   مـــــراراً وفى بعـض المرار يهـــاب
وبعـضـهم شـــاكى من أوغـاد قـادر   غلق منـه فى أحكام السـقـــائف باب
فـصـمناه عنـه واقـتـضى منه مـورد   على كـــره مـــولى البـالـقى ودياب
ونحن عـلى وافى المدا نـطلب العـــلا   لهم مـــا حطـطنا للـفـجـــور نقـــاب

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ١ ص ٥١٥.

وحزنا حمى وطن بترسيس بعدما نفقنا عليها سيفا ورقاب(١)
ومهد من الأملاك ما كان خارجا على احكام والى امر هاله ناب
بردع قروم من قروم قبيلنا بنى كعب لا واها الغريم وطاب
جرينا بهم عن كل تاليف فى العدا وقمنا لهم عن كل قيد مناب
إلا أن عاد من لا كان فيهم بهمة ربيها وخيراته عليه نصاب
وركبوا السبايا لمثمناه من أهلها ولبسوا من انواع الحرير ثياب
وساقوا المطايا بالشر إلا نسوا له جماهير ما يغلوا بها بجلاب
وكسبوا من اصناف السعايا زخائر صخام لحزات الزمان تصاب
وعادوا نظير البر مكبيين قبل دا وإلا هلال فى زمان دياب
وكانوا لنا درعا للكل مهمة إلى ان بان من نار العدو شهاب
خلو الدار فى جنح الظلام ولا اتقو ملامة ولا دارى الكرام عتاب
كسوا الحى جلباب البهيم لستره وهم لو دروا لبسوا قبيح جباب
كذلك منهم حابس ما درى النبا ذهل حلمى له إن كان عقله غاب
يظن ظنونا ليس نحن باهلها تمنى يكن له فى السماح شعاب
خطا هو ومن واتاه سوء ظنه بالألبات من ظن القبائح عاب
فوا عزوتى أن الفتى بو محمد وهوب لألاف بغير حساب
وبرحت الأوغاد منه ويحسبوا بروحه ما يحيا بروح سحاب
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع لقوا كل ما يستاملوه سراب
وهو لو عطى ما كان للراى عارف ولكن فى قلة عطاه صواب

(١) ترسيس: قد يقصد بها تونس أنظر التجانى، المصدر السابق، ص ١٥٢، ص ٢٠٣.

وإن نحن ما نستاملوا عنه راحة   وانه باسهام التلاف مصاب
وإن ما وطا ترسيس يضايق وسعها   عليه ويمشي بالفزوع كراب
وانه منها عن قريب مفاصل   خنوج عناز هوا لها وقباب
وعن فاتنات الطرف بيض غوانى   ربوا خلف أستار وخلف حجاب
يتيه إذا تاهوا ويصبو إذا صبوا   بحسن قوانين وصوت رباب
يضلوه من عدم اليقين وربما   يطارح حتى ما كانه شاب
بهم حاز له ذمة وطوع أوامر   ولذة ماكول وطيب شراب
حرام على ابن تافراكين ما مضى   من الود إلا ما بدل بحراب
وإن كان له عقل رجيح وفطنة   بلجج فى اليم الغريق غراب
واما لبدا لابدها من فياعل   كبار إلى أن تبقى الرجال كباب
ويحمى بها سوق علينا علينا سلاعة   ويحمار موصوف القنا وجعاب
ويمسى غلام طالب ريح ملكنا   ندو ما ولا يمسى صحيح بناب
أيا واكلين الخبز تبغوا ادامه   غلطوا أدمتوا فى السموم لباب

القصيــدة [٢٣]

الشاعــر :

علي بن عمر بن إبراهيم

الغــرض :

العتـــاب

تعــريف :

يقول ابن خلدون أن علي بن عمر من رؤساء بني عـامر أحد بطون زغبه على عهد ابن خلدون يعاتب بني عمه المتطاولين إلى رياسته.

القصيــدة(١) :

مـحـبـرة كـالدر فـي يد صـانع ... إذا كـان في سلك الحـرير نـظام
اباحـها منهـا فيـه اسبـاب ما مضي ... وشـاء تبـارك والضـعـون تسـام
غـدا منه لام الحي حسيين وانـشطت ... عـصـاها ولا صـبنا عـليـه حكام
ولكن ضـمـيرى يوم بان به الـنيـا ... تبـرم عـلى شـوك القـتـاد برام
وإلا كـاب اص الـتـهـامي قـوادح ... وبين عـواج الكانـفـات ضـرام
وإلا لكـان القـلب فـي يد قـابـض ... اتاهـم بمنشـار القطيـع غـشـام
لما قلت سـمـاء من شـقـا البين زارني ... إذا كـان ينادى بالـفـراق وخـام
الا يا ربوع كـان بالأمس عـامـر ... يحـيـى وحـلة والـقطين لمام
وغـيـرد تداني للخطا في مـلاعب ... دجى الليل فـيـهم سـاهر ونيـام
ونعم يشـوق النـاظرين التحـامـها ... لنـا مـا بدا من مـهـرق وكـظام

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ١ ص ٥١٦.

وعرود باسمها ليدعو لسربها واطلاق من سرب المها ونغام
واليوم ما فيها سوى البوم حولها ينوح على اطلال لها وخيام
وقفنا بها طورا طويلاً نسالها بعين سخيفا والدموع سجام
ولا صح لى منها سوى وحش خاطرى وسقمى من اسباب عرفت أوهام
ومن بعد ذا تدى لمنصور بوّ على سلام ومن بعد السلام سلام
وقولوا له يا بو الوفا كلح رأيكم دخلتم بحوراً غامقات دهام
زواخر ما تنقاس بالعود إنما لها سيلان على الفضا واكام
ولا قستموا فيها قياسا يدلكم وليس البحور الطاميات تعام
وعانوا على هلكاتكم فى ورودها من الناس عدمان العقول لئام
ايا عزوة ركبوا الضلالة ولا لهم قرار ولا دنيا لهن دوام
إلا عنا هم لو ترى كيف رايهم مثيل سراب ما لهن تمام
خلوا القنا يبغون فى مرقب العلا مواضع ما هيا لهم بمقام
وحق النبى والبيت واركانه العلا ومن زارها فى كل دهر وعام
ليرى الليالى فيه أن طالب الحيا يذوقون من خمط الكساع مدام
ولا برها تبقى البوادى عواكف بكل ردينى مطرب وحسام
ولكل مسافة كالسد اياه عابر عليها من أولاد الكرام غلام
وكل كميت يكتعص عض نابه يظل يصارع فى العنان لجام
وتحمل بنا الأرض العقيمة مدة وتوالدنا من كل ضيق كظام
بالأبطال والقود الهجان وبالقنا لها وقت وجنات البدور زحام
تجحدنى وانا عقيد نقودها وفى سن رمحى للحروب علام
ونحن كاضراس الموافى بنجعكم حتى يقاضوا من ديون غرام

متى كـان يوم القحط يا مير أبو على   يلـقى سـعـايا صـابرين قـدام
كـذلك بو حـمـوا لى اليـسـر ابعـثـه   وخل الجـيـاد العـاليـات تسـام
وخلى رجـالا لا يرى الضم جـارهم   ولايجـمـعـوا بدهى الـعـدو زمـام
الا يقـيـمـوا وعـقـد بـؤسـهم   وهم عـذر عنـه دائمـاً ودوام
وكم ثار طعـنهـا على البـدو سـابق   مـا بين صـحـاصـيح وبين حـسـام
فـتى ثار قطار الصـوى يومنـا على   لـنا ارض تـرك الظـاعنـين زمـام
وكم ذا يجـيـبـوا اثرهـا من غنيـمـة   حليـف الثنا قـشـاع كل غـيـام
وإن جـاء خـافـوه الملوك ووسـعـوا   غـدا طبـعـه يجـدى عليـه قـيـام
عليـكم سـلام اللـه من لسن فـاهم   مـا غـنت الورقـا وناح حـمـام

القصيــــدة [٢٤]

الشاعــــر :

مجهـــــــول

الغــــرض :

مدح قبيلة دريد من بني هلال

تعــــريف :

لم يذكر ابن خلدون الذى أورد القـصيدة اسم الشـاعر، بل اكتـفى بقوله «فمن قول بعض شعرائهم».

اما دريد فكما يقول ابن خلدون «كانوا أعز الأثبج وأعلاهم كعبا بما كانت الرياسة على الأثبج كله عند دخـولهم إلى افريقية لحـسن بن سرحان بن وبره إحدى بطونهم.

ودريد بطون كثيـرة منهم أولاد عطية بن دريد، وأولاد سرور ابن دريد، وأولاد جار الله مـن ولد عبد الله بن دريد، وتـوبة من ولد عبد اللـه أيضاً وهو توبة بن عطاف بن جـبير بن عطاف بن عـبد الله، وكانت لـهم بين هلال رياسة كبيرة.

ومدحهم شعرائهم، فمن ذلك قول بعض شعرائهم(١):

دريد ذات سراة البـدو للـجود منقـع
كمـا كل أرض منقـع المـاء خيـارهـــا
تحن إلى اوطان مرة يا فتى لكن معها
جمـــلة دريــــد كـــان مــــوارهـــا
وهـــم عـربـوا الأعـراب حتى تعربت
بنـوف المعالـى مـا ينفـى قصـارهـا
وتـركـوا طريـق النـار برهـة وقـد
كـان مـا تقـوى المطايـا حجـارهـــا

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، جـ٦ ص ٢٣.

القصيـــدة [٢٥]

الشاعـــر :

أبو عبد الله محمد بن الحسين

الغـــرض :

يعاتب عنان بن جابر شيخ قبيلة مرداس

التعريـــف :

أبو عبد الله محمد بن الحسين المتوفى سنة ٦٧١هـ، كان حاجب (وزير) أبى زكريا يحيى بن أبى حفص عمر مؤسس الدولة الحفصية (٦٢٧-٦٤٧هـ).

أما عنان بن جابر فهو شيخ قبيلة مرداس، بطن من عوف بن سليم، وقد فر من أفريقية مغاضبا لأبى زكريا وملتجئا بحيه من مرداس إلى قبائل هلال بن عامر بالمغرب الأقصى[١]. وأقام بين بطون رياح. ولحق بالخليفة الموحدى السعيد على بن إدريس (٦٤٠-٦٤٦) فى مراكش محرضا له على غزو الحفصيين. وتوفى فى المغرب الأقصى ودفن بسلا[٢].

القصيـــدة[٣] :

سلوا دمنة بين الفضا والسواجر
هل استن فيها واكفات المواطر
ودونكم -ياالرجال- تحية
يخص بها عنى عنان بن جابر

---

(١) أنظر ما ذكرناه عن علاقة العرب بالدولة الحفصية، الفصل الثالث.

(٢) أنظر ابن خلدون، المصدر السابق جـ٦ ص ٧٤.
وسلا مدين شمال رباط الفتح (الرباط الحالية).

(٣) نقلاً عن محمد المرزوقى، الأدب الشعبى فى تونس، ص ٥٥ هامش/٢.

فتى ما دعته ذلة فاجابها
فكيف طوى كشحاً على نفس غادر
وقد كان بيني يا عنان وبينكم
بواطن ضاها بحفظ الظواهر
عزيز علينا يا عنان ضلالة
حدت بك لا تلوى على زجر زاجر
تبصر ولا تحمل على النفس غيها
اعيذك من كرات دهر جواسر

القصيــــدة [٢٦]

الشاعـــــر :

عنان بن جابر شيخ قبيلة مرداس.

الغـــــرض :

كتبها رداً على قصيدة أبى عبد الله محمد بن الحسين السابق ذكرها.

القصيـــدة(١) :

خليلى عـــوجـــا بين سلع وحـــاجـــر
نعـــوج عناجـــيج نواج ضـــوامـــر
قـــلاص خـــمـــاص شـــازيات عـــرامس
مـــواض نواض مـــرقـــلات عـــوابر
طـوال الهـــــوادى عـنـد كل تنوفـــــة
هـمـلـعـــة الأطـراف هدل المشـــافـــر
وعـــوجـــا على دار لنا فى جنابـهـــا
الفـــانـين لهـــو دائم غـــيــــر دائر
ولما رايت الود قـــد بان وانـقـــضى
دعــوت ونار الشـوق تـغـزو ضـمـائرى
الا ايهـــا الـغـــادى على متن ضـامـــر
سليم الـقـــرى عـــبل الذراعين فـــاطر
يزف زفـــيف الخـــاضـــبـــات وينثنى
كـحـــقف لحننهـــا لافـحـــات الهـــواجـــر

(١) المرزوقى، المرجع السابق، ص ٥٥. هامش/٢.

بعثت أبا عبد الآله بدائعا
محبرة منظومة كالجواهر
رأيت رجالا من رياح ومالك
وعوف ودباب وزغب وماجر
لهم مرقب دوني وقد كنت قبلهم
بسيفي ورمحي في الوغى وعشائري
تبينت حالا لا أطيق احتمالها
فحدت بنفسي عن عدو وجائر
وسلمت أرض الشرق لا عن مذلة
ويممت أرض الغرب لا عن تخاير
إلى بلد لا يعرف الذل أهله
كرام العشايا من هلال ابن عامر

القصيـــدة [٢٧]

الشاعـــر :

محمد بن بشير.

الغــرض :

ذم رافع بن مكي.

التعريف بالشاعر :

الشاعر أبو عبد الله محمد بن عبد الصمد بن بشير التنوخي المهدوي، من شعراء الأمير علي بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس.

يقول العماد الأصفهاني أنه يجمع بين رقة المعنى وجودة السبك وأنه من معاصري أبي الصلت أمية. ويذكر العماد «وكان أبو الصلت يرى في المنام كثيراً أبا عبدالله بن بشير، وتجري بينهما محاورات في فنون الآداب وملح الأشعار ويجد هو أيضاً من نفسه مثل ذلك في المنام»(١).

أما رافع بن مكي بن كامل بن جامع صاحب قابس، من بني جامع الهلاليين. والقصيدة ذكرها ابن رشيد يذم رافعا الذي استجار بروجر النورمندي ضد الأمير علي بن يحيى. ثم هروبه بعد ذلك إلى القيروان(٢).

القصيـــدة(٣) :

سل رافعا ما الذي أجرى تنصره

وهل نفى الذل عنه من به وثقا

لو لم ير الروم أهلا والصليب أبا

لم يشك من عبشه في قابس رنقا

(١) العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٣٥٢.

(٢) راجع ما ذكرناه عن هذه الحادثة في الفصل الثالث ص ١٠٨.

(٣) نقلنا القصيدة من التجاني، المصدر السابق، ص ٩٩-١٠٠.

انفـــاقك المال فـي العلـيـــاء الحـــقـــة

بالـقـــيـــروان التى يعـــتـــدها نفـــقـــا

أبدت لـه عـــــزة لـلجـــــاهلـين بـه

وكـــان ســـتـــر عليـــه قـــبل فـــانخـــرقـــا

للـه فــــعلـك لا للـمـــــال تجـــمـــعـــه

وكـــيف ذاك وقـــد شـــتـــتـــه مـــزقـــا

وكـل مــــــال تتشـــــاد المكرمـــــات بـه

أشـــد مـــا هو توفـــيـــرا إذا مـــحـــقـــا

من رسالة أرسلها لسان الدين بن الخطيب إلى أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون، لما ارتحل من بحر المرية واستقر فى بسكرة عند رئيسها أبى العباس بن مزنى:

التعـــريف :

لسان الدين بن الخطيب هو أبو عبد الله محمد السلمانى، مؤرخ عظيم ووزير مشهور ببلاط غرناطة. واصل أجداده من عرب اليمن الذين وفدوا إلى الأندلس عقب الفتح، واشتهرت عائلته ببنى الخطيب نسبة إلى أحد أجداده الذى كان يلقى دروسه ومواعظه فى مدينة لوشة قرب غرناطة فغلب عليه اسم الخطيب وقد ولد لسان الدين فى مدينة لوشة سنة ٧١٣هـ، وتثقف ثقافة واسعة حتى أصبح عالماً اديباً، كتب مؤلفات وبحوثاً عديدة فى مختلف النواحى العلمية المعروفة فى عصره كالأدب والتاريخ والطب والتصوف وغيرها، أربت على الستين مؤلفاً ضاع اغلبها، ومن أجل ما وصلنا منها كتابه «الاحاطة فى أخبار غرناطة» و«أعمال الأعلام».

وقد عمل ابن الخطيب وزيراً لبنى الأحمر فى غرناطة، وقد عرضه منصبه هذا لتقلبات الظروف السياسية وما تبعها من نفى وتشريد إلى بلاد المغرب، حتى قتل سنة ٧٧٦هـ.

أما ابن خلدون المؤرخ المشهور، فكان معاصراً وصديقاً لابن الخطيب، وهو مع ابن الخطيب يتوجان الحركة الثقافية الأندلسية، ويمتازان بسعة الاطلاع وكثرة العلم وتنوعه.

وكان ابن خلدون قد ترك الأندلس إلى المغرب، وظل ببجاية مدة حيث عمل حاجباً لسلطانها، ثم سئم أخطار السياسة وتقلباتها فرحل إلى بسكره واتخذها مقر اقامته ولعائلته وذلك بسبب الصداقة التى كانت توطدت بينه وبين صاحبها ابن مزنى وأقام هناك نحو ست سنوات من سنة ٧٦٨-٧٧٤هـ(١).

وبسكرة واحة ومدينة فى المغرب الأوسط، جنوبى أقليم قسنطينة فى

(١) الحصرى، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، ص ٨١-٨٢.

الجزائر حالياً وقد تمكن بنو مزنى وهم من قبيلة لطيف من الأثبج الهلاليين، من حكم بسكرة من القرن السابع الهجرى. وقد ظلت امارة بنى مزنى ببسكره من ٦٧٨-٨٠٤هـ حيث قضى عليها السلطان الحفصى أبو فارس عزوز (عبد العزيز) ابن أبى العباس أحمد (٧٩٦-٨٣٧هـ)(١).

وما نورده هنا، جزء من رسالة ابن الخطيب التى أرسلها إلى ابن خلدون، والتى أوردها المقرى(٢). وقد اقتطعنا منها ما يخص بنى مزنى فقط.

النص :

«فلولا عسى الرجاء ولعله، لا بل شفاعة المحل الذى حله، لمزجت الحنين بالعتب(٣)، وبثثت كتائبه كمناء فى شعاب الكتب، تهز من الألفات رماحا خزر الأسنة، وتوتر من النونات أمثال القسى المرنة، وتقود من بياض الطرس وسواد النفس بلقا تردى(٤) فى الأعنة، ولكنه أوى إلى الحرم الأمين، وتفيأ ظلال الجوار المؤمن من معرة العوار عن الشمال واليمين، حرم الخلال المزنية، والظلال اليزنية، والهمم السنية، والشيم التى لا ترضى بالدون ولا بالدنية، حيث الرفد الممنوح، والطير الميامن يزجر لها السنوح، والمثوى الذى إليه، مهما تقارع الكرام على الضيفان، حول جوابى الجفان - الميل والجنوح :

نسب كان عليه من شمس الضحى
نورا، ومن فلق الصباح عمودا(٥)

ومن حل بتلك المثابة فقد اطمأن جنبه، وتغمد بالعفو ذنبه، ولله در القائل حيث يقول:

فوحقه لقد انتدبت لوصفه
بالبخل لولا أن حمصا داره

(١) عن بنى مزنى أمراء بسكره، أنظر ابن خلدون، المصدر السابق جـ٦ ص ٤٠٥ وما بعدها وأنظر الميلى، تاريخ الجزائر جـ٢ ص ٢٩١ - ٢٩٥.

(٢) المقرى، نفح الطيب، جـ٦ ص ٣٨٩ وما بعدها.

(٣) يعنى لنشرت ألوية العتب.

(٤) تردى: تمشى الرديان، وهو نوع من المشى دون العدو.

(٥) جاء فى حاشية/٧ ص ٩ من المصدر، أن هذا البيت لابى تمام.

بلد اذكـــــره تـهـــــتج لوعـــــتى
وإذا قــــــدحت الزنـد طـار شـــــراره

اللهم غفرا، لا كفرا، وأين قراره النخيل، من مثوى الاقلف البخيل، ومكذبة المخيل؟ وأيين ثانية هجر، من متبوا من الحد وفجر؟

من انـكر غـــيـــثـــا منشـــؤه   في الأرض ولـيس بمـخـلـفــهـــا
فــــبنان بـنى مـــزنى مـــزن   تنـهل بلـطف مـــصــــرفـــهـــا
مـــزن مـــذ حل بـبـــسكره   يومـــا نـطقت بمصــحــفـــهـــا(١)
شكـرت حــتى بـعـــبــارتـهـــا   وبمعـنـاهـا وباحـــرفـــهـــا
ضــحـكت بابى الـعـبــاس من الـ   ايـام لثـنـايا زخـــرفـــهـــا
وتـنكـرت الـدنيـــــا حــــتـى   عـــرفت منه بمـعـــرفـــهـــا

(١) مصحف بسكره: بشكره أو تشكره.

فهرس القصائد

رقـــــم الإيــــــداع ١٣٣٧٨ /٢٠٠٧

كليوباترا للطباعة ٠١٢٢٦٦٢٨٩٠٩